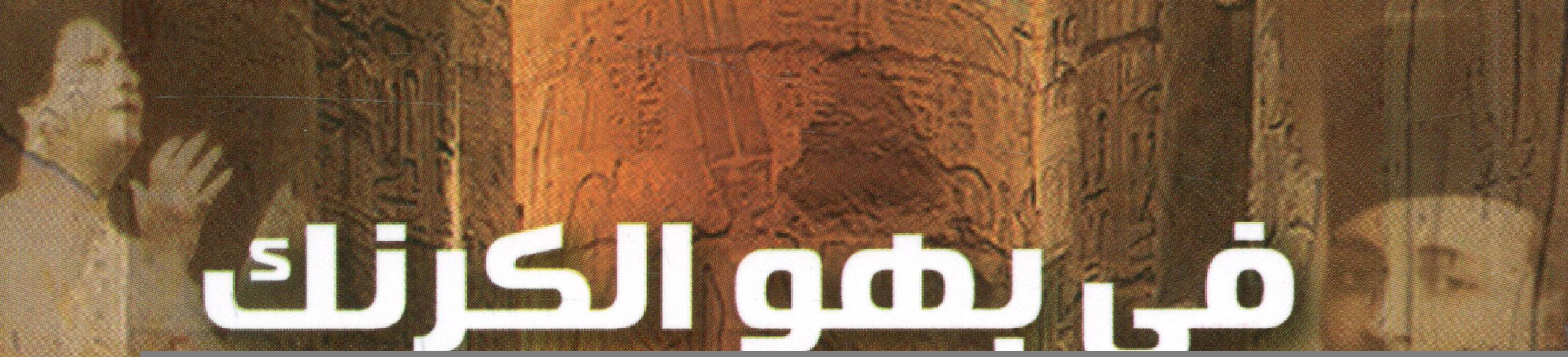

في بهو الكرنك

# في بهـــو الكرنـــك

## محاكمة رئيس


تأليف

د. إبراهيـم شلبي




العنوان:

# في بهـو الكرنـك

محاكمة رئيس

تأليف:

## د. إبراهيـم شلبي

إشراف عام:

**داليا محمد إبراهيم**



الترقيم الدولي: 978-977-14-4595-1
رقـم الإيـداع: 13022 / 2013
الطبعة الأولـى: يونيـة 2013

تليفـون: 33466434 - 33472864 02
فاكـس: 33462576 02
خدمة العملاء: 16766
Website: www.nahdetmisr.com
E-mail: publishing@nahdetmisr.com




أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة 1938

21 شارع أحمد عرابي -
المهندسين - الجيزة

# إهـــداء

إلى ثاني أكبر حب فى حياتي ..

إلى زوجتي الحبيبة..

عذرًا شـيرين..

فالحب الأكبر هو مصـر..

مصر التي في خاطري وفي فمي[1]
أحبها من كل روحي ودمي

يا ليت كل مؤمن
بعزها يحبها حبي لها..

بني الحمى والوطن
من منكم يحبها مثلي أنا

مثلي أنا..

(1) كتبها أحمد رامي - وغنتها أم كلثوم - من ألحان رياض السنباطي عام (1952).

# هذه رواية وليست كتابًا

أقتبس من كلمات الأستاذ الكبير نجيب محفوظ عندما قال معرفًا الرواية:

«الرواية تركيب أدبي فيه الحقيقة وفيه الرمز.. وفيه الواقع وفيه الخيال.. ولا بأس بهذا أبدًا.. ولا يجوز أن تحاكم الرواية إلى حقائق التاريخ التي يؤمن الكاتب بها.. لأن كاتبها باختيار هذه الصيغة الأدبية لم يلزم نفسه بهذا أصلًا وهو يعبر عن رأيه من خلال رواية».

لذلك وجب التنويه أنه منذ البداية قد كتبتها رواية..فيجب ألا يقرأها بعض الناس كتابًا ..

فيما عدا الشخصيات التاريخية.. فالشخصيات الأخرى خيالية.. وإذا لوحظ بعض التشابه مع أحد أو بعض الشخصيات فذلك لتطابق الشخصيات الإخوانية بحيث ستكرر نفسها باستمرار.

# مقدمة

قالـوا عنهـا هبة النيـل... فتسـاءلت ولماذا لـم يهب النيـل بقية دوله التـي يمـر عليها، ما وهبـه لمصرنا من حضارة وسـحر خـاص يتملكك حتـى يسيطر على تلابيـب قلبك؟ وقالـوا عنها: أم الدنيـا التي لا يحكم الحيـاة فيها المنطـق وقواعده حتى صـارت أم العجائـب. فقلت: وهذا سـرها الـذي لا تمنـح تفاصيلـه إلا لعشـاقها. وهكذا هي مصر يا سـادة التي تحيا في خاطر محبيها خالدة فيبذلون من أجلها الغالي والرخيص، حتـى الأرواح تهـون أمام حفنة مـن ترابها. ولم لا وهـي مهد الحضارة، طـاردة الغـزاة، مقصد الأنبيـاء والخائفين والباحثين عـن الأمان. ولـم لا وجندهـا خير رجال الأرض، ومن بطن نسـائها جاء نسـل العرب حينما أهدت هاجر المصرية لنبي الله إبراهيم ولده إسماعيل. وكانت حتى في لحظات الضِّيق والأزمة، فرج الأمم ومخزن العطاء. ولأنها هكذا خالدة في تاريخ الزمن وتحتل لديه مكانة أثيرة، منحها الله بركة منه لا يسبر أحد أغوارهـا، لتكون البلد الوحيد الذي يأتي ذكره مقرونًا بالأمن في القرآن كلام اللـه. ولأنها أرض طيبة مباركة لم تبخـل على مبدعيها ومخلصيها

وقادتهـا الحقيقييـن ببعـض مـن نفحاتها المقدسـة، فمنحتهـم قبسًـا من خلودها، فعاشوا في ذاكرة الزمن تتردد أسماؤهم بعزة كلما ضاق الحال بمواطنيها، ليجدوا عند تلك الأسـماء مرافئ الحكمة والفخر وإجابات الأسئلة الغامضة عليهم. ويستمدون منهم قوة في أوقات الضعف؛ ولهذا يصعـب حكم مصر على مـن لا يؤمن بها ومن لم يَعِ قدرها وقيمتها. فلا يليق بحكمها إلا من قرأ التاريخ ووعاه، وتتبع آثارها ومكانتها ففهم ثقل ما تقوم به من أدوار ومسئولية؛ لأنها كما قالوا: وطن يعيش فينا ويتلبسنا فنصيـر معـه روحًا واحدة. وقائمـة التاريخ في مصرنا طويلـة فيها حكام سـقطوا من ذاكرتها رغم ذكرها لهم ولكنهم لم يفهموا ما سبق، فألحقوا بالقائمة ومعهم لعنات شـعبها ونقمتهم مهمـا طالت أيامهم أو قصرت. وبالقائمـة حـكام آخرون خلـدت ذِكْرهـم وباركتهم أرضهـا حتى لو لم يكونـوا مـن نبـت طميها. هكذا هـي لا تفرق بيـن عشـاقها ومخلصيها. وظلـت عبـر تاريخها الممتـد دولة لا تنهزم ولا تنحنـي ولا تموت مهما كان الآثم المعتدي عليها.

وإذا كان البعض منا قد أصابه الضيق والاكتئاب بعد ثورة يناير 2011 نتيجة ما مر علينا من أحداث أظهرت خسـة البعض وجهل البعض الآخر وعـدم نضـج بعضٍ ثالث وظنـوا أن مصر ماتت، فدعونـي أقول لكم: إن مصـر يا سـادة لا تمـوت و لا تدين بدين غير عبادة اللـه الذي وحدته منذ عهـد الفراعنـة و لا تؤمن إلا بتفردهـا وأبنائها؛ ولذا ـ ورغـم تنوع وكثرة محتليها على مر العصور ـ فهي لم تتغير على شاكلتهم ولم تتلون بلسانهم

بـل غيـرت فيهم و أجبرتهم على التدين بدينهـا ولغتها هي. فإذا كانت قد فعلـت ذلك مع الغرباء عنها فما بالكم بمـن يتحدث عن أخونتها. أقولها وأنـا منها أكيدة، إن مصر لن تتأخون ولكن الإخوان هم من سـيتمصرون إن آجلًا أو عاجلًا، وسيفهم من يتولون أمرهم أن على من يحكم مصر أن يكـون أحـد أبنائها لا أحد أبناء الجماعة التـي أدرك أنها تحمل في طياتها عوامل فنائها وانتحارها. أما مصر فهي خالدة لا تموت ولا تنتهي.

وفي نهاية كلماتي لا أملك إلا أن أقول: شكرًا للدكتور إبراهيم شلبي مؤلف هذه الرواية التي ذكَّرتنا برائعة أديبنا نجيب محفوظ «أمام العرش» ومنحتنـا الثقة عبر صفحاتها فيما نملك مـن تراث متنوع وذي قيمة قادر علـى حمايـة تـراب الوطن وتنبيه مـن يحكم مصـر بقيمـة المقعد الذي يجلـس عليه وكيف أن له قواعد عليه الالتـزام بها وإلا فمحكمة التاريخ المصريـة بعظمائها في انتظاره... ثم الشـكر له مرة أخـرى على ثقته في شـخصي المتواضـع كي أكتب مقدمـة هذا الكتاب الـذي أفخر أن يقرأه كل مصري، خاصة من بين شـبابنا ليدرك عظمة رموزه على مر العصور، مهما اشتدت ضدها مؤامرات التاريخ والجغرافيا. ولا تتعجبوا من ذلك التعبيـر، فمصرنـا بحكم موقعها القائم في وسـط العالـم كانت ولا تزال وسـتظل مطمعًا للمستعمر أيًّا كان جنسـه ولونه، وبحكم تاريخها عانت من خسة فاسدين وأطماع غازين، ولكنها لم تسلم ولم تهن أبدًا... فلك يا مصر السلامة وسلامًا يا بلادي...

**نشـوى الحوفـي**

# المحتويات

# 1

# إلـــى الكـــرنـــك

وصـل الرئيـس إلى القصر بعـد انتهـاء الوليمة التـي أقامها على شرف ضيفـه الخليجـي.. اتجه فورًا إلى الممر المؤدي إلى غرفته.. كان يشـعر بألم في معدته إذ اضطر أن يجاري ضيفه في الأكل فالتهم كميات كبيرة من الكبسة والخـروف المحشـوّ حتـى كاد أن ينفجر.. رغـم أوجاع بطنـه كان يدندن سـعيدًا وهو يشعر بالزهو لإتمام صفقة بيع مترو الأنفاق للشركة الخليجية التي يمتلك نجلا الأمير ثلثي رأسمالها..

عنـد باب غرفته انتفض حارسه الملتحـي واقفًا حـال أن رآه.. التفت الرئيس وقال له:

«كلـم الدكتـور يبعـت لي حاجـه للحموضـة.. الكبسـة كبسـت عـلى نفسي..».

دخـل الرئيـس إلى الغرفـة الهادئـة.. زوجتـه سـافرت إلى البلـد للقيام بواجب عزاء في خالة أحد أعضاء الحزب..

خلع الرئيس ملابسـه وارتدى جلبابًا فضفاضًا شعر فيه بالراحة لبطنه المنتفـخ.. تناول الرئيس الدواء الذي أرسـله الطبيب وتربع على السرير..

أشعل التليفزيون على قناة 25 يناير وأخذ يتابع بارتياح التعليقات الإيجابية على سياسته الرشيدة تلقيها مذيعة محجبة..

تسلل النعاس إلى جفني الرئيس وسرعان ما استسلم للنوم ..

فتح الرئيس عينيه ليجد الغرفة تسبح في ضوء أزرق خافت.. أجال نظره بخوف وقفز فزعًا من السرير عندما وجد ثلاثة أشخاص يقفون قبالة باب الشرفة المفتوح وقد أحاطت بهم هالات من النور الساطع.. أسرع الرئيس إلى زر الجرس المثبت بجوار فراشه وضغط عليه لاستدعاء حراسه ولكن بلا جدوى.. حاول الخروج لكن الباب كان موصدًا ..

ارتمى الرئيس على كرسي وهو يلهث.. وازداد فزعه عندما تمعن في وجوه زواره .. رأى سيدة حادة النظرات وقد كسا الريش ذراعيها.. على يمينها ويسارها وقف رجلان مفتولا العضلات.. أحدهما له وجه صقر والآخر يحمل وجه طائر أبي قردان.. لفت نظره أزياؤهم الفرعونية واللغة الغريبة التي كانوا يتحدثون بها ..

التفت الرجل ذو وجه الصقر إلى الرئيس ووجه إليه الحديث بلغة عربية سليمة ..

«سيادة الرئيس.. أنا حورس إله الشمس وهذه هي ماعت ربة العدالة وهذا هو تحوت إله الحكمة».

قال الرئيس بخوف ..

«وانتوا عاوزين مني إيه ؟».

«لقـد أتينا إلى هنـا بتكليف من جلالة الملك مينا.. بصفته رئيس محكمة مـصر العليا.. لضبطك وإحضارك للمثول أمـام هيئة المحكمة المنعقدة في بهو معبد الكرنك لمحاكمتك فيما ما وُجه إليك من تهم ..».

ابتسم الرئيس ابتسامة عصبية وقال ..

«الكرنك.. الملك مينا.. حورس.. فهمت إنتو الكاميرا الخفية ..».

ثم عبس الرئيس قائلًا:

«أكيد المذيع السخيف باسم يوسف هو اللي ورا الموضوع ده.. بس كده كتير أوي.. وأنا حاكلم وزير الإعلام يقفل القناة دي.. ولازم حا ..»

قاطعه حورس بحدة ..

«هذه ليسـت مزحة يا سيادة الرئيس.. محكمة مصر العليا هي المحكمة المنـوط بهـا حماية مصر من الضيـاع.. وتعقد عند اللـزوم بدعوة من الملك مينا.. الرئيس الدائم للمحكمة ..يسـاعده وكيلان يختارهما في كل جلسـة بالإضافـة إلى 42 قاضيًـا.. بعـدد قضاة محكمـة أوزيريس.. ويتـم اختيار الوكيلين والقضاة من عموم أعضاء مجمع الخالدين..».

ازداد شعور الرئيس بالخوف والارتباك.. خاصة تحت النظرات الحادة لماعت ربة العدالة.. وقال بصوت متقطع..

«بـس انا مـا عملتش حاجة.. مـصر إيه اللي حاضيعها.. ده أنا لســه ما كملتش سنة..».

تقـدم تحوت إله الحكمة خطوتـين.. وأخرج لفافـة مختومة من البردي

قدمهـا إلى ماعت ففضت أختامهـا وأعادتها إليه.. نشر تحوت اللفافة وبدأ يقرأ بصوت جهوري ..

«باسم مصر الخالدة.. الملك مينا الراسخ المكين موحد القطرين

إلى الرئيس الذي سيمزق القطرين ..

بالإحاطة إلى الاتهامات والشكاوى العديدة التي نمت إلى علم محكمتنا الموقرة.

ونظـرًا للأخطـار العظيمـة التي تحدق بمصرنـا العزيـزة.. والتي تهدد سـلطانها وعزتهـا وتاريخهـا وحضارتهـا ومقامهـا بـين الأمـم ووحدتهـا الوطنية..

تقرر عقد جلسـة عاجلة لمحاكمتك الليلة عنـد ارتفاع البدر على البهو الأوسط لمعبد الكرنك..

وقد أصدرنا قرارًا بتشـكيل هيئة المحكمة برئاستي ووكالة اللواء محمد نجيب ومحمد علي باشـا الكبير كمستشـارين.. وتم اختيار 42 قاضيًا من عموم أعضاء مجمع الخالدين المصري ..

كـما تـم تكليف ماعت ربـة العدالة وتحـوت إله الحكمـة وحورس إله الشمس بضبطك وإحضارك إلى مقر المحكمة ..».

شعر الرئيس بالرعب وأخذ يصرخ مستنجدًا بحراسه.. ولكن لا أحد يسمعه ..

وتقدمت ماعت ربة العدالة وفردت جناحيها العظيمين ثم أطبقتهما عليه..

نظرت ماعت إلى حورس وتحوت وهزت رأسها قائلة.. هيا بنا.. وفي ثوان.. اختفوا جميعًا عن البصر.. ومعهم الرئيس ..

بعد لحظات فتح الرئيس عينيه ليجد نفسه في بهو الكرنك السابح في ضوء القمر ..

قال له حورس:

«ها قد وصلنا.. ستجد قضاتك في انتظارك تحت أعمدة الكرنك المقدس.. ستمر أولًا على اثنين وأربعين قاضيًا.. ثم سنعود لاصطحابك».

وما إن أتم حورس كلماته حتى اختفى كأنما ابتلعه الهواء.. ومعه ماعت وتحوت ..

وقف الرئيس متسمرًا للحظات.. ثم تلفت حوله باحثًا عن القضاة.



# 2

# مصطفى كامل

تحت عمود في بهو الكرنك المهيب.. وقف مصطفى كامل باشا.. شاب وسيم بهي الطلعة.. وقد انعكس ضوء البدر عن بدلة التشريفة الموشاة التي ارتداها.. واتضح غضبه في اهتزاز طرفي شاربه الأنيق..

وأمسك مصطفى باشا بأعلى ذراع الرئيس.. ضاغطًا عليه بشدة..

«هل عرفتني يا سيادة الرئيس؟».

ونظر الرئيس إلى الطربوش الأحمر القاني والشارب الشهير.. وتذكر صورة في أحد كتبه المدرسية.. وأجاب متألمًا:

«أكيد يا مصطفى باشا.. وهل يخفى القمر؟».

«وهل تذكر تاريخي وأقوالي؟ هل تذكر خطبتي الشهيرة في عام 1907؟».

فأجاب الرئيس: «بالطبع يا باشا.. مين في مصر مش حافظها عن ظهر قلب.. ولكن اعذرني.. الأهوال اللي شفتها النهارده شوشت على ذاكرتي».

فأجاب مصطفى باشا وقد زاد من ضغط قبضته على ذراعه حتى صرخ متألمًا:

«سـأذكرك بها.. ففيها قلت : بلادي.. بلادي، لك حبي وفؤادي، لك حياتي ووجـودي، لك دمي ونفسي، لك عقلي ولسـاني، لك لبي وجناني، فأنت أنت الحياة، ولا حياة إلا بك، يا مصر..».

«عظيم يا باشا.. حاجة جميلة».

ومع قوة الضغط الذي يعتصر ذراعه سقط الرئيس على ركبتيه.. وتطلع إلى الشاب الرقيق الذي احمر وجهه غضبًا وارتفع صوته مدوِّيًا:

«إذا كنـت فعـلًا تصـدق على قـولي فكيف تسـمح لأحد مـن قيادات جماعتـك والذي تدين له بالـولاء والطاعة أن يتجرأ على مصر ويقول: طز في مـصر.. وأبـو مصر والـلي في مـصر.. والله إني لأتقلب حزنًـا وغيظًا في قبري منذ أن سمعت ذلك ».

«سـامحه يـا باشـا.. ما كانش قصـده.. وبعديـن الـكلام ده كان قبل ما امسك الرئاسة».

«قبـل ولا بعد ..مش مهم . فهذا هو فكركم.. وليس المهم أن أسـامحه أنا.. بل أن تسامحكم مصر.. وأبو مصر واللي في مصر..».

وأفلـت مصطفى باشـا قبضته عن ذراعه.. فقام فورًا واسـتدار ليغادر المكان لاهثًا..

«قـف عنـدك لتسـمع مني كلمة أخـيرة.. لقد قلـت أيضًـا.. لـو لم أكن مصريًـا لوددت أن أكون مصريًّا.. قلتها من كل قلبي.. ورددها من بعدي الملايـين.. الآن يضحك الشـباب على هـذا القول ويسـتغربونه.. ويدمى

فؤادي وأنا أسـمع قولي يُحَوَّر إلى لو لم أكن مصريًّا لحمدت الله على ذلك.. أو لوددت أن أكون كنديًّا أو أستراليًّا أو أمريكيًّا.. وتدمع عيناي وأنا أرى طوابير طالبي تأشـيرات الهجرة إلى مختلف بقـاع الأرض.. وقد اصطفوا على أرصفة السفارات تحت وهج الشمس الحارقة..

ماذا فعلت بأبناء مصر يا فخامة الرئيس؟.. ماذا فعلت بالحب والانتماء لمصر.. ؟

اغرب عن وجهي ..

ماذا أتوقع منك .. وأنا أعلم أنك لو لم تكن مصريًّا.. لوددت أن تكون قطريًّا؟



# 3

# عبد الرزاق السنهوري

ومن خلف أحد أعمدة الكرنك ظهر رجل يرتدي طربوشًا أنيقًا.. وكان الشرر يتطاير من عينيه الحادتين.. تراجع الرئيس فزعًا عندما لمح الرجل الجليل وقد حمل فردة حذاء في يده..

«يا لطيف.. إنت مين ؟».

«أنا الفقيه الدستوري عبد الرزاق السنهوري باشا يا فخامة الرئيس.. وزير المعارف في أربع وزارات.. ورئيس مجلس الدولة لخمس سنوات من عام 1949 حتى 1954 .. أيدت ثورة يوليو وشاركت في مشاورات خلع الملك فاروق ووضعت أسس قانون الإصلاح الزراعي.. شاركت في وضع الدستور المصري بعد إلغاء دستور 1923 .. ووضعت دساتير معظم البلاد العربية.. وعندما لمحت بوادر الدكتاتورية وطالبت بإرساء الديموقراطية وحل مجلس قيادة الثورة وعودة الجيش إلى ثكناته قامت مجموعة من الغوغاء المناصرين لعبد الناصر باقتحام دار القضاء العالي واعتدت علي بالضرب بالأحذية في مقر عملي بمجلس الدولة.. وكافأت حكومة الثورة آنذاك الضابط الذي ضربني صائحًا : (القانون هو ما يقوله الرئيس) بتعيينه محافظًا للقاهرة».

«تشرفنا يا سنهوري باشا».. ردد الرئيس متلعثمًا وعيناه معلقتان بالحذاء وتقدم السنهوري خطوتين وقد بدأت يده ترتفع ومعها نبرات صوته ..

«لقد ضرب القانون بالحذاء ممثلًا في شخصي لأني حاربت لاستقلال السلطة القضائية.. وحرصت على ألا تنتكس الثورة.. وقفت أمام عبد الناصر في أوج عنفوانه عندما حل مجلس الدولة ونحّى أغلب قضاته وأصدر قانونًا جديدًا ينظمه.. فقمت بنقض القرارات الصادرة من الرئيس شخصيًا.. وذلك انتصارًا لشرف القضاء واستقلاله ورغبة مني في أن تبقى السلطة القضائية هي الحكم بين الدولة الجديدة وبين جماهير الشعب».

«عظيم يا معالي الباشا.. أوعدك إني حاستشهد بالقصة دي في خطبة الجمعة الجاية.. خلي الناس تفتكر فظائع ممارسات العهد الناصري.. وحتكون كمان مناسبة لـ ...».

«اصمت.. فمع كرهي الشخصي لعبد الناصر ، فلا أنكر أنه كان صاحب رؤية ورسالة.. وفعل الكثير لمصر وللأمة العربية.. الدور والبقية على من ليست له رؤية ولا رسالة ..

قف ولا تَجْرِ من أمامي.. ألست أنت صاحب أسوأ دستور عرفته مصر في تاريخها؟

لا أقدر على تخيل كم الاستخفاف بالقانون وعقول الناس وكرامة الشعب الذي مارسته أنت ومن معك لتمرير دستور بهذه الرداءة والخطورة على شعب مصر..

ولكـن ليـس هـذا موضوعنـا الآن . منـذ أن ضربت بالحـذاء في حرم دار القضـاء العالي ثم عزلت من وظيفتي وقضيت سـنواتي الأخيرة تحت الإقامـة الجبرية حتـى مت كمدًا.. اتخذت على نفسي عهـدًا بأن آخذ ثأري مـن كل من تسـول له نفسـه أن يسـخر القضـاء لخدمتـه.. أو يتعدى على استقلاله وهيبته..

ألسـت أنت من حصن قراراته ضد القضاء.. وسـمح لبطانته الجاهلة بإهانة قضاة مصر.. بل سيرها باسم الدين لتحاصر مقر المحكمة الدستورية العليـا؟.. ألسـت أنت من اتهم قضاتها الأجلاء بتدبـير المؤامرات وحياكة الدسـائس؟.. ألم تسـتهتر بجـلال منصـب النائب العـام وجعلتـه كعزبة تخلع ناظرها وتسـتبدله وفـق هواك لخدمة مصالح جماعتـك وتمكينها ؟.. ألم تبـارك الغوغاء من أتباعك وهم يحـاصرون دار القضاء العالي ويهتفون بتطهير القضاء ؟ والله لتذوقن ما ذقته ..».

وانطلق السـنهوري باشا رافعًا حذاءه في إثر الرئيس الذي أسلم ساقيه للريح.. واختفى في الوقت المناسـب خلـف أحد أعمدة الكرنك ليتفادى فردة حذاء طائرة أخطأ راميها التصويب..



# 4

# الشـيخ متـولـي الشـعـراوي

واستجمع الرئيس أنفاسـه اللاهثة.. ورفع نظره ليرى وجهًا مألوفًا.. بملامحه الريفية الطيبة وعمامته الشهيرة.. وقف ملتحفًا بجبته الصفراء وقد استند بظهره إلى أحد أعمدة الكرنك الخالدة.. إنه الشيخ متولي الشعراوي ولكـنْ هناك شيء ناقص.. لاحظ الرئيس أن وجه الشـيخ الوضاء تنقصه الابُتسامة التي لازمته في جميع الأوقات والظروف..

وأقبل عليه هاشًّـا .... فالشـيخ الشـعراوي كان من أوائل من انضموا للإخوان المسلمين، بل هو من خط بيده أول منشور للجماعة..

«السلام عليكم يا مولانا.. أخيرًا.. حد يبل ريقي بكلمة حلوة.. ».

ونظر إليه الشيخ الشعراوي نظرة طويلة وقال له:

«لا تتوقع مني الكثير يا سيادة الرئيس.. فلن يختلف موقفي عن موقف غيري.. فما أتينا بك هنا إلا لنحاسبك ونحاكمك.. أما عني.. فربما تجدني أكثـر حدة وحزمًا من باقي الإخـوة.. لأني ربما أفهمك أكثر منهم.. ولأني أراك ممن يستمعون القول فلا يتبعون أحسنه..».

«بس انت تعرفني يا مولانا.. وتعرف نيتي.. وانت نفسك كنت عضو

فعال في جماعة الإخوان المسلمين وصديق حميم للإمام حسن البنا.. ده ما يشفعليش عندك؟».

«هذا هو بيت القصيد.. فأنت تعلم جيدًا أنني تركت جماعة الإخوان منذ عام 1938 .. في ذلك العام أردنا الاحتفال بذكرى سعد باشا فأنا كنت وفديًا وكان الوفد قد خرج من الحكم في العام السابق فذهبت إلى النادي السعدي واحتفلنا هناك بهذه الذكرى.

كنت أعتبر الاحتفال بذكرى سعد باشا مناسبة وطنية هامة. فألقيت قصيدة في الحفل امتدحت فيها سعد باشا وكذلك النحاس باشا.

وعلم الشيخ حسن البنا بخبر القصيدة التي ألقيتها في الاحتفال فغضب مني غضبًا شديدًا لامتداحي النحاس باشا.

وحدث بعد ذلك أن جلسنا في ليلة نتحدث..وكنا مجموعة من الإخوان... وكان الشيخ حسن البنا حاضرًا... وعند الفجر تطرق بنا الحديث إلى الزعماء السياسيين... وأيهم يجب أن نسانده ونقف معه.

ولاحظت أن الحاضرين يتحاملون على النحاس باشا... ويقولون بمهادنة صدقي باشا.

فاعترضت على ذلك وقلت : إذا كان من ينتسبون إلى الدين يريدون أن يهادنوا أحد الزعماء السياسيين ولا يتحاملوا عليه أو يهاجموه... فليس هناك سوى النحاس باشا ...لأنه رجل طيب..تقي..وورع...ويعرف ربنا...وإنني لا أرى داعيًا لأن نعاديه... وهذه هي الحكمة.

ولكنـي فوجئت بأحد الحاضريـن يقول: إن النحاس باشـا هو عدونا الحقيقي...هـو أعدى أعدائنا...لأنه زعيم الأغلبية ... وهذه الأغلبية هي التـي تضايقنـا في شـعبيتنا... أما غيره مـن الزعماء وبقيـة الأحزاب فنحن «نبصق» عليها جميعًا فتنطفئ وتنتهي.

كان هـذا الـكلام جديـدًا ومفاجئًـا لي...ولم أكـن أتوقعه...وعرفـت ليلتها النيات.. وأن المسـألة ليسـت مسـألة دعوة...وجماعة دينية ... وإنما سياسية... وأغلبية وأقلية... وطموح إلى الحكم.

وفي تلك الليلة اتخذت قراري... وهو الابتعاد وقلت: سلام عليكم.. ماليش دعوه بالكلام ده ..

وعلى مر السنين سئلت كثيرًا لماذا لا أنتمي إلى الإخوان؟

فكان ردي دائمًا هو لأني مسلم قبل أن أعرف الإخوان أو غيرهم، وأنا مسـلم قبل أن يكونوا حزبًا.. وأنا مسلم بعد زوالهم.. ولن يزول الإسلام بدونهم. لأننا كلنا مسلمون وليسوا وحدهم من أسلموا...

كنـت واضحًـا في رفـضي ..فأنا أرفـض أن يتلخص دينـي في صندوق انتخـاب.. فديني هو صلة بيني وبين خالقي. وأرفضهم لأنني أرفض أن أرشـح حزبًا يستعطفني مسـتندًا إلى وازعي الديني قبل أن يخاطب عقلي.. وهو حزب سياسي أرفض الانتماء إليه لأنه ليس له علاقة بالدين بل يمثل الفكر السياسي لأصحابه ولا يمثل المسلمين ..

لطالما تمنيت أن يصل الدين إلى أهل السياسـة ولا يصل أهل الدين إلى السياسـة. وقلت لهـم: إن كنتم أهل دين فلا جدارة لكم بالسياسـة.. وإن كنتم أهل سياسة فمن حقي ألا أختاركم ولا جناح على ديني ..

هـل تتفهـم موقفي يـا سـيادة الرئيـس؟ هـذه المواقف وهـذا الكلام معروفـان جيـدًا عنـد كل أفراد جماعتـك.. ولكـنَّ نَهَمَ السـلطة ختم على قلوبكم وأسماعكم وأبصاركم.. وسيطرت عليكم أهواؤكم ومصالحكم.. وقد ضربت لكم مثلًا ولكنه لم يجد صدى في قلوبكم ..

قلـت لكم إن الذين يزرعون النخيل لا ينتظرون أن يأكلوا منها ..وأبي زرع نخلة ولم يأكل منها.. لكنني وأهلي أكلنا من خيرها . نصحت تلاميذي من الدعاة بعدم الاسـتعجال.. فالذي يزرع لا ينتظر الحصاد السريع.. إلا إذا كان ما يزرعه هو الفجل ويريد أن يأكله «ورور» بعد أسبوعين.

لو كنتم حقًّا أهل دعوة لزرعتم النخيل.. لكنكم أهل سياسة فاخترتم الفجل ..

انظر ماذا فعلت أنت وجماعتك وحاشـيتك ووزراؤك ومستشاروك.. ظهر نهمكم للسـلطة وتقسـيم أركان الدولة بينكم كالغنائم جليًّا للشعب المصري.. وانكشـفت حقيقة استخدامكم لدين الله وكتابه الكريم كسلعة تشترون بها ثمنًا قليلًا ..

سامحكم الله.. فقد أفسدتم الدنيا والدين ..».

قل لي الآن ما ردك يا سيادة الرئيس..

سيادة الرئيس ..

سيادة الرئيس ..

ويبتسم الشيخ الشعراوي ويهز رأسه.. فقد اختفى الرئيس..

لم يستطع أن يستمع للحقيقة.



# سعد زغلول

عند العمود التالي وقف سعد زغلول.. زعيم الأمة وأبو المصريين.. بقامته المهيبة وشاربه الأبيض.. واقترب الرئيس منه وكله رهبة من حضوره الطاغي..

«الحقني يا سعد باشا.. الكل بيهاجمني.. مش عارف أنا عملت إيه..».

فنظر إليه سعد باشا نظرة تحمل في طياتها خليطًا من اللوم والإشفاق..

«يا سيادة الرئيس كنت دائمًا أقول: إن الرجل بصراحته في القول وإخلاصه في العمل.. وللأسف لم ير الشعب منك صراحة ولا صدقًا.. أما الإخلاص.. فلم يكن عملك أبدًا خالصًا لخدمة مصالح شعبك بجميع فئاته.. بل وجهت إخلاصك لعشيرتك وجماعتك.. ضاربًا بخصائص المجتمع المصري وتنوعه عرض الحائط».

فأمسك الرئيس بيد سعد باشا مترجيًا..

«انصحني يا باشا.. فأنا أريد أن أكون مثلك..».

فتبسم سعد زغلول ابتسامة ساخرة..

«مثلي؟ زعيمًا للأمة وأبًا للمصريين؟ وماذا تفعل بجماعتك التي لست حتى زعيمًا لها ؟

يجب أن تكون لك الكلمة العليا وسط عشيرتك وجماعتك أولًا.. ثم تتجه لباقي أطياف الشعب..

كيف يكون زعيمًا من أقسم على السمع والطاعة لأحد أفراد الشعب المصري.. حتى ولو كان هذا الفرد هو مرشد جماعة الإخوان المسلمين».

سكت سعد باشا مفكرًا للحظات ..ثم واصل حديثه ..

«قل لي يا سيادة الرئيس.. كيف تريد أن تكون مثلي بينما تقول بطانتك عني: إني رمز لابد أن يسقط.. فكما يقولون.. كنت لا أفيق من الخمر ولا أستطيع مقاومة مائدة القمار.. وكانت زوجتي أول مصرية تحضر الحفلات سافرة بين الرجال ؟!

كيف تريد أن تكون مثلي.. وقد سرقت ثورة مصر الدينية وحولتها.. كما يدعون.. إلى ثورة وطنية ترفع راية تعانق الهلال مع الصليب.. ويهتف فيها الشيخ بجوار القسيس؟!

كيف تريد أن تكون مثلي.. وأنا المنفذ الفعلي لأفكار قاسم أمين.. ولا أقل تحمسًا عنه في الدعوة إلى إفساد المرأة المسلمة؟!

كيف تريد أن تكون مثلي.. وأنا المؤسس الأول لجامعة القاهرة.. كجامعة علمانية تهدف إلى تهميش دور الأزهر الشريف وطمس الهوية الإسلامية للمصريين كما يدعون..

قل لي يا سيادة الرئيس: ألا تستحون وأنتم تعملون جاهدين على تشويه رموز الأمة ومحاولة تسفيه وتكفير تاريخها ..؟».

فأطرق الرئيس ساكتًا.. غير قادر على رفع عينيه ليواجه نظرات الزعيم الكبير..

وواصل سعد باشا حديثه..

«وعلى ذكر الأزهر الشريف.. إني أرى أنكم تبخسون حقه.. وتنتقصون من قدره ..ولا توقرون علماءه.. وتحيكون المؤامرات على أفاضل شيوخه..

اعلم أنني بعد أن قدت الثورة.. ونودي بي زعيمًا للأمة.. لم أنس فضل الأزهر علي.. فذهبت إلى الجامع الأزهر بعد عودتي من منفاي.. وخطبت بعد أداء صلاة الجمعة.. منوهًا بفضل الدراسة الأزهرية عليّ.. فهي التي علمتني الحرية والاستقلال الفكري.. فقلت: ( لقد جئت اليوم لأؤدي في هذا المكان الشريف فرض صلاة الجمعة.. وأقدم واجبات الاحترام لمكان نشأت فيه.. وكان له فضل كبير في النهضة الحاضرة.. تلقيت فيه مبادئ الاستقلال لأن طريقته في التعليم تربي ملكة الاستقلال في النفوس.. فالتلميذ يختار شيخه.. والأستاذ يتأهل للتدريس بشهادة من التلاميذ الذين كانوا يلتفون حول كل نابغ فيه ومتأهل له.. يوجه إليه كل منهم الأسئلة التي يراها.. فإن أجاب الأستاذ وخرج ناجحًا من هذا الامتحان كان أهلًا لأن يجلس مجلس التدريس )..

هذا هـو الأزهر الذي غدوتم تؤجرون منبره لمـن ترجون منه مصلحة من مشايخ الخليج.. أفلا تستحون ؟».

تمنـى الرئيـس لو أن تنشـق الأرض وتبتلعه.. فيما واصل سـعد باشـا حديثه ..

«يا سيادة الرئيس تذكر هذا جيدًا.. نحن لسنا بأوصياء على الأمة.. بل وكلاء عنها ..ولكن وكلاء أمناء ..فيجب علينا أن نؤدي لأمتنا الأمانة كما أخذناها منها ..

وتذكـر أيضًـا أن الحق فوق القـوة والأمة فوق الحكومة. فلا تسـتهن بنبض الشـارع.. ولا تحاول أن تفرض على الشـعب فكرًا يأباه.. فالشعب الـذي زلـزل أركان الإمبراطوريـة البريطانيـة في أوج مجدها عـام 1919 أصبـح الآن أكثر وعيًا وفهمًا وتنظيمًا.. بدليل أنه أسـقط سـلفك القوي في أقل من ثلاثة أسابيع.. فلا تتوهـم أنه سيبقى أسيرًا طيعًا لك ولجماعتك..

يا سيادة الرئيس.. مصر الكبيرة الأبية لم تقبل أن تدور في فلك بريطانيـا العظمـى.. الإمبراطوريـة التي لا تغـرب عنها الشـمـس.. فلا تتوقع أنها ستقبـل أن تكـون إمارة إسلاميـة تدور في فلك دويلة أو جماعة ..

هل فهمت يا سيادة الرئيس.. واللا مافيش فايده ..؟».

وغادر الرئيس المكان مسرعًا وهو يرتجف رهبةً من سعد باشا ..



# 6

# أحمـــد شــوقـي

واصــل الرئيس جولتـه مهمومًا.. وعندما اقترب مـن أحد الأعمدة.. ارتفع صوت رخيم يردد أبياتًا شعرية حزينة..

| | |
|---|---|
| يا ساكني مصر إنا لا نزال على | عهد الوفاء. وإن غبنا مقيمينا |
| هلا بعثتم لنا من ماء نهركم | شـيئًا نبل به أحشـاء صادينا |
| كل المناهل بعد النيل آسنة | ما أبعد النيـل إلا عن أمانينا |

ودار الرئيس حول العمود ليجد نفسه قبالة أمير الشعراء أحمد شوقي.. بأناقتـه المعهودة وقد أحاطت به هالة من السـحر اختلطت فيها العواطف الجياشة بسمو الإحساس وحب الوطن وحلاوة الإيمان ..

«شوقي بك.. ليه الحزن ده.. مصر بخير وبتسلم عليك ..».

فرماه شوقي بنظرة عابرة.. ثم أشاح ببصره عنه..

«لقد كتبت هذه القصيدة من منفاي بإسبانيا.. التي نفاني إليها الإنجليز عـام 1915 عقابًـا على وطنيتي.. وقضيت خمسـة أعـوام لم يعوضني فيها جمال الأندلس عن مصر وسـحرها.. وأسـتعيد قصيدتي هذه الأيام معبرًا عن لسان حال الكثير من المصريين الذين غادروا بلدهـم مجبرين آسفين».

«ولكننا ما أجبرناش حد على الرحيل يا شوقي بك».

فنظر إليه أحمد شوقي بحدة قائلًا:

«ألم يقل مشايخك وأتباعك : اللي مش عاجبه يسيب البلد ؟ ألم تعبثوا بثقافة وتقاليد مصر لتصبح هبة النيل نسخة مشوهة من القصيم أو كابول؟.. ألم تدمر ما اكتسبه الشعب من حريات وتُعِدْ إليه دكتاتورية مقنعة ترتدي عباءة ديمقراطية مشوهة؟

تذكر يا سيادة الرئيس أبياتًا كتبتها منذ أكثر من تسعين عامًا وقلت فيها:

**زمان الفرد يا فرعون ولَّى ... ودالت دولة المتجبرينا**
**وأصبحت الرعاة بكل أرض ... على حكم الرعية نازلينا**

يا سيادة الرئيس إنكم تديرون عجلة التاريخ إلى الوراء.. ولا تعتبرون بدروس من سبقوكم».

فأجاب الرئيس منفعلًا..

«احنا اتبعنا مسار ديمقراطي.. واحتكمنا إلى الصندوق فقال الشعب كلمته.. واختار الشرعية والشريعة ..».

فانفجر شوقي ضاحكًا ونظر إلى الرئيس وقد لمعت عيناه ..

«الشريعة ؟.. قل لي يا سيادة الرئيس.. هل سمعت من قبل قصيدتي (الثعلب والديك) ؟».

فرد الرئيس مندهشًا..

«أي ثعلب وديك ؟».

فتنحنح أمير الشعراء وألقى قصيدته:

| | |
|---|---|
| بـــرز الثعـــلــــب يومًا | فـــى ثيـاب الواعظينـــا |
| فمشى فـــي الأرض يهـ | ـــدي ويسب الماكرينا |
| ويقول: الحمـــــــد للـ | ــــه إلـــــــه العالمينـــا |
| يا عبـــاد الله تـــوبـــوا | فهو كهـــــف التائبينا |
| وازهدوا في الطير إن الـ | ـــعيش عيش الزاهدينا |
| واطلبـــوا الديـــك يؤذن | لصـــلاة الصبـــح فينـــا |
| فأتـــى الديـــك رســـول | من إمــــــام الناسكينا |
| عـــرض الأمــــر عليـــه | وهـــو يرجـــو أن يلينـــا |
| فأجـــاب الديـــك عـــذرًا | يـــا أضـــــل المهتدينا |
| بلـــغ الثعلـــب عنـــي | عـــن جدودي الصالحينا |
| عـــن ذوي التيجان ممن | دخـــل البطـــن اللعينـــا |
| إنهم قالـــــوا.. وخيـــر | القول قـــــول العارفينا |
| مخطـــئ من ظـــن يومًا | أن للثعلــــــب دينـــــا |

ألقـى القمـر بضوئه عـلى وجه الرئيـس.. الـذي تغير لونـه إلى الأحمر ثـم الأصفر ثم الأسـود قبـل أن ينظر نظـرة زائغة إلى شـوقي بك ويغادر المكان.

■■■



# مصطفى النحاس

عند عمود آخر من أعمدة الكرنك قابل الرئيس الزعيم مصطفى النحاس.. الذي ما إن رآه حتى أمسك بتلابيبه بعصبيته الشهيرة وانفجر صارخًا:

«أتسمي نفسك رئيسًا ؟ ماذا فعلت منذ أن حملت أمانة مصر؟.. كلام وضجيج وصخب وشق للصفوف وصدمات وتصفية حسابات.. يا سيادة الرئيس ..العمل الدائب المنتج لا يعرف ضجيجًا أو صخبًا.. بل يقوم على التدبير والتنظيم وتوحيد الصفوف لمواجهة جميع الاحتمالات وتذليل كل العقبات..

يا سيادة الرئيس.. أنت لا تعرف الشعب المصري.. الشعب المصري ليس هو الشعب الذي يكره على ما لا يرضاه أو يسكت عن حقه في الحياة».

«وهو الشعب يكره إننا نقيم دولة تحكمها شريعة الله يا باشا ؟».

«لقد أعلنت مرارًا أن الإسلام لا يعرف سلطة روحية ..وليس بعد الرسل وساطة بين الله وبين عباده.. فلا معنى إذًا للاحتجاج في هذا الشأن بأن دين الدولة هو الإسلام».

وأطرق النحاس باشـا مفكـرًا للحظات مسـتعيدًا لذكرياته.. وأرخى قبضتيه عن الرئيس الذي تراجع مسرعًا لعدة خطوات.. وواصل النحاس حديثه:

«زارني الزعيـم الهندي نهرو في منزلي بعد قيام ثورة يوليو خلال زيارته لمـصر.. أذكر أني قلت له: الآن نشـأت الجمهوريـة التي أرجو الله أن يوفق رجـال الجيـش في أن تكـون جمهوريـة مدنيـة علمانيـة.. وأنا أعـرف أنك صديقهـم فأرجوك أن تقول لهم: إن الضمان لما يريدون من إصلاح هو أن تكـون الجمهورية علمانية ديمقراطية لأنني أكره الحكم الدكتاتوري ..هذا كان رأيي منذ سـتين سنة ولا يزال.. وأنت تعلم مثلي جيدًا أن العلمانية لا تعنـي الإلحاد وإنـكار الأديان والانحلال.. ولكنـك وجماعتك لا تعلنون هذا لأنه يتعارض مع الاتجار بالدين الذي تكسبون به أصوات العامة..

لقـد زارني نهـرو في منزلي بعـد الثورة عرفانًـا وإقرارًا منه ومن أسـتاذه غاندي بفضل أنهما تتلمذا على يدي العبد لله وأسـتاذي سـعد باشا زغلول فيما يخص الوحدة الوطنية ..

سـأقص عليـك قصـة لتريك كيـف كنا ..عسـى أن تجد عنـدك وعند جماعتك صدى إن كنتم تريدون الخير لهذا البلد..

عند رئاسـتي لوزارتي الأولى أقبل موسم الحج ..وكانت مصر كعادتها ترسـل كسوة الكعبة المشرفة إلى مكة المكرمة ..وكانت مراسم المحمل تتم طبقًا لتقاليد عريقة.. وكان منها أن يقوم أقدم ضابط لواء في الجيش المصري في موكب عسـكري مهيب بتسـليم قيادة جمل المحمل لأيدي المسئول عن

بعثـة المحمـل.. وتصـادف في ذلك العـام أن هذا الـشرط كان ينطبق على لواء مسـيحي الديانة.. وشـعر المسئولون عن المراسـم بالحرج فلجئوا إليَّ قائلـين: إن أقـدم ضابط برتبة لواء الذي ينطبق عليه شرط تسـليم المحمل تبين أنه قبطي.. فاندهشـت وغضبت من هـذه الملحوظة.. وقلت لهم: لا فـرق بين قبطي ومسـلم في هذا الأمـر وليقم اللواء القبطي بهـذه المهمة.. وخرجت كسـوة الكعبة الشريفة بقيادته.. هل تفهم مغزى هذه الرواية يا سيادة الرئيس؟».

ونظـر النحاس باشـا ليجد الرئيس قد وقف بعيـدًا عنه.. فانقض عليه ليمسك بتلابيبه ثانيةً ..

«تعـال إلى هنـا وأجبنـي ..لقد كنـت أول مـن وضع قانون اسـتقلال القضاء في وزارة الوفد عام 1942.. وها أنت تعبث به وتحاول أن تبسط سيطرتك على مؤسسات قضاء مصر الشامخة».

ويحاول الرئيس التخلص من قبضة النحاس القوية..

«يا رفعة الباشا أنا بس كنت عاوز أطهرها من الفلول».

فأحكم النحاس قبضته عليه أكثر واستمر في الصراخ ..

«يعنـي إيـه فلول.. هـو كل نظام سـابق وحكومة سـابقة تبقى فلول؟ أيامنـا كانت الحكومات تتداول بين الأحزاب وتتغير الوزارات كل بضعة أشـهر.. عـلى كلامـك يبقـى كان وقتها مفـروض كل قضاة مـصر وكبار موظفي الدولة يقعدوا في بيوتهم أو يتسجنوا».

وأخلى النحاس باشا سبيله لاهثًا.. ثم عاد للحديث بنبرة أكثر هدوءًا..

«اسمع يا سيادة الرئيس.. لقد لعبت الدور الرئيسي في إنشاء جامعة الدول العربية.. ورأست سبع وزارات واتخذت الكثير من القرارات العظيمة في حياتي.. وكان أهمها الإلغاء من طرف واحد لمعاهدة 1936.. هذا القرار الذي زلزل كيان الإمبراطورية البريطانية.

كنت أتخذ أجرأ القرارات ولا أبالي وقوف القصر أو الإنجليز ضدي.. كنت أستمد ثقتي في اتخاذ أي قرار من الشعب والتفافه حولي.. الشعب بكل أطيافه وفئاته.. صفوته ودهمائه.. حتى خصومي السياسيين.. كنا نتحاور ونطرح خلافاتنا جانبًا إعلاءً للمصلحة العليا للوطن..

أين أنت من هذا؟! ماذا فعلت بمصر وأبناء مصر يا سيادة الرئيس؟».

وانفعل النحاس باشا وانطلق ليمسك بالرئيس مرة أخرى.. ولكنه فر من أمامه..



# 8

# صـــــلاح جـاهيـــن

ويواصـل الرئيس رحلتـه بين أعمـدة الكرنك.. وعند قاعـدة أحدها يرى جسـدًا سمينًا قد جلس على الأرض.. يقترب أكثر ليرى وجهًا حبيبًا مسـتديرًا. ويرى عينين مشعتين بالفن والإحسـاس وقد سال منهما الدمع على وجنتين ممتلئتين.. إنه الشاعر والفنان العظيم صلاح جاهين ..

ويقترب الرئيس منه في حذر..ثم يقول ساخرًا..

«سـلامات يا أسـتاذ صلاح.. خير إن شـاء الله بتعيط ليه ؟.. مش إنت اللي كنت دايمًا تقول – أستغفر الله العظيم – إن الحياة بقى لونها بمبي؟».

فينظر إليه صلاح جاهين نظرة لائمة..

**على رجلي دم.. نظـرت له مـا احتملـت**
**على إيـدي دم.. سألـت : ليه ؟ لم وصلـت**
**على كتفـي دم وحتى على راسـي دم**
**أنـا كلي دم.. قتلـت واللا اتقتلـت ؟ عجبي !!**

«دم إيه وقتل إيه.. دي كانت أحداث محدودة تسبب فيها الطرف الخفي والقلة المندسة.. لكن دلوقت كله تمام ..».

**نوح راح لحاله والطوفان استمر**
**مركبنا تايهة لسه مش لاقية بر**
**آه م الطوفان وآهين يا بر الأمان**
**إزاي تبان الدنيا غرقانة شر**
**عجبي !!**

«ربنا ما يجيب شر.. الحمد لله.. مصر بعد الثورة - اللي قمنا بيها- بقت حاجة تانية».

**شاف الطبيب جرحي وصف له الأمل**
**وعطاني منه مقام يا دوب ما اندمل**
**مجروح جديد يا طبيب وجرحي لهيب**
**ودواك فرغ مني.. وإيه العمل ؟**
**عجبي !!**

«مش فاهم.. عمومًا لو قلقان عالمستقبل.. مشروع النهضة حينقل مصر لرحاب القرن السادس عشر.. قصدي هجري طبعًا.. هي هي».

**وقفت بين شطين على قنطرة**
**الكدب فين والصدق فين يا ترى**
**محتارح اموت.. الحوت خرج لي وقال**
**هو الكلام يتقاس بالمسطرة ؟**
**عجبي !!**

«لا لا.. احنا ملتزمين بالصدق والشفافية.. إلا في بعض الحالات المحدودة اللي الضرورات فيها تبيح المحظورات ..».

**أيوب رماه البين بكل العلل**
**سبع سنين مرضان وعنده شلل**
**الصبر طيب.. صبر أيوب شفاه**
**بس الأكاده مات بفعل الملل**
**عجبي !!**

«بعد الشر عنك يا أستاذ صلاح.. معلش أنا مضطر أمشي.. مش عايز مني حاجة قبل ما أمشي؟».

رفع صلاح جاهين رأسه ونظر نظرة يائسة إلى الرئيس وقال ..

**دخل الشتا وقفل البيبان ع البيوت**
**وجعل شعاع الشمس خيط عنكبوت**
**وحاجات كتير بتموت في ليل الشتا**
**لكن حاجات أكتر بترفض تموت**
**عجبي !!**

لم يبد على السيد الرئيس أنه فهم شيئًا.. وسار مبتعدًا عن صلاح جاهين.. الذي اعتدل في جلسته ونظر إلى الأفق من خلف صفوف الأعمدة وأنشد متحسرًا:

**نهايته.. مصر اللي كانت أصبحت وخلاص**
**تمثال بديع انقلب.. وأنفه في الطين غاص**
**وناس من البدو شدوا عليه حبال الخيش**
**والقرص رع العظيم بقى صاج خبيز للعيش**
**عجبي !!**





# مكرم عبيد

عند العمود التالي وقف مكرم عبيد.. بسمرته الصعيدية الدافئة وجبينه العريض وقامته المديدة.. اقترب منه الرئيس في وجل ..وتلعثم معتذرًا لعدم معرفته من يكون.. فنظر إليه مكرم عبيد من خلف نظارته المستديرة..

«أنا مكرم عبيد باشا.. وزير مالية مصر وسكرتير حزب الوفد وأشهر خطيب في التاريخ المصري السياسي الحديث».

«معلوم يا مكرم باشا.. طبعًا عارفك.. وبالأمارة فيه شارع باسمك في مدينة نصر..».

فرفع مكرم باشا حاجبيه دهشةً.. ثم هز رأسه وواصل الحديث..

«هل تعلم يا فخامة الرئيس أنني كنت الرجل الوحيد الذي شيع جنازة الشيخ الشهيد حسن البنا بجانب والده بعد أن منع البوليس السياسي الرجال من المشاركة في الجنازة؟ وأن مجلة الدعوة قد طلبت مني أن أكتب مقالة نشرتها على صفحاتها في ذكراه؟».

«لا مؤاخذة يا باشا.. معاليك مسيحي مش كده؟».

فضحك مكرم عبيد من قلبه وقال:

«نعـم يـا سـيادة الرئيس أنـا مسـيحي من إحـدى كبريـات العائلات القبطيـة في قنـا.. بصعيـد مصر الجواني.. أنا المسـيحي الذي قـال: (اللهم يا رب المسـلمين والنصارى اجعلنا نحن المسـلمين لـك وللوطن أنصارًا، واجعلنا نحن نصارى لك، وللوطن مسلمين).. أنا المسيحي الذي قال: ( إن مصر ليسـت وطنًا نعيش فيه بل وطنًا يعيش فينا ).. أنا المسـيحي الذي نعى الشـيخ حسن البنا إلى الإخوان المسلمين قائلًا: إذا كنتم أيها الإخوان المسلمون، قد فقدتم الحاكم الأكبر، الخالد الذكر، فحسبكم أن تذكروا أن هذا الرجل الذى أسـلم وجهه لله حنيفًا، قد أسـلم روحـه للوطن عفيفًا، حسبكم أن تذكروه حيًا في مجده، كلما ذكرتموه ميتًا فى لحده.

وإذا كان الموت والحياة يتنازعان السيطرة في مملكة الإنسان، ويتبادلان النـصر والهزيمـة فيتسـاويان، فالغلبة للحياة مـع الذكـرى، وللموت مع النسيان، ولهذا فالميت حي لديك إذا ذكرته، والحي ميت لديك إذا نسيته.

وما من شك أن فضيلة الشيخ حسن البنا هو حي لدينا جميعًا في ذكراه، بـل كيـف لا يحيا ويخلد في حياته رجل اسـتوحى في الدين هدى ربه، ففي ذكره حياة له ولكم.

ومن ذا الذي يقول بهذا هو مكرم عبيد صديقه المسيحي الذي عرف في أخيـه المسلم الكريـم الصدق والصداقة معًا، ولئن ذكرت فكيف لا أذكر كم تزاورنا وتآزرنا إبان حياته، ولئن شـهدت فكيف لا أشهد بفضله بعد

مماته، وما هى - وايم الحق - إلا شـهادة صدق أشـهد عليها ربي؛ إذ ينطق بها لساني من وحي قلبي.

بل هي شـهادة رجل يجمع بينه وبـين الفقيد العزيز الإيمان بوحدة ربه، وبوحـدة شـعبه، والتوحيد في جميع الأديان المنـزَّلـة لا يكفي فيه أن نوحد الله، بـل يجـب أن نتوحد في الله كـما أن وحدة الوطن لا يكفـي فيها وحدة أرجائه، بل يجب أن تتوافر لها قبل كل شيء وحدة أبنائه».

واقترب مكرم عبيد بوجهه من وجه الرئيس لينظر مباشرة في عينيه..

«هـل تعلـم ذلك يـا سـيادة الرئيـس أنـت وجماعتـك أم نسيتموه أو تناسـيتموه ؟ هل فكر أحدكم أن يقرأ عـلى أجيالكم الجديدة التي تربونها عـلى الكره والتعصب خاتمة رسـالتي التـي نشرتها في مجلـة الدعوة.. مجلة الإخوان المسلمين في ذكرى الإمام حسن البنا عندما كتبت :

إخواني:

أي نعم، فأنتم إخواني أيها الإخوان المسلمون.

أنتم إخواني وطنًا وجنسًـا، بل إخواني نفسًـا وحسًّـا، بل أنتم لي إخوان ما أقربكم إخوانًا؛ لأنكم في الوطنية إخواني إيمانًا، ولما كانت الوطنية من الإيمان فنحن إذن إخوان في الله الواحد المنان. وإذا ما ذكرتم اليوم الفضيلة في قبرها، فاذكروا أيضًا ما كان يذكره هو على الدوام؛ إذ يذكر الحرية في سجنها.

فلنطالب إذن بتحرير بلادنا، وتحرير أولادنا المسـاجين المسـاكين، فإن الإفراج عنهم عزاء، وجزاء في وقت معًا».

وساد صمت ثقيل.. وأطرق الرئيس ناظرًا إلى الأرض.. غير قادر على مواجهة نظرات مكرم باشا.. الذي واصل حديثه..

«أيام الاحتلال الإنجليزي كان أكثر ما يرهب الإنجليز هو يوم أن يرتفع في أرجاء مصر نداء الله أكبر من أعلى المآذن وتدق أجراس الكنائس مصاحبة له في تناغم يهز القلوب ويشعلها بالحماس.. ويبث الرعب في نفوس الإنجليز.. بهذه الروح وبوحدتنا الوطنية حررنا وطننا وبنينا نهضة مصر الحديثة.. هل تعلم ذلك يا سيادة الرئيس؟».

وتلعثم الرئيس متمتمًا.. «بالطبع.. أكيد يا مكرم باشا ..».

فرد مكرم عبيد والشرر يتطاير من عينيه ..

«إذا كانت إجابتك بنعم.. ففيم سكوتك على أشباه الشيوخ من أتباعك الذين يصفون النصارى بأسوأ الصفات ويحقرون قسيسيهم ورموز كنيستهم في وسائل الإعلام بلا زاجر ولا رادع ؟ كيف سمحت بصياغة دستور جديد للبلاد لم يحضر جلسات صياغته النهائية مسيحي واحد؟ كيف تصبر على كنائسنا وهي تنتهك.. ولا تحرك ساكنًا وأنت تشهد تمزيق كتابنا المقدس وتدنيسه تتناقله كاميرات الفضائيات؟ كيف تسكت على محاصرة ومهاجمة المقر البابوي وسفك الدماء على عتباته؟ كيف تتعامى عن رؤية أبنائنا وهم يمنعون قسرًا وإرهابًا من ممارسة حقوقهم السياسية.. وعلى إهانتنا والدعوات المطالبة بتهجيرنا وتشتيتنا بحجة أن من لا يعجبه تطبيق الشريعة فليغادر البلد.. ألست رئيسًا لكل المصريين كما تدعي؟.

اعلـم يا سـيادة الرئيـس أن حقوق الأقبـاط كفلها من هم أرسـخ من جماعتـك دينًا وأوقـر إيمانًا منذ أيـام عمرو بن العـاص.. وإذا فرطت فيها فسـيكون إخواننا من المسـلمين المعتدلين أول من يطالـب بها وينتزعها لنا انتزاعًا..».

وأدار مكـرم باشـا ظهـره للرئيـس.. وانطلـق إلى الجهـة الأخـرى من المعبد..



# 10

# فاطمة اليوسف

عند العمود التالي وقفت السيدة فاطمة اليوسف.. بجمالها الوقور وحضورها الطاغي ..

اقترب منها الرئيس في حذر.. وقد أخفى يده وراء ظهره حتى لا يضطر إلى مصافحتها.. لاحظت فاطمة اليوسف ذلك فابتسمت ابتسامة خفيفة ولم تعلق..

«أظن أنك تعرف من أكون يا سيادة الرئيس..».

«طبعًا يا ست روزا.. إنتي اللي عملتي مجلة روز اليوسف ..وكمان إنتي جدة أخونا محمد عبد إلقدوس».

«أنا الفنانة والصحفية فاطمة اليوسف ..زوجة الممثل القدير محمد عبد القدوس.. وأم الكاتب الليبرالي العظيم إحسان عبد القدوس.. وجدة الصحفي الإخواني محمد عبد القدوس ..المتزوج من كريمة الداعية الإسلامي الشيخ محمد الغزالي.. وأفتخر بهؤلاء جميعًا.. رغم اختلاف توجهاتهم ومذاهبهم السياسية.. ألا أضرب لك بذلك مثلًا يذكرك بمصر وتنوعها وسماحتها وسعة صدرها ؟».

رمش الرئيس بعينيه عدة مرات ولم يرد..

«سأقص عليك حكاية بعض المحطات في حياتي.. عسى أن تعني لك شيئًا..

سآخذك إلى أيام ثورة 1919.. عندما انطلقت المظاهرات في كل شوارع مصر تهتف بالاستقلال وسقوط الإنجليز. وزحف الجنود الإنجليز بمدرعاتهم وأسلحتهم.. يطاردون المتظاهرين في شوارع القاهرة.. وقتها كنت أقوم بدوري في مسرحية بأحد المسارح وسط قصف الرصاص والقنابل.. وكثيرًا ما انفتح باب المسرح فجأة ليندفع إلى الداخل شباب من الثوار للاختفاء من مطاردة الإنجليز.. وكنا نخفيهم في حجرات الممثلات وخلف ستائر المسرح ... ونستقبل الإنجليز بكل شجاعة وثبات ليقوموا بتفتيش المسرح.. ونحن نعلم جيدًا أن مصيرنا السجن أو الإعدام في حال ما إذا عثروا على أحد الثوار.

وألهبت شجاعة الثوار حماسنا ..فقررنا تنظيم مظاهرة للفنانين أسوة بسائر الفئات في مصر ..

وبدأت المظاهرة من ميدان الأوبرا.. وكنت في مقدمتها حاملة العلم المصري العزيز وإلى جواري كانت زميلتي الممثلة ماري إبراهيم.. واستقبلنا الإنجليز بإطلاق الرصاص.. ورأيت الموت بعيني عندما صوب أحد جنود الإنجليز بندقيته إلى صدري... فتشبثت بالعلم وأغمضت عيني وما كاد الجندي الإنجليزي يرفع بندقيته حتى عاجلته رصاصة من أحد الثوار.. وكتب لي عمر جديد..

هـؤلاء هـم فنانـو مصر ونسـاء مصر يـا سـيادة الرئيـس.. وذلك عام 1919 .. أي قبل أن تولد أنت أو أي أعضاء جماعتك ..».

.. وواصل الرئيس الرمش بعينيه ولم يرد ..

«بعـد هذه الأحـداث وجهت اهتمامي للسياسـة فاعتزلـت الفن نهائيًا ودخلت إلى بلاط صاحبة الجلالة.. أصدرت صحيفة روز اليوسف الفنية أولًا.. ثم تبعتها روز اليوسف السياسية .

وتبنت روز اليوسـف حملة شـعواء ضد الـوزارة والإنجليز.. ووصل الأمر إلى أن عرضت عليَّ دار المندوب السـامي البريطاني أن تدفع لي خمسة آلاف جنيه دفعة أولى.. ثم ألفي جنيه شهريًا إذا أوقفت الحملة نهائيًا . هل تعرف قيمة خمسـة آلاف وألفي جنيـه في مطلع عشرينيات القرن الماضي يا سيادة الرئيس؟

ثـرت لكرامـة الصحافة الوطنيـة.. والنضـال الوطني.. واسـتمررت في حملتـي متحدّيـة الترهيـب والترغيـب.. وحاربـت قـوى الظـلام روز اليوسـف وحجبتها أكثر من مرة.. وافتعلـوا مظاهرات للبلطجية المرتزقة ضـد الصحيفة.. وانتهى الأمر بمصـادرة الصحيفة والحجز على المطبعة.. ولكنـي لم أيئـس.. قاومـت.. بعت كل مـا أملك لتعيش روز اليوسـف.. وعاشت.. وبقي قلمي نظيفًا في فترة لوّثت فيها معظم الأقلام».

«احنـا دلوقت عايشـين زمن الحرية يا سـت روزا.. وحريـة الصحافة والنشر والإعلام مكفولين إن شاء الله ..».

ردت فاطمة اليوسف بغضب ..

«هل فرض رؤساء التحرير وعزلهم بواسطة مجلس الشورى يكفل ذلك.. هل بنود الدستور الجديد تضمن ذلك.. هل حصار مدينة الإنتاج الإعلامي وتهديد الإعلاميين وتحطيم سياراتهم تحت نظرك ونظر حكومتك يبشر بذلك؟ هل قتل الصحفيين رسالتك على ذلك؟

احذر القلم يا سيادة الرئيس.. فأقلام مصر ستظل مرفوعة ولن يجرؤ أحد على قصفها».

وأشاحت فاطمة اليوسف بوجهها عن الرئيس الذي وقف في حضرتها لعدة لحظات من الصمت المحرج ثم استدار وغادر المكان.



# 11

# توفيق الحكيم

وفي ظل عمود آخر.. وجد الرئيس توفيق الحكيم.. وقد وقف مستندًا إلى عصاه الشهيرة.. وقد لاحت خصلات شعره الأبيض من تحت البيريه المميز الذي لازمه طوال حياته..

ابتدره توفيق الحكيم القول.. وعيناه تلمعان خلف نظارته المستديرة..

«ها قد وصلت يا سيادة الرئيس.. فأنا في انتظارك لأقص عليك بعض ما قاله لي حماري..».

«العفو يا أستاذ توفيق.. اسم الله على مقامك.. هو حضرتك عندك حمار؟ وبيتكلم؟».

فنظر له الحكيم نظرة سريعة وقد قطب جبينه.. ثم واصل حديثه..

«قال لي حماري :

متى ينصف الزمان فأركب

فأنا جاهل بسيط أما صاحبي فجاهل مركب

فسألته: وما الفرق بين الجاهل البسيط والجاهل المركب؟

فقال : الجاهل البسيط هو من يعلم أنه جاهل
أما الجاهل المركب فهو من يجهل أنه جاهل».

وضحك الرئيس بسعادة ..

«حلوة.. حلوة أوي يا أستاذ توفيق.. قل لي كمان واحدة.. خلينا نخفف جو التوتر اللي معيشيني فيه النهارده».

فرماه الحكيم بنظرة نارية.. وواصل حديثه..

«قال لي حماري يومًا:

إنك تعلن لي في كل مناسبة إعجابك بي وبفضيلتي من الحمير لقوة مراسنا وطول صبرنا وشدة جلدنا على العمل فما قولك لو شرعنا في انتخاب نحو ثلاثين حمارًا من الطراز الأول نؤلف منها حزبًا عاملًا؟

وأرشحك أنت للرياسة لأن مسألة الرياسة دقيقة جدًّا ، وتولد دائمًا مشكلات وعقبات وخصوم، وإنك لتعلم أن كل مشروع نافع لا يفسده غير التنافس على الرياسة، وكل اتفاق لا يقف في سبيله إلا الخلاف على الرياسة، فإذا أردت نجاحًا لمشروعنا هذا، فليكن الرئيس من الخارج. المهم هو تشكيل الحزب وانتخاب الرئيس..

فأجبته قائلًا:

يا سيدي كما تعلم أنا لست ساحر الحديث ولا ظريف المجلس ولا أحب أن أكون من ذوي الجاه.. كل ما عندي قلم لا أرضى أن أسخره في هدم الأشخاص لمجرد الهدم، ولا أن أستخدمه في بناء أشخاص طمعًا

في الغنـم، إنما هو خـادم بالمجان لأي فكرة كبيرة أدافع عنها، تلك هي كل مهمتي وكل مطلبي والباقي لا وزن له عندي.

فاستنكر الحمار كلامي قائلًا: ما هذا؟ تريد فكرة كبيرة وفلسفة عظيمة ولا تريـد الهـدم.. ولا الغنـم.. ولا المال.. ولا الجاه.. تريـد أن تعلن ذلك حتى يقولوا عنا: إنه حقيقة حزب حمير؟».

وانفجر الرئيس ضاحكًا :

«الله يجازيك يا أستاذ توفيق.. أهي دي فعلًا حكاية..».

لم يعلق الحكيم.. ولم يكلف نفسه النظر باتجاه الرئيس هذه المرة..

«سـألت حمـاري ذات يـوم عـن الفـرق بـين معـشر الحمـير ومعـشر الآدميين..

فأجاب الحمار:

وجدت أن الفرق الأساسي بيننا وبينكم هو أنكم تعرفون النفاق ونحن لا نعرفه وقد عللت نفسي ومنيتها بحلم جميل هو أن تعلمني النفاق لأنه لو أمكنني تعلم النفاق وإدخاله في فصيلة الحمير لانقلبنا مخلوقات مثلكم.

فلقـد أخـبروني أن أفـرادًا قاموا ينـادون بأفـكار حرة فاتهمهـم الناس بالإلحـاد.. فلم يكتفوا بالصمت، بل قاموا في اليوم التالي يحملون المسـابح الكهرمان ويرتدون العمائم الخضراء.

كـما أخـبروني عن سياسـيين قـد خلق الله لـكل منهـم وجهًـا واحدًا، فصنعوا هم لأنفسـهم وجوهًا عدة يستقبلون بها كل حكومة تقوم أو كل

أزمة وزارية تطرأ.. ومرءوسين يداهنون الرؤساء على حساب الدولة.. ورؤساء يراءون الشعب على حساب المصلحة.. وأهل دين يملئون الصحف ضجيجًا حول الأخلاق.. ويدقون طبلًا ضد الرذيلة.. وما يقصدون في سريرتهم غير التظاهر والإعلان.. ورجال تقوى يأمرون الناس بالعفة ويستثنون أنفسهم وذويهم.

أخبروني أيضًا أن المجتمع يشمئز من الآثم واللص والشرير والفاجر.. ولكن لو ابتسم الحظ لواحد من هؤلاء فنال سلطة.. أو أصاب ثروة فسرعان ما يبتسم له المجتمع أيضًا ويستقبله استقبال الأمجاد الأبطال..

هلا حققت حلمي وعلمتني النفاق؟».

وأخذ الرئيس يضحك حتى استلقى على قفاه.. ثم اعتدل جالسًا وأخرج منديله ليمسح دموعه التي انهمرت.. ورفع رأسه فجأة ليجد توفيق الحكيم واقفًا فوق رأسه.. وقد انتصب قوامه الذي أحنته السنون فبدا له عملاقًا مستندًا على عصاه.. وبصوت في برودة الثلج قال له الحكيم..

«يا فخامة الرئيس.. لقد كتبت روايتي (عودة الروح) في أعقاب ثورة 1919.. مستلهمًا الشرارة التي أشعلتها الثورة المصرية آنذاك.. وقلت فيها عن مصر: (أمة أتت في فجر الإنسانية بمعجزة الأهرام.. لن تعجز عن الإتيان بمعجزة أخرى... أو معجزات... أمة يزعمون أنها ميتة منذ قرون.. ولا يرون قلبها العظيم بارزًا نحو السماء من بين رمال الجيزة... لقد صنعت مصر قلبها بيدها ليعيش إلى الأبد).

كما قلت عن شعب مصر: ( إن هذا الشعب الذي تحسبه جاهلًا ليعلم أشـياء كثيرة.. لكنه يعلمها بقلبه لا بعقلـه... إن الحكمة العليا في دمه ولا يعلم... والقوة في نفسه ولا يعلم... ).

أنصحك بقراءة عودة الروح يا سـيدي الرئيـس ..كما أنصحك بقراءة أسـطورة إيزيس.. ولأسهل عليك الأمر في قراءة الأسطورة.. فاعلم أنني رمزت بأشـلاء أوزوريس لمـصر التي تقطعت أوصالها وتحترق شـوقًا لمن يوحـد صفها ويجمع شـمل أبنائها على هدف واحـد وقلب رجل واحد.. ولهذا خلق الزعماء.. هل فهمت يا سـيادة الرئيـس.. أم أطلب من حماري أن يفهمك ؟».

وظـل الرئيس مشـدوهًا في جلسـته ..وأخذ يتابع توفيـق الحكيم وهو يغادر المكان ويستمع لدقات عصاه على أرضية المعبد الحجرية..



# 12

# خــون إنبــو - الفلاح الفصيح

وعنـد العمـود التالي فوجـئ الرئيس عندما رأى شـابًّا أسـمر لوحت بشرته الشـمس.. وقد وقف عاري الصدر وقد ربط على وسطه قماشة من الكتـان الأبيض وانتعل في قدميه نعلين رقيقين من سـيور الجلد.. وأحاط بمعصمه الأيمن سوار يحمل نقوشًا هيروغليفية..

تردد الرئيس للحظات قبل أن يسأل الشاب ..

«هو حضرتك فرعوني.. أقصد من الفراعنة ؟».

«نعـم يا سـيادة الرئيس.. أنا خـون إنبو.. فلاح مـن وادي النطرون.. عشـت في عهد الملك نب كاو رع.. من ملـوك الأسرة العاشرة منذ حوالي أربعة آلاف ومائة سـنة ..أنا معروف في عصركم باسـم الفلاح الفصيح.. إشارة للمرافعات التسع التي تقدمت بها إلى رئيس البلاط الملكي ..عسى أن يرفـع الملـك عنـي الظلم الذي وقـع عـلي.. ويلتفت لما يلـم بالبلد من أهـوال.. وقـد أمر الملـك بكتابة هـذه المرافعات على برديـات.. وخلدها التاريخ لتصبح معروفة عندكم باسم شكاوى الفلاح الفصيح».

«تشرفنا.. بس ده إيه علاقته بيا.. أنا مالي ومال الفراعنة؟»

«لقـد اسـتدعاني مجمع الخالدين لأشـارك في محاكمتـك.. وطلبوا مني أن أتلـو عليك بعض مقاطع مرافعاتي.. وذلك لفرط التشـابه بين ظروف كتابتي لها وما يحدث في مصر الآن بعد أكثر من أربعة آلاف عام..».

بدت الحيرة على الرئيس ..لكنه قال للفلاح ..

«مش فاهم قصدك إيه.. عمومًا اقرأ لي يا أستاذ خون إنبو».

ونشر خون إنبو لفافة من البردي.. وبدأ يقرأ بصوت رخيم ..

«انظر ها هو العدل يرزح تحت ثقلك

مشردًا من مكانه

ومن عليه مكافحة الفقر يزيده والبلد بلا حول يغرق في بحره

ومن عليه محاربة البؤس يتسبب في الكوارث

من عليه مكافحة البؤس يفعل العكس

ومن عليه الحزم يتواطأ

ومن عليه إنصاف الآخرين يظلم

متى تشعر بقبح العفو عن المجرم؟».

«من يرى صار أعمى

من يسمع أصبح أصم

ومن يقود منقاد

آه يا سيدي، متى تعود لصوابك؟
تصرف كما يتوقع منك».
«كن ملجأ ولتكن ضفتك آمنة
انظر، ها هي مدينتك مرتع للتماسيح
لا تنطق الكذب، احفظ الموظفين منه
إن توازن الأرض هو تحقيق العدل
فلا تنطق بالكذب لأنك عظيم
لا تكن خفيفًا فأنت ذو ثقل
لا تقل الكذب لأنك الميزان
لا تخطئ لأنك الصواب
انظر، أنت والميزان واحد، يميل بميلك
لا تنحرف عن الطريق المستقيم عندما تقود الدفة
وإلا انقطع حبل الدفة».
«الأمان منعدم في البلاد
أيها السامع، لماذا لا تنصت؟!
ترى... لماذا لا تسمع؟
منذ الاعتداء علي والتمساح ينتصر

متى تتعلم من ذلك؟

على المرء قول الحقيقة ورمي الأكذوبة على الأرض»

«يا مدير البيت العظيم، يا سيدي

ميزان الناس لسانها

وميزان اليد يختبر الباقي

أنزل العقاب على من يستحق العقاب

فيتساوى العدل معك».

**«عندما يرحل الكذب ستعود الحقيقة مرة أخرى إلى مكانتها**

عندما تمر الأكذوبة تضل الحقيقة طريقها ولا تستطيع عبور النهر

من يفز بالغش فلا أولاد له ولا وارثين له على الأرض

من يبحر مع الكذب فلا يصل إلى اليابسة

وهذه السفينة لن تستطيع أن ترسو في ميناء».

أنهى خون إنبو تلاوته.. ولف برديته وأعادها إلى جرابها الجلدي.. ووقف منتصبًا أمام الرئيس الذي وقف غارقًا في عرقه..

«هل وصلت رسالتي واضحة يا سيادة الرئيس؟».

«مش عارف.. يمكن.. أعتقد آه.. يمكن ..».

واستدار الرئيس على عقبيه وقد انهمك في التفكير.. وغادر المكان

بخطـوات ثقيلـة وهو يعبث بشـعرات ذقنـه.. وجفل لصـوت خون إنبو يناديه ..

«انتظـر لحظة يا سـيادة الرئيس.. كلمة أخيرة..سـأعيد على مسـامعك مقطعًا.. ربما يكون فيه خلاصك».

فاستدار الرئيس ليستمع إليه ..

«من يرى صار أعمى

من يسمع أصبح أصم

ومن يقود منقاد

آه يا سيدي، متى تعود لصوابك؟

تصرف كما يتوقع منك».



# 13

## محمـــد التــــابعـــي

عنـد العمـود التالي.. وقـف أمـير الصحافة المصريـة محمـد التابعي.. بجاذبيتـه وأناقته الشـهيرة.. وقـد ارتدى بدلة بيضاء حكـى بياضها ضوء البدر الساطع ..

لاح الغضب في عينيه وهو يتابع بنظره الرئيس يقترب منه في خطوات متعثرة ..

«إزيك يا أستاذ تابعي ..» همهم الرئيس بصوت منخفض.

انفجر التابعي غاضبًا..

«في أسـوأ حـال.. مـاذا تتوقع يا سـيادة الرئيس ..؟ دماء الحسـيني أبو ضيـف لم تجـف بعـد.. أبنائي مكـرم محمد أحمـد ومحمـد شردي وإبراهيم عيسـى ومجدي الجلاد وبلال فضـل على قائمة اغتيـالات ضمن عشرات مـن قمـم الصحافـة والإعلام أهـدرت قوى الظـلام دمهم باسـم الدين والشريعة ..... مؤامرات صياغة القوانين التي ستكبل الصحافة وتسجن الصحفيين تحاك علنًا وعلى الملأ..».

«لا لا.. فيه بعض المبالغات من أطراف دسيسة.. واحنا ..».

قاطعه التابعي محتدًّا..

«كف عن هذه الترهات يا سيادة الرئيس وتذكر أنك تخاطب محمد التابعي.. أمير الصحافة المصرية الذي كانت مقالاته تهز الحكومات وتسقط الوزارات ولا يخاف ولا يتراجع.. وكلما سقط على الأرض قام يحمل قلمه ويحارب بالقوة نفسها والإصرار نفسه.. طوال حياتي وأنا لا أسكت على الحال المايل.. وكان رأيي دائمًا أن الصحافة تستطيع أن توجه الرأي العام وليست أن تتملقه أو تكتب ما يسره أو يرضيه ..أما رسالتي الصحفية فكانت أن أحارب الظلم أيًّا كان وأن أقول ما أعتقد أنه الحق ولو خالفت في ذلك الرأي العام..».

«ولكن يا أستاذ تابعي.. أكثر الصحفيين دول مأجورين.. وبيخدموا أجندات خفية ..و...».

فقاطعه التابعي ثانية وقد ارتفع صوته..

«لا تزال تصر على الهراء يا سيادة الرئيس.. لقد خلعوا على الصحافة لقب صاحبة الجلالة.. لكن صاحبة الجلالة تحمل على رأسها تاجًا من الأشواك.. فالصحفي يكتب وسيف الاتهام مسلط فوق رأسه وقليلون منا نحن الصحفيين هم الذين أوتوا الشجاعة لإبداء رأيهم ولا يبالون أن يتهموا في نزاهتهم وأنهم مأجورون ينالون ثمن مقالتهم من دولة ما أو من جهة ما..

... حقًّا ما أظلمكم ..إذا كتب الصحفي اتهم في نزاهته.. وإذا لم يكتب اتهم في شجاعته وبأنه لا يؤدي واجبه ورسالته».

وقف الرئيس مطرقًا ..ينظر إلى الأرض ولا يجرؤ على رفع عينيه ليواجه نظرات التابعي النارية.. بينما توقف التابعي ليلتقط أنفاسه ويعدل رابطة عنقه..

وواصل التابعي حديثه بصوت أقل ارتفاعًا ولكن أكثر حزمًا..

«اسمع يا سيادة الرئيس.. لقد سعيت لتكوين أول نقابة للصحفيين وكنت من أعضائها المؤسسين عام1941 .. ولن أسمح لك بالمساس أو التغاضي عن المساس بأي من أعضائها..

أستعيد بذاكرتي الآن مقالًا كتبته عام 1950 وهز عرش ملك.. مقالًا هاجمت فيه بضراوة الملك فاروق.. الذي كان أقوى منك جاهًا وسلطة وبطشًا.. أستعيد هذا المقال الذي كان عنوانه (يحيا الظلم) لأعيد بعض مقاطعه عليك.. كنار انبعثت من تحت الرماد لمقال مضى عليه ستون عامًا.. لكنني أجده لا يزال محتفظًا بصلاحيته ومصداقيته.. وإن اختلفت الأزمان والشخصيات..

( نعم.. يحيا الظلم.. ظلم كل جبار عاتية معتز بسلطانه وسطوته يدوس القوانين ولا يبالي، ويهدر الكرامات ويجعل من مصر أمثولة السوء وبصقة كريهة في فم الزمن.

نعم يحيا الظلم .. ظلم كل مطالب باحترام القانون ولا يحترمه وكل قادر على حماية القانون ولا يحميه وظلم كل عابث مستهتر يضرب للناس أسوأ الأمثال.

نعـم يحيـا الظلم لأنه خـير مرب للنفـوس.. ونفـوس المصريين تجيش بمعنـى واحـد.. صبرنا طويلًا ولـن نصبر بعد اليوم.. وتحملنـا كثيرًا ولن نتحمل بعد اليوم ) ...».

وقف الرئيس مشدوهًا وقد فغر فاه وفقد النطق.. نظر التابعي له نظرة طويلة ثم استدار موليًا له ظهره..



# 14

## محمـــد حســين الذهبـــي

واصـل الرئيس جولتـه في بهو الكرنـك وتوقف عند عمـود وقف إلى جواره شيخ مهيب يرتدي الجبة والقفطان وعمامة الأزهر الشريف.. لفت نظـر الرئيـس الضمادة الملطخة بالدمـاء التي غطت العين اليسرى للشـيخ الجليل..

«السـلام عليكم يا مولانـا.. اعذرني أنا مش عـارف حضرتك.. ألف سلامة على عينك ..».

نظـر الإمام الذهبـي بعينه السـليمة إلى الرئيس.. واختفت الابتسـامة السمحة من على وجهه مفسحة المجال لوجه عاتب جامد..

«أنا الشيخ محمد الذهبي.. حامل الدرجة العالمية بدرجة أستاذ في علوم القـرآن من كليـة أصول الديـن في جامعة الأزهر صاحب كتاب التفسـير والمفسرون ..أحد المراجع الرئيسـية في علم التفسـير.. عملت أسـتاذًا في كليـة الشريعة بجامعة الأزهر وجامعة الكويت.. وأسـتاذًا في كلية أصول الديـن.. ثم عميدًا لهـا ... ثم أمينًا عامًّا لمجمع البحوث الإسـلامية...ثم وزيرًا للأوقاف وشئون الأزهر ..».

«بسـم الله ما شـاء الله.. بسـم الله ما شـاء الله.. بـارك الله فيـك يا سيدنا الشيخ.. وجزاك خيرًا على ما قدمته لرفعة دينه الحنيف ».

«لقد جزاني الله كل خير وأنا الآن أنعم بمرتبة الشهداء والصديقين حيٌّ أرزق عند ربي الكريم ..أما دنياكم الفانية.. فقد غادرتها مقتولًا بتهمة الكفر..».

«الكفر.. أعوذ بالله.. إزاي يا سيدنا الشيخ.. أنا مش فاهم ..».

«يبدو أنك لا تعرف أو لا تتذكر قصتي ..

بدأت قصتي خلال السبعينيات.. عندما ظهرت في مصر جماعة التكفير والهجرة..إحـدى أخطر الجماعـات الإرهابية السرية التـي التحفت برداء الديـن وارتكبت باسـمه الكثير مـن الجرائم وجعلت مـن تكفير المجتمع والحاكـم وكل مـن لا يتبـع مبادئهـم ذريعة لسلسـلة من أحـداث العنف الدامـي .. والـذي اعتبرته سـبيلًا لتحقيق أهدافها في الوصول إلى سـلطة الحكـم والإطاحة بها بالقوة وتنصيب قادتها مـن القتلة والمجرمين حكامًا للبلاد وسـيفًا مسـلطًا عـلى رقاب العبـاد، ويفرضون على النـاس اتباع ما اعتنقـوه من أفكار مضللة وعقيدة ملتويـة وإلا اعتبروهم كفارًا خارجين على الإسلام.

وبحكـم موقعـي كوزير للأوقـاف قررت إصـدار كتيب يتـم توزيعه لتوعية الشباب وكشف التواء عقيدة هذه الجماعة المتطرفة..

قلت في تقديم الكتيب: ( يبدو أن فريقًا من المتطرفين الذين يسعون في الأرض فسـادًا، ولا يريدون لمصر اسـتقرارًا، قد اسـتغلوا في هذا الشباب

حماس الدين، فأتوهم من هذا الجانب، وصوروا لهم المجتمع الذي يعيشون فيه بأنه مجتمع كافر، تجب مقاومته ولا تجوز معايشته، فلجأ منهم من لجأ إلى الثورة والعنف، واعتزل منهم من اعتزل جماعة المسلمين، وأووا إلى المغارات والكهوف، ورفض هؤلاء وأولئك المجتمع الذي ينتمون إليه لأنه في نظرهم مجتمع كافر).

وأما الكتيب فقد تحدث عن معنى الإيمان في الإسلام وقال إن أحكام الإسلام تجري على كل من ينطق بشهادة لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وليس لنا أن نبحث في مدى صدق شهادته، فذلك مرتبط بما استشعر بقلبه وهو أمر لا سبيل للكشف عنه أو التثبت منه، فهو من شأن الذي يعلم السر وأخفى.. والمتفق عليه من أهل الإسلام أن الذي يعصم ماله ودمه بالشهادتين فهو المسلم.. وأن من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه مثقال ذرة من خير ليس مشركًا.. فليس هناك اشتراط أن تكون أعمال الشخص مصدقة لشهادته حتى يحكم بإسلامه وعدم كفره، إن الشخص يعتبر مسلمًا في ذات اللحظة التي ينطق فيها بالشهادتين..

وينصح الكتيب أولئك الذين يصنفون الناس إلى مؤمن وكافر أن يراجعوا أنفسهم.. وإلا باءوا بإثم ما رموا به غيرهم عملًا بقول الرسول عليه الصلاة والسلام ( لا يرمي رجل رجلًا بالفسق أو يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك) .

وبعد صدور الكتيب وانتشاره قام أفراد جماعة التكفير والهجرة باختطافي من منزلي بحلوان».

تساءل الرئيس مشدوهًا ..

«معقول يا سيدنا الشيخ ..خطفوك ؟».

«نعم يا سيادة الرئيس.. اختطفوني واحتفظوا بي رهينة..

ثم أصدرت الجماعة بيانًا تناقلته وكالات الأنباء.. اعترفت فيه بمسئوليتها عن اختطافي.. ووضعوا للدولة شروطًا مقابل الإفراج عني، طلبوا الإفراج عن جميع المقبوض عليهم من أعضاء الجماعة، ودفع مبلغ مائة وخمسين ألف جنيه للجماعة تعويضًا عما أصابها من أضرار بسبب الإجراءات الأمنية السابق اتخاذها حيالهم، واعتبار القضايا السابق اتهام أعضائها فيها كأن لم تكن، كما طلبوا أن تذيع الحكومة عبر وسائل الإعلام بيانًا تقول فيه بوضوح: إن المجتمع في حاجة إلى تغيير لنظام الحكم حيث إنه لا يأخذ بأحكام الشريعة الإسلامية.

وبالطبع فقد رفضت الدولة مطالب الجماعة كاملة.. وعندها كانت حياتي هي الثمن.. إذ قام أحد أعضاء الجماعة بإطلاق النار من طبنجة على عيني اليسرى فمت فورًا ..

ولكن ربك بالمرصاد.. فقد تم القبض على الجناة فسجن من سجن وأعدم من أعدم».

تنهد الرئيس قائلًا ..

«الله يرحمك يا مولانا.. الحمد لله إن البلد خلصت من المجرمين دول..».

ظهر الغضب على وجه الشيخ.. وطلب من الرئيس أن يقترب منه..

اقـترب الرئيس حتى وقـف في مواجهته ..وفي حركة مفاجئة نزع الشـيخ الضـمادة التـي تغطي عينـه اليسرى.. تراجـع الرئيس فزعًا وهـو ينظر إلى الثقب العميق الذي خلفته الرصاصة التي أطلقت على عين الشيخ.. وقد امتلأ بكتلة من العظام المهشمة واللحم المتهتك والدم المتجمد..

«انظر يا سـيادة الرئيس إلى هذه العين التي نذرت نفسـها لقراءة كتاب الله ولدراسـة عقيدتـه وكتابة أحـد أكبر مراجع التفسـير.. هذه العين صوبت عليها رصاصة قاتلة باسم الله وبحجة نصرة الإسلام ..وكان آخر ما سمعته هو صيحة الله أكبر يهتف بها مطلقها قبل أن يضغط الزناد..».

«الله والإسلام بريئان من القتلة دول..».

«إذا كنت حقًّا مع الله وتبرأ منهم.. فكيف تقول ذلك يا سيادة الرئيس وقد اتخذت من بقايا هذه الجماعة ومن شابههم بطانة وحلفاء ..؟

كيف تقول ذلك ونفس ممارسـات العنـف والتكفير والترهيب تحدث أمـام ناظريك وملء سـمعك وتتغاضى عنها حتى لا تخـسر كتلة تصويتية أو تحالفًا انتخابيًّا؟

كيف تقــول ذلك وقــد أخرجــت الكثير منهــم من السـجون بعفو منك؟

كيف تقول ذلك وقد أصبحوا يمارسون أنشطتهم الإرهابية والتكفيرية فـوق منابـر المسـاجد وعلى أثـير قنواتهـم الفضائيـة وصحفهـم الخاصـة ومواقعهــم الإلكترونيـة.. وبـدلًا من عقدهـم اجتماعاتهـم الإجرامية في

صحاري وكهوف الصعيد.. أصبحوا يعقدونها في قاعات أفخم الفنادق.. بل في الأبنية الحكومية ..

كيف تقول ذلك وأجهزتك الرقابية تغض النظر عن علاقاتهم الخارجية ومصادر تمويلهم..

لن أسـالك إلى أين أنت ذاهب بمصر.. بل أسـألك إلى أين أنت ذاهب بالإسلام ؟ ..

حسبي الله ونعم الوكيل ..حسبي الله ونعم الوكيل».

وغادر الرئيس مسرعًا.. وصوت الشـيخ الذهبي يلاحقه.. حسبي الله ونعم الوكيل ..حسبي الله ونعم الوكيل..



# 15

# طــه حســين

وعنـد عمـود آخر وقف عميـد الأدب العربي.. الدكتور طه حسـين.. بملامحه الصارمة ونظارته السـوداء.. وما كاد الرئيس يفتح فمه لتحية طه باشا حتى قاطعه قائلًا..

«يـا فخامـة الرئيـس.. أنت تعلـم جيدًا أن فكـري والفكر الـذي تمثله مختلفـان ولن يلتقيـا ..ومهما حاولت أن تبرر أو تجمـل آراءك.. فلا تتوقع أن تجد لما تقوله صدى في عقلي.. فلا تقاطعني ولا تحاول أن تحاورني.. فما أتيت لكي أحاورك.. فقط استمع لما سأقوله..».

«يـا فخامة الرئيـس.. إن حاضرنا قلق.. ومسـتقبلنا غيـب.. وماضينا ملعون..».

في أحد كتبي قلت: «إن التاريخ سخيف لا خير فيه إن كان يعيد نفسه، لأن ذلك يدل على أنه لم يستطع للناس وعظًا ولا إصلاحًا»..

وإني حقًّا لأرى التاريخ يعيد نفسه..

وقلـت : «فلنبتهل إلى الله في أن يبرئنا من علة الكلام الكثير ، فلعلنا إن برئنـا مـن هذه العلة أن نجـد العزاء عن آلامنا وكوارثنـا ، في العمل الذي يزيل الآلام ، ويمحو الكوارث ، ويجلي الغمرات» ..

وما أكثر كلامك وخطبك ..

كما أكدت أنه : «لو أدبه الشعب حين كذب كذبته الأولى لما عاد إلى الكذب مرة أخرى».

..وللأسف لم يؤدبك الشعب ..واستحللت الكذب ..

يا فخامة الرئيس أنصت جيدًا ..فإني أرى صورة أدبية تخيلتها ماثلة أمامي الآن.. وكأنما قد كان رفع عني الحجاب لأرى المستقبل وقت أن كتبتها ..

«ولكن السحابة تسعى متثاقلة متباطئة في جد مع ذلك وتصميم، وقد قَدّمت بين يديها نذرًا لم تسمع لها مصر ولم تصغ إليها.. وما تزال السحابة في سعيها تسبقها ظلمات.. وتكتنفها ظلمات.. وتتبعها ظلمات.. حتى تبلغ وادي النيل فتطبق عليه إطباقًا.. وإذا هي تحجب عنه الضوء.. وتصدّ عنه النسيم.. وتضطره إلى حياة فيها البؤس كل البؤس.. وفيها الشقاء كل الشقاء .. وفيها العودة إلى ذل كانت مصر قد برئت منه.. وإلى خمول كانت مصر قد حطّت عن نفسها أثقاله.. وإلى يأس كانت مصر قد فرجته عن نفسها تفريجًا.. وإذا نفوس تزهق.. ودماء تراق.. وآمال تُحطم.. وعزائم تُفل.. وقلوب يملؤها القنوط.. ووجوه يغشّيها العبوس.. وثغور كانت تبتسم فمُحِي عنها الابتسام محوًا.. وإذا حزن متصل ويأس مقيم.. وإذا أمور مصر ليست إليها.. وإذا هذه الأسباب التي كانت مصر تمدها موفقة إلى مجد جديد تقطع تقطيعًا.. وإذا السلاسل والأغلال تفرض على هذا الشعب الذي كان قد حطم السلاسل والأغلال»...

كأني كنت أصف ما يحدث الآن ..

يـا فخامة الرئيس.. إذا أردت أن تتعلم مـن دروس التاريخ فضع دائماً نصب عينيك أن :

مصر خليقة أن يُحسب لها حساب حين ترضى.. وأن يُحسب لها حساب حين تغضب.. وأن يُحسب لها حساب حين تريد ..

هل علمت الآن لماذا لا أريد أن يكون بيننا حوار؟»

وأطـرق الرئيـس في خجل.. بينـما عقد طه حسـين ذراعيه على صدره وأطبق شفتيه ..

وبعد لحظات من الصمت الثقيل.. غادر الرئيس..



# 16

# العريف محمد العباسي
# المشير أحمد إسماعيل
# المشير عبد الغني الجمسي
# الفريق سعد الدين الشاذلي

واصل الرئيس رحلته في بهو الكرنك ليتوقف أمام ممر طويل يفضي إلى حجرة داخلية.. لفت نظره النور المشع منها. والذي جعلها تتلألأ وسط ظلال الأعمدة التي سبحت في الضوء الوحيد الذي أسبغه البدر الساطع عليها ..

اقترب الرئيس بحذر من الحجرة.. التي عرف فيها بعد أنها حجرة قدس أقداس معبد الكرنك..

استجمع شجاعته وخطا إلى داخلها.. وجد أمامه في صدر الحجرة منصة عالية ..تصدرها ثلاثة رجال مهيبين يرتدون الزي العسكري.. وقد غطت صدورهم النياشين والأوسمة.. لم يستطع في بادئ الأمر تمييز وجوههم إذ بهر الضوء الساطع عينيه.. وعلى يمين المدخل وقف رجل أسمر البشرة.. سمح الوجه له لحية بيضاء خفيفة.. وقد ارتدى جلبابًا ريفيًا رمادي اللون.. ولف رأسه بلاسة بيضاء..

ابتدره الرئيس قائلًا وهو يفرك عينيه ..

«سلام عليكم.. النور جامد أوي هنا.. ومين بأه حضرتك ..؟

«أنا محمد عبد السلام العباسي.. كاتب في الوحدة الصحية في القرين - مركز فاقوس - محافظة الشرقية .».

لاحت الدهشة على وجه الرئيس..

«أهلًا يا بلدينا.. تشرفنا.. بس اعذرني.. قلت: كاتب في الوحدة الصحية؟.. طب إنت موجود هنا ليه ؟».

ضحك العباسي ضحكة صافية ..

«يا سيادة الرئيس.. أنا لست هنا بصفتي كاتبًا في الوحدة الصحية.. أنا هنا بصفتي أول من رفع علم مصر يوم العبور العظيم على أول نقطة تم تحريرها من سيناء الحبيبة يوم 6 أكتوبر سنة 1973 .. كذلك اختارني قادتي العظماء متحدثًا بالنيابة عنهم.. فهم لا يرغبون في الحديث إليك.. إذ يعتبرون أن الصمت هو أبلغ وسيلة للتعبير عن شعورهم تجاهك»..

قال العباسي ذلك وأشار بذراعه إلى المنصة المرتفعة خلفه.. تابع الرئيس ذراعه بنظره.. وكانت عيناه قد تعودتا الضوء . شهق الرئيس وتراجع إلى الخلف عندما التقت عيناه بالنظرات الغاضبة للمشير أحمد إسماعيل.. والمشير عبد الغني الجمسي.. والفريق سعد الدين الشاذلي ..

اختفت الابتسامة من على وجه العباسي وقال للرئيس ..

«البشوات قالوا لي أوصلك رسالتين.. بيقولوا لك لا تعبث مع الجيش وأن سيناء خط أحمر».

جفل الرئيس واحمر وجهه ثم قال متلعثمًا..

«ي ..ي.. يعني إيه ؟».

«الجزء الأول ليس لي دخل به ولا أفهمه.. أكيد سعادتك أدرى بما يقصدون ..

أما الجزء الثاني فسأوضحه لك إذا لم يكن واضحًا.. دعني أولًا أحكِ لك قصتي..

انضممت للخدمة العسكرية في الأول من شهر يونيو عام 1967 ومن سوء الحظ كانت النكسة بعدها بعدة أيام.. عشت وزملائي أيامًا حزينة.. ولكننا لم نيئس ولم يخفف عنا إلا ما كنا نحققه من انتصارات محدودة خلال حرب الاستنزاف التي بدأت في مارس سنة 1968 .

وفي يوم الجمعة 5 أكتوبر 1973 كانت خطبة الجمعة عن منزلة الشهيد عند الله.. وكيف أن الروح رخيصة في سبيل الأرض وكرامة الأجيال القادمة.. وأقيمت الصلاة ويومها كنا نسجد على علم مصر . وفي عصر الجمعة جمع قائد الكتيبة قادة الفصائل والجماعات.. وجاءت التعليمات بأن نفطر يوم السبت 10 رمضان الموافق 6 أكتوبر ..وصدرت الأوامر بأن ساعة الصفر الثانية ظهرًا، والساعة الثانية وخمس دقائق قذف مدفعية أولي بعدها ينطلق الطيران ليوفر الغطاء الجوي لعبور سلاح المشاة..

وفي صباح السبت صرفت وجبة الإفطار.. وجرت عملية تمويه للعدو بأن نقضي الصباح في الاسترخاء وغسيل الملابس ولعب الكرة . وجاءت ساعة الصفر وانطلقت كلمة السر: ( الله أكبر) .. وضربت الدبابات

الأبـراج الإسرائيلية بخـط بارليف.. وتم تدمير تحصينـات العدو الخلفية بالطيران، وقمنا بعبور القناة..».

نظر الرئيس إلى الدموع وهي تنهمر من عيني العباسي الذي أعادته الذكريات إلى لحظات النصر.. ومسح العباسي عينيه بكمه.. وواصل سرد قصته..

«عبرنـا قناة السـويس وكنت في طليعـة المتقدمين نحو دشـمة حصينة بخط بارليف ولم أهتم بالألغام والأسـلاك الشـائكة وقمت بإطلاق النار على جنود حراسـة الدشـمة الإسرائيليـة وفي نفس الوقـت كانت المدفعية المصرية تصب نيرانها على الدشـمة ، وتمكنت من قتل أكثر من ثلاثين فردًا مـن الإسرائيليين.. ثـم انتزعت العلـم الإسرائيلي ومزقتـه ورفعت العلم المـصري ليرفرف مكانه فوق أرضه.. أصبيت فخذي اليسرى بدفعة نيران فلم أبالِ وظللت متمسكًا بالعلم.. في هذه اللحظة انحنيت وأخذت حفنة من رمال سيناء ووضعتها في جيبي لأحملها إلى أسرتي..».

عادت الدموع لتنسـاب من عينـي العباسي على وجه أضاءته ابتسـامة النـصر والثـأر.. جفـف دموعـه والتقت عينـاه بعينـي الرئيـس فاختفت الابتسامة من على وجهه.. ثم خاطبه مقطبًا..

«قل لي ماذا تنوي أن تفعل بسيناء يا سيادة الرئيس ..».

«كل خير إن شاء الله.. إحنا ناويين ننميها.. و ..».. قالها الرئيس مختلسًا النظر للقادة الغاضبين على المنصة.. ولكن العباسي قاطعه..

«لا أظـن.. مـاذا عن بيـع الأراضي لأهل غزة ؟.. مـاذا عن الاختراق غير المسـبوق للاسـتخبارات الأجنبية ؟.. ماذا عن دمـاء جنودنا الطاهرة

التي سالت على الحدود ..؟ ألم تحذر تقارير المخابرات من استهدافهم؟ ماذا عن سيارات نقل الجنود التي تنقلب على الطرق السريعة كل يوم؟ ماذا عن أقسام الشرطة التي تطلق عليها النيران كل يوم؟ ماذا عن الإمارة الإسلامية الجهادية التي أعلن عن قيامها في شمال سيناء؟ ماذا عن تردي الأمن الذي ضرب السياحة في مقتل وقطع أرزاق الآلاف ؟».

«سيناء في خطر يا سيادة الرئيس..

.. وحق ست سنوات طوال قضيتهما على الجبهة منتظرًا النصر أو الشهادة وأنا أنظر بأسى للضفة الشرقية للقناة وأرى العلم الإسرائيلي يرفرف فوق سيناء.. وحق دموع الفرح التي اختلطت بدمائي يوم العبور لتروي رمالها العطشى لحضن مصري.. وحق كل شهيد وجريح وأسير..».

«أقسم لك يا سيادة الرئيس.. لو يوم رفرف أي علم غير علم مصر على شبر من أرض سيناء.. إسرائيليًا كان أو فلسطينيًا.. أقسم بعزة الله وجلاله.. لأمزقنك بأسناني تمزيقًا..»

واستدار العباسي مواجهًا المنصة.. وضرب الأرض بقدمه ليتخذ وضع الانتباه في جلبابه الرمادي.. ورفع يده بالتحية العسكرية.. فانتفض القادة الثلاثة قيامًا رافعين أيديهم بالتحية العسكرية للعريف العباسي ..

وانسحب الرئيس في صمت من الغرفة المضيئة إلى ظلال ساحة المعبد..



# 17

## ميــــلاد حنــــا

عند العمود التالي وقف الدكتور ميلاد حنا.. عملاق أسمر كلل هامته تاج من الشعر الأبيض..

نظر الدكتور ميلاد بعتاب إلى الرئيس وقال له..

«لم تحضر جنازتي ..ولم تهتم حتى بإرسال من يمثلك لحضورها».

تنحنح الرئيس وقال..

«البقاء لله يا دكتور.. ما حدش والله قال لي إنك مت».

لمع الغضب في عيني الدكتور ميلاد فبدتا كجذوتين تعكسان ضوء القمر وسط وجهه الذي يحمل سمرة صعيد مصر العريق ..

«لقد تجاهلت مؤسسة الرئاسة كلها خبر وفاتي.. بالرغم من الاهتمام الإعلامي الكبير بها.. وقد تشرفت بأن يشيع جثماني من الكاتدرائية المرقسية.. وبأن يقوم البابا تواضروس بنفسه بترؤس قداس الجنازة التي حضرها أقطاب المجتمع المصري.. مسلمين ومسيحيين.. واستنكر الجميع عدم حضور ممثل عن الرئاسة.. فكان تعليق د. رفعت السعيد: (لا تستحق الرئاسة أن تنال شرف حضور جنازته)».

انفعل الرئيس قائلًا ..

«ليه بس الغلط ده ؟ وبعدين الدكتور رفعت بيبالغ.. ودايمًا يلبس كل حاجة طاقية الطائفية.. لأ.. لأ.. هو بيزودها.. أنا حاكلم البابا يقول له يفرمل شوية ..».

رد الدكتور ميلاد ضاحكًا..

«رفعت السعيد مسلم يا سيادة الرئيس ..».

«مسلم.. ؟.. إمال محموق على إيه ..؟».

• نظر الدكتور ميلاد إلى الرئيس متعجبًا ..

«محموق على مصر وقممها الذين لا تعترف منهم إلا بمن هم على هواك ..

محموق لأنك في كل يوم بتثبت فشلك في أن تكون رئيسًا لكل المصريين..

محموق على الطاقم المحيط بك.. والذي يتفنن.. بخليط من الجهل والتعصب.. في تكريس عزلتك عن واقع المجتمع المصري وحصرك في نطاق أهلك وعشيرتك ..

وبالمناسبة يا سيادة الرئيس.. هل تعلم من هو ميلاد حنا ؟ ..».

هز الرئيس رأسه سلبًا.. وقد تصبب عرق الخجل من جبينه.

رد الدكتور ميلاد باعتزاز..

«أنـا الكاتـب والمفكر السـياسي وأسـتاذ الهندسـة الإنشـائية.. أنا ابن مـصر البـار.. الـذي وهـب عمـره لشـعبها.. كان شـغلي الشـاغل هـو إيجـاد حـل لمشـكلة الإسـكان في مـصر وأمـن مـصر المائـي والغذائـي.. اهتممـت بقضايـا حـوض النيـل والشـأن السـوداني.. وكانـت قضيتـي الكـبرى هـي قضيـة الوحـدة الوطنيـة والاندمـاج الإنسـاني العريـق بين المسـلمين والأقبـاط في مـصر ..والدفـاع عـن طبيعـة المجتمـع المـصري الـذي يعتمـد على التسـامح وقبول الآخـر ويرفض الطائفيـة والتعصب. كان لي الفخر أن أكون واحدًا من بين رموز الحركة الوطنية الذين شملتهم اعتقالات سـبتمبر 1981 في عهد السادات.. كنت رئيسًا للجنة الإسكان بمجلس الشعب لأربع سـنوات خلال عهد مبارك.. ثم قدمت استقالتي عندما شعرت بعجزي عن طرح أفكاري الحقيقية وممارسة دوري الوطني المطلـوب عندمـا رأيت أن الحـزب الوطني هـو حزب دولة وليـس حزبًا جماهيريًّا يسـتمد قوته مـن مؤيديه وأنصاره.. وعندما شـاهدت ما يحدث من انتخابات مزورة وحريات مسلوبة ..

ألفـت العديـد مـن الكتـب التـي تركز على مشـاكل مـصر الاجتماعية والسياسـية.. منهـا: ( أريـد مسـكنًا).. (نعـم أقبـاط لكـن مصريـون).. (ذكريات سـبتمبرية).. و(قبول الآخر) ..و( الأعمدة السـبعة للشخصية المصرية).. هل قرأت أيًّا منها يا سيادة الرئيس؟».

هز الرئيس رأسه سلبًا ..

«أنصحك بقراءة الأعمدة السـبعة للشخصية المصرية.. عسى أن تفهم

البلد الذي قدر لك أن تحكمه.. وتكتشف فداحة الأخطاء التي ترتكبها.. خلاصة الكتاب أن كل مصري مهما تكن درجة علمه أو ثقافته.. ابتداء من أستاذ الجامعة المتعمق والمتفتح على حضارات عصرية إلى الفلاح البسيط الذي لا يقرأ ولا يكتب في عمق الريف أو صعيد مصر يكون متأثرًا بالزمان والمكان.. ومن ثم فكل مصري يحمل في أعماقه تراث أمته من العصر الفرعوني وإلى يومنا هذا.. مرورًا بمراحل اليونانية – الرومانية.. ثم القبطية فالإسلامية.. بالإضافة للبعد الزمني.. فلابد أيضًا أن يكون متأثرًا بالمكان ..أي بالموقع الجغرافي ..ومن ثم فهو عربي لأن مصر تقع فى موقع القلب بالنسبة للمتكلمين بالعربية.. ثم هو بحر أوسطي بحكم الإطلالة التاريخية والجغرافية على هذا الحوض العتيد الذي تكونت من حوله حضارات العالم وفوق ذلك وقبله فهو إفريقي بحكم النيل الذي ينبع من قلب إفريقيا وبحكم موقع مصر..

فإذا أردت أن تفهم أو تخاطب المواطن المصري أو ترسم طريقه.. فهناك سبعة أعمدة.. أربعة من التاريخ وثلاثة من الجغرافيا يجب أن تضعها نصب عينيك ..».

فرد الرئيس مرتبكًا ..

«مش فاهم.. مش شايف إني باعمل حاجة غلط ..».

«عندما تجرد عامل التاريخ من ثلاثة أرباعه.. وتمحو الإرث الفرعوني والإغريقي الروماني والقبطي من الشخصية المصرية.. فإنك تعرضها للانهيار وفقدان الهوية بغض النظر عن كون المواطن مسلمًا أو مسيحيًا..».

رمش الرئيس بعينيه عدة مرات.. ثم قال ..

«برضه.. لسه مش فاهم ..».

تنهد الدكتور ميلاد .. ثم واصل حديثه ..

«عندما تتحول الحضارة الفرعونية إلى منظومة من الأصنام والشرك.. واليونانية الرومانية إلى مجموعة من الأساطير.. والإرث القبطي إلى عقيدة محرفة.. حتى التاريخ الإسلامى ناله مقص الرقيب ليبقى فيه فقط ما يرضى عنه مشايخكم بحجة تطهيره من البدع والمستحدثات..

ماذا يتبقى من البنيان الحضاري للشعب المصري بعد اختزال آلاف السنين والتبرؤ منها؟

هل غرضكم هو أن يتساوى المصريون حضاريًا مع حلفائكم الخليجيين الذين بدأ عهدهم بالحضارة في سبعينيات القرن العشرين؟ ..

هذا بالنسبة لأعمدة التاريخ الأربعة.. أرجو أن تكون قد فهمت الآن يا سيادة الرئيس».

رد الرئيس هازًّا رأسه ..

«أيوه.. أيوه.. تقريبًا..».

«أما أعمدة الجغرافيا الثلاثة.. فهي ليست أفضل حالًا.. فالثوابت الجغرافية صلة وعلاقة بحكم الموقع ..وكأي علاقة.. يجب بذل الجهد لتنميتها والتخطيط لتطويرها وذلك لضمان الاستمرارية.. ولكن للأسف العامود العربي اختزلتموه في علاقتكم مع قطر واستكفيتم.. والعمود

البحر أوسطي اختزلتموه في علاقتكم مع تركيا واستكفيتم.. وأما العمود الإفريقي فقد سقط سهوًا وتجاهلتموه تمامًا..

بالله عليك يا سيادة الرئيس.. إلى أين أنتم آخذو مصر؟ ..».

وبالطبع.. لم يجد الرئيس ما يرد به على الدكتور ميلاد.. وغادر المكان محرجًا متعثرًا في جلبابه..



# 18

# مصطفى المراغي

اقترب الرئيس من العمود التالي ليرى شيخًا مهيب الطلعة.. أزهري الزي والعمامة.. كان الشيخ منشغلًا بالتسبيح على مسبحة من الكهرمان وقد خفض ناظريه في تواضع نحو أرض المعبد.. تقدم الرئيس بحذر نحو الشيخ.. وتمعن في وجهه ولكنه لم يعرفه ..

«أعذرني يا سيدنا الشيخ.. اللي ما يعرفك يجهلك ..».

واصل الشيخ تسبيحه حتى أنهى ورده ثم رفع عينيه نحو الرئيس..

«أنا الشيخ مصطفى المراغي.. شيخ الأزهر ومطوره.. وناقله من الجامع إلى الجامعة.. ومن الماضي إلى المستقبل.. قيل عني : إن كان جوهر قد بنى الحجر، فإن المراغي قد بنى الجوهر.. خلال شياختي الأولى للأزهر. التزمت منهجًا إصلاحيًا أقلق القصر الملكي ..ورفعت مذكرة للقصر تشرح خطتي لتطوير وإصلاح الأزهر.. ولكن الملك فؤاد ومن خلفه الإنجليز كان يضيق بآرائي الإصلاحية فرفض مذكرتي.. فرفضت الاستمرار في منصبي واستقلت من مشيخة الأزهر ..

فحاول رئيس الوزراء عدلي يكن باشا إثنائي عن الاستقالة بلا نتيجة..

فطلب مني رئيس الديوان الملكي توفيق نسيم باشا الحضور إلى مكتبه في السراي لمناقشة الاستقالة.. فقلت له: إذا أردت مقابلتي فاحضر إلى منزلي.. فاستغرب توفيق نسيم وقال لي: لكني أمثل الملك.. فكان ردي عليه ... وأنا خادم الله.. وخادم الله أقوى من ممثل الملك..

فكنت أول وآخر شيخ للأزهر يترك منصبه برضاه.. وعين الملك الشيخ الظواهري الذي كان قريبًا منه خلفًا لي ..

فاندلعت الثورة.. وانتفض شباب علماء الأزهر مطالبين بتنحية الشيخ الظواهري.. رافعين شعار ( إما تحت راية المراغي.. وإما إلى القرى تاركين الأزهر للبوم والغربان) وتفاقم الوضع وعم الإضراب حتى علقت الدراسة في الأزهر وترك الأزهر الكثير من العلماء.. وفي النهاية استجاب الإنجليز والملك لضغط شباب الأزهر وتمت تنحية الشيخ الظواهري وعدت مكرمًا إلى منصبي.. مؤكدًا قاعدة ذهبية ليلتزم بها التاريخ.. وهي أن شيخ الأزهر ليس فوقه إلا الله ..».

ابتلع الرئيس ريقه وقال مبتسمًا ابتسامة صفراء ..

«فعلًا يا مولانا.. وده اللي بنقوله دايمًا وأكدناه في الدستور ..ووضعنا شيخ الأزهر في مكانة مميزة».

«أليست هذه هي الصفقة التي حكى عنها حلفاؤك.. ألم يقولوا إنهم عقدوا صفقة مع الأزهر ليمرر تفسيرات الشريعة كما يمكرون ؟.. ألم يقولوا إنهم سيجدون بعد ذلك طريقة لعزل شيخ الأزهر كما حدث مع النائب العام ؟».

وبهت الرئيس ثم أجاب متلعثمًا ..

«الحكايـة مش كده بالظبط يا مولانا.. فيه شـوية سـوء تفاهم وشـوية مغالطات.. وفضيلتك عارف المزايدات اللي....».

فقاطعه الشيخ المراغي غاضبًا ..

«ارفعـوا أيديكـم عـن الأزهـر.. أقولهـا لـك واضحـة جلية يا سـيادة الرئيس.. ارفعوا أيديكم عن الأزهر..

سأقص عليك قصة عسى أن تكون عظة لك ولمن معك ..

عندما اندلعت الحرب العالمية الثانية قلت: إن مصر لا ناقة لها ولا جمل في هـذه الحـرب، وإن المعسـكرين المتحاربـين لا يمتان لمـصر بأية صلة... فغضبـت الحكومـة البريطانيـة لتصريحـاتي وحدثـت أزمة سياسـية هزت الحكومة المصرية.. فقام حسـين سري باشـا رئيس الـوزراء بالاتصال بي، وخاطبنـي بلهجة حادة طالبًا مني أن أخبره مقدمًا بأي شيء أريد أن أقوله فيما بعد حتى لا أتسبب في إحراج الحكومة المصرية..

فـرددت عليـه قائـلًا: أمثلك يهدد شـيخ الأزهر؟ شـيخ الأزهر أقوى بمركـزه ونفوذه بين المسـلمين مـن رئيس الحكومة.. ولو شـئت لارتقيت منـبر مسـجد الحسـين، وأثـرت عليـك الـرأي العـام.. ولو فعلـت ذلك لوجدت نفسـك على الفور بين عامة الشـعب.. واعلم كذلك أني أستطيع أن أقيل المندوب السـامي ذات نفسـه بخطبة واحدة مني على منبر الأزهر أو مسجد الحسين ..».

فتجمد الرئيس في وقفته واجمًا ولم يجرؤ على الرد.. وواصل الشيخ المراغي حديثه ..

«احذروا الأزهر ولا تجعلوه عرضة لألاعيبكم ومغامراتكم السياسية.. فلن تكونوا أقوى من الحكومة والسراي والإنجليز مجتمعين ..».

تمتم الرئيس بصوت خافت ..

«إن شاء الله سنكون عند حسن ظنك يا فضيلة الشيخ «واستدار ليغادر المكان فاستوقفه الشيخ المراغي..

«انتظر مكانك.. فأنا لم أفرغ منك بعد.. والآن قل لي.. ما هذه الانتكاسة العلمية التي يمارسها من حولك من دعاة العلم؟

كان رأيي دائمًا أن المفكرين وعلماء الدين والمؤرخين والفلاسفة والرياضيين العظام والمسلمين المتقدمين لم تكن أحلامهم قط أن أفكارهم من بعد قرون عديدة بدلًا من أن تستثمر وتنمو وتتطور.. أن من أقدارها أن تظل تعاد وتعاد كأنها حقائق ثابتة غير قابلة للخطأ.. نحن لو أردنا أن نبدل حالنا بأحسن منه علينا أن نشجع الفكر الحي بدلًا من تقليد ما سبق من أفكار.. وهذا هو الطريق إلى الإسلام..

يا سيادة الرئيس، قل للمحيطين بك من متنطعي السلفية إن الجمود عند الموروث.. والاكتفاء به مصادم لما تقضي به طبيعة الكون وطبيعة كل حي من النمو والتوليد.. والتناسل الفكري كالتناسل النباتي والحيواني والإنساني.. كلاهما شأن لابد منه في الحياة ..ولو وقف التناسل الفكري لفشل الإنسان في القيام بمهمة الخلافة الأرضية التي اختير لها ووكلت

إليه منذ القدم.. فالجمود جناية على الفطرة البشرية.. وسلب لميزة العقل التي امتاز بها الإنسان.. وإهدار لحجة الله على عباده.. وتمسك بما لا وزن له عند الله.. وقد قلت لصائغي القوانين منذ أكثر من سبعين عامًا : ضعوا من المواد ما يبدو لكم أنه يوافق الزمان والمكان.. فالشريعة الإسلامية فيها من السماحة والتوسعة ما يجعلنا نجد في تفريعاتها وأحكامها في القضايا المدنية والجنائية كل ما يفيدنا وينفعنا في كل وقت».

أطرق الشيخ المراغي وبدا على ملامحه التفكير العميق.. ووقف الرئيس مترددًا ينتظر الإذن بالمغادرة.. رفع الشيخ المراغي رأسه وقال للرئيس ..

«قل أيضًا لرفاقك من أشباه الشيوخ ذوي العقول المتحجرة: إنني كنت من أكبر المعجبين بالأديبة مي زيادة.. صاحبة أشهر صالون أدبي في الشرق.. ووقفت بجوارها في محنتها عندما اتهمها أقرباؤها ظلمًا بالجنون وأودعوها بمشفى للأمراض النفسية في بيروت.. كنت أتابع أخبارها وأرسل من يسأل عن أحوالها.. وعندما عادت إلى مصر كانت أولى زيارة تقوم بها هي زيارتي في مشيخة الأزهر ..

أذكر بوضوح ذهابي إلى أول محاضرة ألقتها في الجامعة الأمريكية بعد عودتها وأذكر كيف دمعت عيني وأنا أستمع لسحر منطقها بعد طول غياب..

هكذا كنا نحن كبار أئمة الإسلام منذ سبعين عامًا يا سيادة الرئيس.. أهل علم ودين وثقافة ورقي.. فأين من يدعون أنهم شيوخ الآن «..وتنهد الشيخ وهز رأسه قائلًا: لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» ..

وأدار ظهره للرئيس الذي غادر مسرعًا.

# 19

# تحيــة كــاريــوكا

عند العمود التالي وقفت امرأة جميلة.. تشع عيناها بمزيج نادر من الذكاء والجاذبية.. وقد حملت شخصيتها القوية شهامة عشرة رجال جنبًا إلى جنب مع دلال الأنثى وسحرها..

وقف الرئيس يحملق فيها مشدوهًا وهو يشبه عليها.. فابتدرته قائلة..

«أيوه يا سيادة الرئيس.. مضبوط.. أنا تحية.. تحية كاريوكا ..».

فهتف الرئيس مستنكرًا..

«الرقاصة ؟ أستغفر الله العظيم ..».

وخفض الرئيس صوته وواصل محدثًا نفسه وهو يضرب كفًّا بكف..

«ده إيه يا خويا المكان الغريب ده.. بقى بعد شيخ الأزهر تطلع لي رقاصة.. !

وآل إيه.. مجمع الخالدين».

كظمت تحية كاريوكا غيظها.. وبنبرة واثقة خاطبت الرئيس ..

«أنا سامعاك يا سيادة الرئيس.. مجمع الخالدين لا يختار أعضاءه تبعًا

لمهنتهـم أو مؤهلاتهـم.. بل تبعًا لانتمائهم وعطائهـم لمصر العظيمة.. فعلى سبيل المثال ..أرى أنك قد قابلت فلاح وادي النطرون الفصيح.. ولكنك لـن تجـد فرعونه هنـا.. المجمع يمثل مـصر بتنوعهـا وثقافاتهـا وعقائدها وأطيافهـا المختلفـة.. وعـدد أعضائه يقـدر بالآلاف.. فمـصر ولّادة على مدى العصور..

وقـد يختلـف الأعضـاء في تصنيفهـم.. ولكنهـم يجتمعـون عـلى قلب واحد.. الحب والعطاء لمصر.. قبل أي شيء.. وفوق كل شيء ..

وربما تكون قد وضعت يدك بنفسك على مشكلتك.. أنت لست رئيسًا لكل المصريين.. وهذا ما يجب أن تعلمه».

ابتلع الرئيس ريقه ثم نظر إليها ساخرًا وسألها ..

«وانتي بقى قدمتي إيه لمصر غير هز الوسط يا ست تحية ..؟».

وأسند الرئيس ظهره على عمود الكرنك وهو ينظر إليها باستهجان..

انفجرت تحية غاضبة..

«ابتعـد عن هـذا العمود وإياك أن تلمسـه.. ولا تنس نفسـك.. فأنت المتهـم ونحن من نحاكمـك.. والراقصة من ضمن هيئة محاكمتك شئت ذلك أم أبيت.. فهذا ليس اختيارك ..».

جفل الرئيس وابتعد مسرعًا عن العمود ووقف محرجًا..

«لم يكن ما تسميه هز الوسط والتمثيل إلا جانبًا من حياتي التي وهبتها لمصر..

فقـد وجهـت أغلب ما جنيته مـن ثمار الرقص إلى دعـم ضحايا القمع الاجتماعي والثقافي والسياسي في مصر، بل والكثير من الدول العربية ..

أما عن دوري السياسي.. فقد كنت من القليلين الذين تجرءوا على انتقاد ثورة يوليو 1952 في بداية عهدها عندما شعرت أن السلطة المطلقة لمجلس قيادة الثورة لابد أن تؤدّي إلى الفساد المطلق. وأنه إذا كان الملك والملكية قد زالا.. فما كان العهد الجمهوري الذي أعلن في 1953 إلا ملكية مستترة.. وانضممـت إلى الحركـة الديمقراطية للتحرير الوطنـي.. وكان جزائي أن دخلت السجن السياسي لمدة 101 يوم.. وداخل السجن لم أفقد مقاومتي بل زادتها جدران السـجن وقسوته إصرارًا.. وقدت المظاهرات من داخل الزنزانـة ورفعت شـعار (ذهب فاروق وجاء فواريـق) ليردده الآلاف من ورائي ..».

سكتت تحية لفترة ثم وجهت الحديث للرئيس بنبرة ساخرة..

«حقًّا الأمور لم تختلف كثيرًا يا سيادة الرئيس بين ثورة 23 يوليو وثورة 25 يناير.. فمع ما أراه من ممارساتكم يمكنني القول بكل ثقة ..إنه (رحل مبارك... وجاء مباركون) ..»

احمـر وجه الرئيس وهو يسـتمع لضحكتها السـاخرة.. وواصلت تحية كاريوكا حديثها..

«رغـم تحفظاتي على بعض ممارسـات ثورة يوليو فـإني لم أفقد أبدًا إيماني بها.. وفي جميع المواقف الوطنية كنت تجدني في مقدمة الصفوف ..في أسبوع

التسليح كنت على رأس من تبرعوا بسخاء للمجهود الحربي ودعم الجيش المصري.. في حروب 56 و 67 و73 تدربت على حمل السلاح وكنت أول من يتطوع في الهلال الأحمر لخدمة جنودنا في الصفوف الأمامية وكنت آخر من يغادر الموقع ..».

التقطت تحية أنفاسها ونظرت بكبرياء للرئيس ..

«هذه هي الراقصة يا سيادة الرئيس.. الراقصة التي لم يتوقف عطاؤها عند حدود مصر..بل كانت أيضًا أول من ذهب إلى بيروت أثناء الحصار الإسرائيلي في الثمانينيات لتقف إلى جوار المناضلين الفلسطينيين.. كانت الراقصة تخاطر بحياتها على خطوط النار حينما كنتم مختبئين تحيكون مؤمراتكم في الجحور..»

«واصلت رسالتي الفنية بتأسيس فرقة تحية كاريوكا المسرحية عام1961 مع فايز حلاوة.. وكانت هذه الفرقة وسيلتي لتقديم فن راق للشعب المصري الكادح.. يعرفه بمشاكل بلده ويزيد من حسه الوطني.. كنا نجوب ربوع مصر ليصل عملنا إلى أهل بلدنا في كل مكان.. وعلى مدى 22 عامًا قدمت الفرقة 18 مسرحية أشهرها بلاغ كاذب.. كدابين الزفة.. يحيا الوفد.. روبابيكيا.. ياسين ولدي وشقلباظ.. انتقدنا بجرأة كل الأوضاع السياسية.. وعانينا الأمرين من الرقابة والجهات الأمنية.. وعندما منعت وزارة الداخلية عرض مسرحية كدابين الزفة.. اعتصمت وأضربت عن الطعام حتى سمح بعرضها ..».

واستدارت تحية كاريوكا لتواجه الرئيس ووقفت محدقة في عينيه..

«هكـذا كنـا يا سـيادة الرئيس وهكـذا كان فننا.. سراجًا ينير للشـعب طريقه.. هل أجبت عن سـؤالك يا سـيادة الرئيس إذا مـا كنت قد قدمت لمصر شيئًا غير هز الوسط ؟».

وتراجـع الرئيـس للخلف وهو يحس بنظراتها كسـهام مـن النار تحرق وجهه.. وانطلق راكضًا..



# 20

## أحمـد رشـدي

عنـد العمـود التالي وقف بقامته المشـدودة ونظراته الحـادة.. إنه اللواء أحمـد رشـدي..وزير الداخلية المـصري الوحيد الذي لم يختلـف اثنان على تقديره واحترامه ..

اقترب الرئيس منه متوترًا وهو يهمس لنفسه ..

«داخلية تاني.. سلام قولًا من رب رحيم ..».

بادر رشدي الرئيس قائلًا بحزم..

«الوضـع خطير يـا سـيادة الرئيس ..لا أعلـم مـدى إدراكك لذلك.. ولكن مصر يحيط بها خطر عظيم ..».

«فال الله ولا فالك يا سـيادة اللواء.. مصر داخلة على نهضة عظيمة إن شاء الله ..».

تنهد اللواء رشـدي وبدأ يتحدث بصـوت منفعل.. رغم ما عرف عنه من هدوء ..

«يا فخامة الرئيس.. تسلمت وزارة الداخلية في منتصف الثمانينيات.. والتـي كانت من المنظور الأمنـي فترة رهيبة في تاريخ مصر.. أطلق علي في

هذه الفترة لقب «رجل المستحيل» لأنني تعاملت مع أربعة ملفات خطيرة يمثل كل واحد منها مهمة مستحيلة بحد ذاته.. تجارة المخدرات والفساد والجماعات الدينية والأمن السياسي ..وعندما أنظر إلى وضع مصر الآن أجد أنني قد تعاملت مع مهام اعتبرت آنذاك مستحيلة ..وإني لأجد نفس المشاكل وقد تفاقمت لتصبح من رابع المستحيلات ..

فقاطعه الرئيس منفعلًا ..

«لأ لأ.. دي مبالغات يا سيادة اللواء.. أتفق معاك فيه شوية انفلات أمني.. بس ده بترتيب من فلول النظام السابق.. مش عايزين يسيبونا في حالنا ولا طايقين يشوفونا ناجحين.. ولما حنعيد هيكلة وزارة الداخلية.. كل الكلام ده حيتظبط».

فنظر إليه اللواء رشدي بحدة ..ارتعش الرئيس من نظرة وزير الداخلية السابق.. إلى الآن لم يستطع التغلب على عقدة خوفه من رجال الشرطة..

واصل اللواء رشدي حديثه ..

«إذا كان هذا رأيك فاسمح لي أن أقول لك إنك مخطئ خطأ شديدًا يا سيادة الرئيس.. ما تقول عنه شوية انفلات أمني يمثل انفلاتًا أمنيًا غير مسبوق في تاريخ مصر.. وإذا كان الفلول لهم دور.. وهذا شيء لا أنكره لكنني أعتبره دورًا محدودًا.. الدور الأكبر يقع عليك وعلى حكومتك الآن.. فهدفكم الأوحد الآن ينصب على حصد الأصوات الانتخابية.. سواء في الاستفتاءات أو الانتخابات.. لذا لا أتوقع أن يحدث شيء في

منظومة الأمن أو المرور حتى نهاية انتخابات مجلس النواب.. فمن مصلحتكم بقاء الأمور كما هي بل تدهورها ..

ابدأ بالمرور.. شرطة المرور لا يوجد حساسيات بينها وبين الشعب.. ولكنك لا تريد أن تخلق أي مشاكل مع أي شريحة من الشعب الآن.. التوكتوك مثلًا وضعه غير قانوني ..ولكنك تغاضيت عنه بل واختصصت سائقي التوكتوك بالذكر في أول خطاباتك الرئاسية.. سائقو الشاحنات والمقطورات.. تركتهم يصولون ويجولون في جميع طرقات البلد وفي أي مواعيد تخطر لهم حتى لا تعكر مزاجهم وتخسر أصواتهم ..

«غلابه عايزين ياكلوا عيش يا سيادة اللواء.. هي هي».

تجاهل اللواء رشدي تعليق الرئيس وواصل حديثه ..

«الباعة الجائلون الذين احتلوا كل شوارع المدن الرئيسية.. وأعاقوا المرور وشوهوا وجه مصر الحضاري.. هل كانت هناك أي محاولة جادة لحل هذه المشكلة ؟ أم تخافون أن تفقدوا أصواتهم الانتخابية؟»

«غلابه عايزين ياكلوا عيش يا سيادة اللواء.. هي هي».

نظر اللواء رشدي إليه شذرًا وواصل حديثه ..

«هل كانت هناك حملات جادة منظمة لجمع آلاف الأسلحة التي يحملها الناس بدون ترخيص.. هل كان هناك حزم كاف لمنع الناس من مهاجمة مرافق الدولة وتخريبها بحجة التظاهر والاعتصام؟».

«إنت عارف يا سيادة اللواء.. إحنا عايزين الناس تحس بالحرية . وكفاية جرحى وشهداء».

«لقـد أخبرتـك وزارة الداخليـة بوجـود عـدد ضخم من المسـجلين الخطريـن ضمن هؤلاء الذين صنفوا كضحايـا الشرطة من مصابين وقتلى خلال أحداث الثورة وما تبعها من أحداث عند وزارة الداخلية وغيرها.. وطالبت الداخلية بعمل فيش وتشـبيه للحصول على صحائفهم الجنائية.. وذلـك للتفرقـة بين البلطجي المسـتأجر الـذي قتل خـلال محاولة نهب أو تخريـب.. والثائـر الـذي استشـهد خـلال تعبيره عـن رأيه.. وأنـت تعلـم جيـدًا يا سـيادة الرئيس من الذي رفض بشـدة تطبيق هذا القـرار.. ليظل دم الشـهداء تجارة رائجة تستخدم في الوقت المناسب لتحريك الجماهير أو حصد الأصوات أو كسيف مسلط على رقبة الداخلية ..».

غمغم الرئيس بكلمات غير مفهومة.. وواصل اللواء رشدي حديثه..

«أما عن إعادة هيكلة وزارة الداخلية.. فهذه لعبة كبيرة.. دعنا نتحدث بموضوعية..اللـواء حبيـب العادلي كان من أقـوى وزراء الداخلية الذين شـهدتهم مـصر ..وكذلـك كانـت الإدارات المختلفـة في وزارتـه.. فـإذا سـلمنا بممارسـاته الخاطئة في التعامـل مع الثوار.. والتي يمكن تفسـيرها بمبدأ الطاعة حسـب التسلسـل القيادي في أي مؤسسة عسكرية كالجيش والشرطة.. فلماذا تعمم الاتهامات على كل ما له علاقة بالشرطة لتفكيكها تمامًا بحجة إعادة هيكلتها.. هل الموضوع تصفية حسابات أم تسوية أحقاد أم تحضير لأخونة الداخلية ؟».

احمر وجه الرئيس ولم يرد.. وواصل اللواء رشدي حديثه ..

«إذن يـا سـيادة الرئيـس لديـك شرطة مكبلـة ولِّي متعمـد للقوانين أو

تجاهلها مؤقتًا لخدمة أغراض سياسـية في ظل انفلات أمني غير مسبوق.. مع وجود آلاف المسـجلين الخطرين الهاربين من السجون ومئات الآلاف من قطع الأسـلحة المهربة والتي تتراوح بين المسدسـات والقنابل اليدوية مـرورًا بقذائف الـ آر بـى جي والبنادق الآلية وانتهـاءً بصواريخ أرض – أرض، وأرض – جو..

هل تشعر بفداحة المشكلة يا سيادة الرئيس ؟».

خفض الرئيس نظره إلى الأرض حتى لا يواجه نظرات رشدي الحادة.. وتابع رشدي حديثه:

«أمـا عـن المخـدرات فحـدث ولا حـرج.. ففي ظـل التهـور الأمني وانحسـار دور الشرطـة فـإني أعتقد أن مشـكلة المخـدرات الآن هي أكبر بعدة أضعاف مما كانت عليه في أي وقت مضى ..

قل لي يا سيادة الرئيس.. يتحدث مشايخكم وسياسيوكم طوال الوقت عـن الخمور ومسـاوئها ووجوب محاربتهـا ومنع تداولها.. لم أسـمع أحدًا يتحدث عن المخدرات.. أليست هي الأخرى من المحرمات ؟»

رد الرئيس ..

«طبعًا طبعًا.. حأكد عليهم ياخدوا بالهم من الموضوع ده ..».

«أما عن الجماعات الدينية يا سيادة الرئيس.. فـــ ..».

قاطعه الرئيس ضاحكًا ..

«لأ دي خلاص ما عادتش مشكلة.. دلوقت ما عادش فيه جماعات محظورة.. كله بقى بيشتغل في النور».

«هذا ألعن وأضل سبيلًا يا سيادة الرئيس.. وهنا يكمن الخطر العظيم ..ما كان يخطط له سرًّا أصبح يفتخر به علنًا.. وأصبحت قوائم القتل وهدر الدماء تنشر على صفحات الجرائد ومواقع التواصل الاجتماعي.. والجماعات الإرهابية التي كانت تعمل في الظلام أصبح لها ميليشيات منظمة تحمل السيوف والبنادق.. قتلة ومجرمو الماضي أصبحوا رؤساء أحزاب سياسية ونوابًا في المجالس البرلمانية.. حتى مؤيدوك يوم أن أرادوا أن يعبروا عن دعمهم لك.. خرجوا بالسيوف والجنازير لمهاجمة المعتصمين عند القصر الرئاسي.. قياديو حزبك يطالبون بتسليح أعضاء الحزب بحجة حماية مقاره.. كل هذا يحدث تحت نظرك ونظر حكومتك بدون أن يحرك أحد ساكنًا ..».

قال الرئيس بثقة:

«ما تقلقش يا سيادة اللواء.. فكل هؤلاء الآن تحت سيطرتنا من خلال تحالف القوى الإسلامية.. وكل شيء حيمشي تمام بعد انتخابات مجلس النواب.. مسألة وقت.. كام شهر ويعدوا».

«أنتم لا تتعلمون من التاريخ يا سيادة الرئيس.. ففي منتصف السبعينيات ..عندما سمح الرئيس السادات للتيار الإسلامي بالظهور لضرب قواعد الناصرية والشيوعية.. منع التعرض نهائيًا لنشاط الإخوان المسلمين والجماعات الإسلامية..

وسرعان ما خرجت الجماعات الإسلامية عن طوع الإخوان ولم تعد تتبعهم .. ويصل الأمر لأن تعلن التنظيمات السرية لجماعات الجهاد الأول والتكفير والهجرة والجهاد الثاني عن تكفير الإخوان وخيانتهم للدعوة الإسلامية وحاولوا الاعتداء على عمر التلمساني.. المرشد العام للإخوان المسلمين في جامعة أسيوط.. دوركم آت لا محالة يا سيادة الرئيس ..»

نظر رشدي إلى الرئيس فوجده زائغ البصر وقد احمر وجهه ..

«أما الملفان الباقيان.. فاعلم أن الفساد لا يزال متغلغلًا وإن اختلف توزيع الأدوار.. تمامًا كما يعيدون إخراج فيلم قديم ولكن بوجوه جديدة..

وبالنسبة للأمن السياسي.. فأجهزة المخابرات الأجنبية ترتع في البلاد بلا رقيب.. والتمويل الخارجي يتدفق بلا حدود ولا ضوابط لدعم كل مجالات التطرف الديني والسياسي.. ومصر في مهب الريح بين كل هؤلاء.. هل تعلم بذلك يا سيادة الرئيس؟ إن كنت لا تعلم فهذه مصيبة.. وإن كنت تعلم فهي مصيبة أكبر ..»

وتلفت اللواء أحمد رشدي فلم يجد الرئيس.. نادى عليه مرتين وما من مجيب ..فقد اختفى الرئيس..



# 21

# جمـــال حمـــدان

عنـد العمود التالي وقف رجـل ينطق وجهه بالطيبة ودماثة الأخلاق.. في ضـوء البدر السـاطع بدت عينـاه تلمعان بطبقة مـن الدموع من خلف إطارات نظارته المعدنية ..

اقترب الرئيس منه في حيرة فهو لا يعرفه..

«أنـا جمال حمـدان يا سـيادة الرئيس.. أحـد أعلام مـصر الجغرافيين.. وصاحب موسوعة شخصية مصر- دراسة في عبقرية المكان ..».

«تشرفنـا يـا دكتـور جمـال.. سـمعت عـن كتابـك.. بيقولـوا كتـاب عظيم..».

«المهـم أن تقـرأه.. يجب عـلى كل من له دور في حكم مـصر أن يقرأه.. لتعـرف البلـد التـي أولاك الله مقاليدهـا.. والشـعب الـذي تحكمـه.. ولتبـدأ بدايـة صحيحة.. فـلا تعيد أخطاء من سـبقوك أو تقـترف أخطاء جديدة..».

«بس أنا عارف الشعب كويس وجاي من وسطه».

«شـعب مـصر كـما قال عنـه المؤرخـون هو ( شـعب مجدّ قـوي يعتريه

الضعف كل بضع مئات السنين - طبيعة الأشياء - فتتعرض بلاده للغزاة من الجنوب والغرب والشرق، فيتعرض لمؤثرات مختلفة، لكنه بالرغم منها ظل يحتفظ بطابعه وصفاته القومية وبشخصيته المتميزة بـارزة المعـالم).. لم يستطع الإغريـق ولا الفـرس ولا الرومـان ولا العرب ولا الأتراك ولا الفرنسيون ولا الإنجليز أن يطغوا بتأثيرهم على شخصية مصر.. بل أخـذت مصر منهم ما ارتضـت ولفظت ما نبـذت.. لتنصهر تأثيرات كل هـذه الحضارات في بوتقة مصر.. بل وتكتسب منها.. هـذا ما لا يجوز أن يغيب عن خاطرك وخاطر كل من يفكر في بدونة مصر أو خلجنتها باسـم الإسلام ..».

اضطرب الرئيس ورد مدافعًا..

«إحنـا مـا بنفرضش على الشـعب حاجـة.. الكلمة للصنـدوق.. إحنا ماشيين ديمقراطي».

ابتسم جمال حمدان بأدب وقال ..

«مـا تتحدث عنه لا يمكن أن يسـمى ديمقراطيـة.. يمكنك بالأحرى أن تطلـق عليه ديموكتاتوريـة .. لقد تغيرت مصر الحديثة في جميع جوانب حياتها.. بدرجات متفاوتة.. إلا فيما يخص نظام الحكم الاستبدادي المطلق والفرعونية السياسـية وحدها.. فهي لا تزال تعيـش بين أو فوق ظهرانينا بكل ثقلها وعتوها ، وإن تنكرت في هذه الصيغة الشكلية الملفقة.. ومصر التـي كانـت ولا تزال هي حاكمهـا.. لن تتطور وتصبح شـعبًا حرًّا إلى أن تصبح هي شعبها.. لا حاكمها.. وإلى أن تصبح ملكا لشعبها.. راقيًا عزيزًا

أبيًا في دولة حقيقية متقدمة ومتَطورة.. لن تتطور إلا إذا صار الشعب هو الحاكم والحاكم هو المحكوم.

في كلمة واحدة.. لن تتغير مصر في جوهرها الدفين.. ولا مستقبل لمصر.. إلا حين يتم دفن آخر بقايا الفرعونية السياسية والطغيان الفرعوني».

رد الرئيس منفعلًا ..

«إحنا بنحاول نختار الخير لمصر.. والخير وشرع ربنا ما يتفرقوش».

«الشعب هو من يجب أن يطرح الخيارات.. فحين يأتي الحديث عن إعادة بناء الإنسان المصري والشخصية المصرية من أعلى.. من وكر السلطة الغاصبة ..فما هذا إلا حديث إفك وقمة الاستخفاف بالحق والعقل والعلم ..»

«إفك واستخفاف؟ ده كلام كبير يا أستاذ جمال.. أقولك شرع ربنا.. تقول لي إفك واستخفاف؟».

حافظ جمال حمدان على هدوئه ..

«كما علمت عنك يا سيادة الرئيس.. فإنك تفضل أن تتكلم على أن تصغي.. لذلك فإني أنصحك على الأقل أن تقرأ.. ارجع إلى كتابي.. وأرجو منك أن تركز على ثلاثة محاور سألخصها لك ..

**أولًا:** الإسلام والمسيحية في مصر ديانتان وعالم واحد.. ثقافتان وحضارة واحدة ... نحن معًا.. ومعًا صنعنا الحضارة القديمة والحديثة وشكلنا تاريخ العالم ..

أساس التعايش السلمي بين الديانتين هو الاعتراف المتبادل.. والاحترام المتبادل.. والإخاء المتبادل والرخاء المتبادل.. وليكن شعار المسلمين للمسيحيين الآن كما ينبغي هو : قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ..

**ثانيًا** : هذه معلومة جيوستراتيجية يجب أن تظل حاضرة نصب عينيك :

**.. من يسيطر على فلسطين يهدد خط دفاع سيناء الأول**

**من يسيطر على خط دفاع سيناء الأوسط يتحكم فى سيناء..**

**.. من يسيطر على سيناء يتحكم فى خط دفاع مصر الأخير**

**من يسيطر على خط دفاع مصر الأخير يهدد الوادي ..**

**أقول لك: سيناء ليس لها محل في أي لعبة مراهقة سياسية**

**ثالثًا** : قناة السويس اختزلت كل موقع مصر الجغرافي والاستراتيجي أو جوهره في شريط مائي حتى أصبح مرادفًا للقناة.. لا شك أنها جددت شباب موقع مصر.. كما أصبحت بوابة ذهبية تجاريًا.. بقناة السويس لم يعد موقع مصر أخطر موقع استراتيجي في العالم العربي وحده ، وانما في العالم القديم برمته ..

أقول لك.. قناة السويس ليست للبيع ولا للإيجار..

هل فهمتني يا سيادة الرئيس؟»

أطرق الرئيس وهز رأسه ولم يعقب ..



# 22

# الأب مَتَّــى المسـكين

وعند عمود آخر شاهد كهلًا وقورًا في ملابس الرهبان السوداء.. وقد ألقى البدر بضيائه على لحيته الفضية الكثة.. فبدت وكأنها تشع نورًا.. نظر الأب متى بعمق إلى الرئيس وبادره قائلًا ..

«أنا الأب متى المسكين نذرت حياتي للرهبنة بين أديرة القلموني ووادي الريان والسريان والأنبا مقار.. أرجعت الرهبنة إلى حياتها الأولى وأحييت من جديد روح الآباء النسـاك الأوائل كما كنت وكيلًا للبابا يوساب الثاني في الإسكندرية»..

نظـر الرئيس بتحفـظ إلى الصليب الصغير المتدلي من مسـبحة الراهب وقال ..

«أضمن إزاي إن رأيك حيبقى محايد في المناقشة دي.. ؟».

ابتسم الأب متى بصبر..

«يا سيادة الرئيس.. تأكد أنني لن أتخذ منك موقفًا أو أبغضك لشخصك أو لدينـك.. فـالله محبـة وكرجل ديـن.. لن أعـادي نظامك السياسـى أو أؤيـده.. فهـذا خروج على تقاليد الكنيسـة التي يجـب أن يقف دورها عند

التربيـة الروحية.. كما أني أرى أن الدين علاقة بين الله وضمائرنا ولا ينبغي أن يكون له علاقة بالسياسة ..»

«كلام جميل.. طمنتني يا أبوهم ..».

«سـأختصر لك مشـوار حيـاتي والمبـادئ التـي كافحت مـن أجلها.. وكانـت نقطـة خـلاف كبيـر بيني وبين البابـا شـنودة.. وإني أرى أن ما اختلفت عليه مع البابا شنودة هو نفس ما أختلف عليه معك».

قال الرئيس بتعجب ..

«أنا والبابا شنودة.. ؟ إزاي.. ؟ مش فاهم ..».

«سـأشرح لـك.. آمنـت دائـمًا بـضرورة ضبط الحـدود بـين الطقوس الدينيـة والأدوار السـياسـية.. بين مـا هـو سـمـاوي وما هو أرضي.. ما لقيصر لقيصر وما لله لِلهِ..

الكنيسة تختلف عن السلطان الزمني في كونها تعتمد على الإيمان وليس على ذراع البشر.

تعتمـد عـلى الله وليس على العـدد والتكتـل.. وبالتالي مهمتها ليسـت خدمـة المجتمـع ولكن خدمـة الإيـمان.. وأن تخدم المسـيح في أشـخاص الخطاة والأذلاء والمشردين ..

لم يجمع السـيد المسـيح قـط ولم يخلط بين مملكة الله ومملكـة هذا الدهر. نقـرأ عنـه في الإنجيل أنه ( لمـا أرادوا أن يختطفوه ويجعلـوه ملكًا، انصرف وحده) ـ يوحنا 6: 15 ..

قاطعه الرئيس:

«وضح أكتر يا أبوهم.. مش فاهم ..».

«هـذا يعني أن أي محاولـة للجمع بين ملكوت الله مع أهداف أخرى.. مثل المطالبة بحقوق خاصة للكنيسة للاشتراك في الحكم أو في إدارة سياسة الدولـة.. أو المطالبة بحقـوق خاصة لتملّك شيء من أمجاد هذه الدنيا.. أو السعي ليكون للكنيسة شيء من النفوذ أو السيادة.. إذا ما اتخذت الكنيسة هذا المسار.. فما هذا إلا خروج عن مسارها الرئيسي وهدف اختصاصها.. الذي هو ملكوت الله».

تساءل الرئيس ..

«طيب إيه علاقة الكلام ده بيا وبالبابا شنودة ؟».

«عندما اضطرت الظروف السياسية البابا شنودة لاتخاذ موقف دفاعي باسـم الأقباط اختلفت معه.. فأنا أرى وأؤمن بشـدة أن الكنيسـة ليسـت مؤسسة الأقباط أو جامعة الدين والهوية.. وأن المسيحية ليست جنسية أو قومية بديلة.. فحذرت من خروج الكنيسة عن هذا الاختصاص والنزوع إلى السـلطان الزمني.. وتجييش العواطف والمشـاعر باسم الصليب أو أن ترتمـي في أحضان أصحاب النفوذ؛ لأنها إذا حاولت الجمع بين السـلطان الديني والزمني ..ودأبت على المطالبة بحقوق طائفية أو عنصرية.. فشلت المسيحية أن تؤدي رسالتها ..

قـال الرئيس بنفاد صبر.. «طيب دي مشـاكل داخلية في الكنيسـة.. أنا مالي بيها ؟».

«ما حدث في الكنيسة وقتها.. وأراه قد بدأ يتكرر الآن.. على المستوى الشعبي على الأقل.. ما هو إلا ردة فعل.. فتجييش العواطف والمشاعر باسم الصليب.. عادة ما يكون ردة فعل لتجييش العواطف والمشاعر باسم الهلال.. وهذا ما يحدث حاليًّا برعايتك وبدفع من جماعتك وحلفائك..

والفارق الأساسي بين المرحلتين أنك في كرسي الرئاسة.. والذي يشغل كرسي الرئاسة يجب أن يكون رئيسًا لكل المصريين لا لفصيل أو عشيرة واحدة..

هذا الفهم يدعو إلى بث الفرقة والانقسام والتكتل الديني والتعصب ويولد عقدة الاضطهاد عند الأقليات فيجعلها مركز ثقل في الدولة يعيق تقدمها.. وكبت الروح الوطنية باسم الدين ما هو إلا نوع من وأد الروح الإنسانية.. هل تفهمني يا سيادة الرئيس؟».

«إنتوا اللي فاهميني غلط.. كذا مرة قلت إنكم أحبابي.. وطلبت إننا نحضن بعضنا ..»

تجاهل الأب متى تعليق الرئيس وواصل حديثه ..

« يا سيادة الرئيس.. سأتحدث الآن كمصري وباسم المصريين جميعًا.. أنت تقودنا إلى نفق مظلم لايعلم إلا الله مداه .... فإنني أخشى على مصر بمسلميها ومسيحييها من عودة الفكر الروماني القسطنطيني تحت أي ثوب جديد..

.. إذا عجز المسجد وفشلت الكنيسة في ضبط الإيمان بالإقناع والمحبة

وهرعـا إلى السـلطات لتصدر منشـورًا بالإيـمان ..عندها تكون الكنيسـة والمسـجد قد أخطـآ الطريق.. لأن الإيـمان لا يحميه القانون أو السـيف.. كذلـك كل محاولـة لاسـتخدام السـلطان.. سـواء كان سـلطان الدين أو السـلطان الزمني.. أو اسـتخدام التهديد والوعيد.. أو اسـتخدام العقوبة لتوجيـه النـاس.. يعتـبر هذا كلـه عمل اغتصاب وسـلبًا لمشـيئات الناس واستعبادهـم باسـم الدين .

وهذا يا سـيادة الرئيس.. عندما كان يحدث بواسطة السلطات الحاكمة باسم الدين في أوروبا في العصور الوسطى.. أدى إلى زيادة مرعبة في أعداد من نبذوا الدين وألحدوا..

هل تريد مجتمعًا من الملحدين والمنافقين وقلة من المؤمنين ؟

لن يقبل المسجد ولن ترضى الكنيسة بهذا يا سيادة الرئيس ..فهل تقبل أنت به ؟»

لم يجد الرئيس ما يقوله.. فاستدار مغادرًا.



# 23

## هــــدى شــعـــراوي

وقفـت عند العمـود التالي يلفها الوقـار والهيبة.. اقـترب الرئيس منها بحذر ووقف أمامها صامتًا..

بادرته هدى شعراوي قائلة وهي تتفحصه بنظرها ..

«ها أنت أخيرًا.. فإني أتوق للحديث إليك ..مرحبًا برائد الردة الحديثة في مصر».

فوجئ الرئيس بقولها ورد مسرعًا ..

«ردة ؟ أعوذ بالله ياست هانم.. ردة إيه اللي بتتكلمي عليها ؟..».

ضحكت هدى شعراوي ضحكة قصيرة ..

«سـأشرح لـك.. أنا هدى شـعراوي.. رائدة تحرير المـرأة والدفاع عن حقوقهـا في مـصر.. منـذ مطلـع القـرن العشريـن . عندما أتذكـر مراحل كفاحـي لتحرير المرأة في مصر والخطوات التي نجحت فيها والمعارك التي خضتهـا.. وأنظر لما تتحدثون بـه الآن فيما يخص المرأة وما لها من حقوق.. أشـعر أن عجلة الزمـن تدور للوراء لأكثر من تسـعين عامًا.. وأن عمري

الذي أفنيته في هذه القضية قد راح هباءً.. ولم أجد تسـمية لما يحدث أفضل من الردة.. هل فهمتني يا سيادة الرئيس؟ ..».

«آه فهمت.. معلش.. مخي راح لحاجة تانية والعياذ بالله ..».

شردت هدى شعراوي و هي تستعيد ذكرياتها ..

« بدأت رحلة كفاحي السياسي في 16 مارس 1919.. عندما خرجت على رأس مظاهرة نسائية من 300 سيدة ..ننادي بالإفراج عن سعد زغلول ورفاقـه.. و سـجل هذا اليـوم في التاريخ استشـهاد أول شـهيدة للحركة النسـائية ..فأشعل ذلك حماسـة السيدات واتسـعت المظاهرة للتحول إلى مسـيرة ضخمة لنساء مصر.. رافعات شعارات الهلال مع الصليب.. رمز الوحدة الوطنية.. و منددات بالاحتلال البريطاني..

خلعت ومن بعدي كثيرات البراقع.. فلن تنظر سيدات مصر للعالم من خلف ستار.. وها نحن بعد قرابة قرن من الزمان.. نرى من يطالب بعودة البرقـع في أكثر صوره تشـددًا ..ليصبح نقاب الجزيـرة العربية هو الدعوة الحالية في القرن الحادي والعشرين ..».

رد الرئيس متأففًا ..

«فيه شيوخ بيقولوا إنه مستحب.. وواجب في زمن الفتن ..».

ردت هدى شعراوي ..

«وفيه شـيوخ بيقولوا غـير ذلك.. أنا لا أنظر إلى النقـاب في حد ذاته..

بـل أنظـر إليه كجزء من منظومة متكاملة تهـدف إلى تجريد المرأة من كل ما اكتسبته من حقوق والعودة بها إلى ظلمات عصر الحريم ..».

«يعني مشكلتك مع النقاب بس يا هدى هانم ؟» .. تساءل الرئيس.

«يبدو أنك لا تصغي جيدًا كما سمعت عنك.. قلت إنها منظومة متكاملة لتهميش المرأة.. أخطر ما فيها مطالبتكم بخفض سن الزواج للمرأة ..عام 1921 قـدت حملـة تدعو إلى رفع السـن الأدنى للـزواج للفتيات ليصبح 16 عامًا.. لأفاجأ الآن بمشايخكم يطالبون بخفض سن الزواج للبلوغ أو حتـى ما قبـل البلوغ إذا ما كانت الطفلة تحتمل النـكاح على حد قول أحد حلفائك من قيادات الحركة السلفية.. هل هذه هي طريقتكم للوصول إلى النهضة التي تزعمونها في مصر؟».

احمر وجه الرئيس ولم يرد.. وواصلت هدى شعراوي حديثها ..

«لقـد أسسـت لجنـة الوفـد المركزيـة للسيدات عـام 1919 وقمـت بـالإشراف عليها.. ثم أسسـت الاتحاد النسـائي المصري لعـام 1923.. وشـغلت منصب رئاسـته حتى عام 1947 .. كما كنت عضوًا مؤسسًـا في الاتحاد النسـائي العربي وتقلدت رئاسـته عام 1935 .. وفي نفس العام تم انتخابي كنائبة لرئيسة اتحاد المرأة العالمي.. في كل هذه الخطوات والمراحل.. كانت نسـاء مصر تدعمني وترى المسـتقبل بعيني.. وعندما غادرت الدنيا تركـت أجيـالًا حملت الشـعلة من بعدي لتصل نسـاء مـصر للمكانة التي يستحققنها ويحصلن على الحقوق اللاتي هن أهل لها ..».

التقطت هدى شعراوي أنفاسها ونظرت نظرة طويلة للرئيس وقالت..

«يا سيادة الرئيس نساء مصر لسن لقمة سائغة لكم ولمشايخكم.. وأعتقد أن إقبالهن على استفتاء الدستور كان رسالة واضحة.. وعلى مدى تاريخ مصر المعاصر.. كانت المرأة شريكًا وندًّا للرجل في بناء مصر الحديثة.. فإذا كنت تتحدث عن مشروع جديد للنهضة.. فلا تتوقع أن يقوم فقط على أكتاف الرجال..».

وأنهت هدى شعراوي حديثها واستندت بظهرها على عمود الكرنك.. واختلس الرئيس نظرة إلى جبينها العالي ثم غادر المكان.



24

# جــلال الديــن الســيوطــي

عنـد العمـود التـالي شـاهد الرئيس شـيخًا وقـورًا وقد ارتـدى جلبابًا وعباءة فضفاضة وغطى رأسـه بعمامة بيضاء.. اختفت النظرة الصافية من عيني الشيخ عندما لمح الرئيس وانتفض في ثورة عارمة ممسكًا بخناقه ..

جفل الرئيس وحاول الفرار من قبضة الشيخ وخاطبه متوسلًا ..

«حلمـك عليـا يا سـيدنا الشـيخ.. فيـه إيه بس.. داحنا حتى لسـه ما اتعرفناش ..».

رد الشيخ بعنف دون أن يفلته ..

«أنا الشـيخ جلال الدين السـيوطي ..من أكبر رجال الدين في مصر في القرن التاسع الهجري – الخامس عشر الميلادي ..».

رد الرئيس ملتقطًا أنفاسه ..

«تشرفنا يا مولانا.. بس بتعمل فيا كده ليه؟»

«والله إنك لتستحق أكثر من ذلك لتهاونك في حق الإسلام».

فرد الرئيس مستغربًا ..

«أنـا ؟ ده أنـا بتاع الإسـلام ..أنـا بتوفيق الله سـأعيد مـصر إلى العصر الذهبي للإسـلام.. يا مولانا ده أنا يمكن أول حاكم مسـلم بجد في مصر من أيام عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ..».

فأجابه الشيخ السيوطي ممتعضًا..

«مـا هـذا إلا كلام فـارغ تقولونه لخداع العامـة ثم تصدقونـه قبلهم.. قـل لي يا سـيادة الرئيس إذا كنت حقًّا تريد إعـادة مصر إلى العصر الذهبي للإسـلام.. من علـماؤك ؟ من علـماء الدين في عهدك الذيـن يحملون راية التنوير والعلم الصحيح ؟».

ابتسم الرئيس بثقة..

«بـس كده يا شـيخ سـيوطي.. أولًا أنا حافظ للقـرآن.. وبعدين عندنا الأزهر.. و ..».

فقاطعه الشيخ بحدة ..

«أنـا حفظـت القرآن وأنا في الثامنـة من العمر.. أما عـن الأزهر.. فأنا أتابـع بأسـى حملتكـم الممنهجة لتقليـص دور الأزهر ورجالـه.. وإحلال علمائه الأفاضل برجال دين مسيسـين يخدمون أغراضكم السياسـية باسم الدين ..أتحداك أن تذكر لي أسـماء لشيوخ راسخين في العلم ولا يخافون في الله لومة لائم.. وهنا أقصد ألا يخافونك أنت ومن معك في السلطة ..».

رد الرئيس متوسلًا ..

«فيه كتيـر يا سـيدنـا الشـيخ.. افتـح التليفزيـون حتلاقيهـم ماليين الفضائيات..».

«هـذا هو بيـت القصيد.. في نظام حكم يتمسـح بالإسـلام.. يجب ألا يسـمح لغير المؤهلين بالحديث عن الإسلام أو باسم الإسلام ..والله إنني لأتميـز غيظًا عندما أستمع للغالبيـة العظمى من هـؤلاء المغتصبين للقب الشيخ وهم يستخفون بالعقول ويلقون بالفتاوى جزافًا منفرين من الدين ومقللين من هيبة الدين ورجال الدين ..

هل تعلم يا سـيادة الرئيس أنني قبل أن أسـمح للساني أن ينطق بفتوى واحدة.. بدأت بدراسة الفقه والنحو والفرائض.. ثم لازمت كبار شيوخ العلم في جميع أقاليم مصر لمدة أربعة عشر عامًا ..؟

وسـافرت طلبًا للعلم إلى بلاد الشـام واليمن والهند والمغرب وتشاد.. وجـاورت سـنة كاملـة بالحجـاز لأصـل في الفقـه إلى رتبـة سراج الديـن البلقيني.. وفي الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر العسقلاني.

ولم يقتـصر تلقـّي للعلم على الشـيوخ من العلماء الرجـال.. بل كان لي شيوخ من النساء اللاتي بلغن الغاية في العلم ..منهن آسية بنت جار الله بن صالح.. وكمالية بنت محمد الهاشـمية وأم هانئ بنت أبي الحسن الهوريني.. وأم الفضل بنت محمد المقدسي وغيرهن كثير..

فأخذت علم الحديث فقط عن مائة وخمسـين شيخًا من النابهين في هذا العلم ..

فلما رُزقت التبحر في سبعة علوم.. وهي التفسير والحديث والفقه والنحو والمعـاني والبيان والبديـع.. بالإضافـة إلى أصول الفقه والجـدل والقراءات

أمكنني أن أقول إنه قد كملت عندي الآن آلات الاجتهاد بحمد الله.. قلت ذلك تحدثًا بنعمة الله لا فخرًا .. وعندها فقط جلست للإفتاء.. هل عرفت الفرق الآن يا سيادة الرئيس.. هل فهمت مسئولية رجل الدين ..؟»

أطرق الرئيس ولم يستطع الرد بينما مرت بذاكرته لقطات لبعض شيوخ الفضائيات المشهورين ..إنه أحيانًا لا يعجبه قولهم ولكنه يحتاج الأصوات الانتخابية لجماعاتهم ومؤيديهم.. ولا يريد أن يغضبهم.. كما أن ظهورهم بهذه الصورة المتشددة يظهر الإخوان في صورة معتدلة ..

وواصل الشيخ السيوطي حديثه :

«لقد عاصرت 13 سلطانًا مملوكيًا.. ودائمًا كانت علاقتي بهم متحفظة.. أرفض دعوات الذهاب إليهم ولا أتقبل هداياهم.. حتى أني كتبت كتابًا أسميته ( ما وراء الأساطين في عدم التردد على السلاطين).. كنت أفعل هذا حتى أبتعد بديني وعلمي عن أهل السلطة واتجاهاتهم السياسية فلا يختلط دين الله بشبهة دنيوية».

«يا سيادة الرئيس أذكرك بما قاله الله تعالى في كتابه الكريم :

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ صدق الله العظيم.

وبهت الرئيس كأنما يسمع الآية لأول مرة.. وغادر وهو يجر قدميه جرًّا..



# 25

## علي عبد الرازق

عند العمود التالي شاهد الرئيس رجلًا اجتمعت في هيئته عراقة الصعيد.. وأناقة أوكسفورد.. وهيبة الأزهر.. إنه القاضي الشيخ علي عبد الرازق..

بادر الشيخ علي الرئيس قائلًا ..

«أنا صاحب كتاب (الإسلام وأصول الحكم).. نشرته عام 1925 بعد عام من إلغاء الخلافة الإسلامية بسقوط الدولة العثمانية.. ولعلمي بما قد يثيره من جدل فقد استهللته بسطرين أكدت بهما أنني: (أشهد أن لا إله إلا الله، ولا أعبد إلا إياه، ولا أخشى أحدًا سواه.. له القوة والعزة.. وما سواه ضعيف ذليل).. في هذا الكتاب شرحت رأيي صراحة بأن الإسلام دين وليس دولة.. وأن الخلافة ليست أصلًا من أصول الإسلام وأن هذه المسألة دنيوية سياسية أكثر من كونها مسألة دينية وأنها مع مصلحة الأمة نفسها مباشرة.. ولم يرد بيان في القرآن ولا في الأحاديث النبوية في كيفية تنصيب الخليفة أو تعيينه..».

وهنا انتفض الرئيس منفعلًا ..

«افتكرتــــك.. إنـت أول واحـــد حـاول إنه يعمـل اخـتراق علمـاني للأزهـر ..وحتـى بيقولوا إن الكتـاب ده كتبهولك واحـد صهيوني وانت بـس حطيت اسـمك عليه.. عمومًـا الأزهر عرف يـرد عليك وعمل لك محكمة تأديبية طردوك بعديها من زمرة العلماء ..».

ابتسم الشيخ علي عبد الرازق وقال له ..

«ربما كان توقيت نشر الكتاب هو السـبب الأساسي في ردة الفعل تلك ..فبعـد سـقوط الخلافة العثمانية أصبـح العالم الإسـلامي ـ لأول مرة منذ ألف سنة ـ بلا خليفة..

وراود الملك فؤاد حلم الحصول على لقب خليفة المسلمين.. ووجدت بريطانيا أن هذا الحلم يصب في مصلحتها.. فالملك فؤاد تابع لها وإذا بايعه المسـلمون خليفة.. يكون العالم الإسـلامي كله تحت سيطرتها.. وبمباركة بريطانيا قرر الملك فؤاد أن يقوم الأزهر الشريف برعاية مؤتمر إسـلامي في القاهـرة لبحث مصير العالم الإسـلامي بعد سـقوط الخلافة ويدفع المؤتمر خلال جلسـاته الاتجاه لإقناع ممثلي الأقطار الإسـلامية بمبايعة الملك فؤاد خليفة للمسـلمين.. فيظهر كتابي في ذات التوقيت معلنًا أنه ( ليس بنا من حاجـة إلى تلـك الخلافة لأمور ديننا ولا لأمور دنيانا، ولو شـئنا لقلنا أكثر من ذلك، فإنما كانت الخلافة ولم تزل نكبة على الإسلام وعلى المسلمين).. ويثير الكتاب لغطًا شـديدًا مما يسـعر غضب الملك فؤاد.. ويصدر أوامره للأزهر – في سـابقة خطيرة لتسـييس الأزهر – الذي يقوم بدوره بسـحب شـهادة العالميـة مني وفصلي من زمـرة العلـماء.. بل وبإيحاء منـه.. يصدر

بعض الشيوخ كتبًا وأبحاثًا تعارض ما كتبته وتكذبه.. ولكن الأزهر يعود للحق بعد وفاة الملك فؤاد لأعود إلى موقعي. وأعين بعدها وزيرًا للأوقاف وعضوًا بمجلس النواب ومجلس الشيوخ ومجمع اللغة العربية..

وفي حين استجاب الأزهر لضغوط الملك.. فإن وزير الحقانية عبد العزيز باشا فهمى عندما وصله الأمر بفصلي من القضاء رفض وقال: ( بأي حق؟.. هل في الكتاب أو في السنة.. أو في الدستور أو في القانون.. ما يشير إلى مصادرة حرية الرأي؟.. أين إذًا حرية العلم.. وكرامة العلماء؟... لقد استحضرت هذا الكتاب، وقرأته فلم أجد فيه أدنى فكرة يؤخذ عليها مؤلفه.) فغضبت السراي.. و صدر قرار بإقالة الوزير عبد العزيز فهمى من الوزارة.. واعتبر باقي الوزراء أن إقالة وزير الحقانية إهانة لباقى الوزراء.. فقدم كل من محمد علي علوبة باشا.. وتوفيق دوس باشا.. وإسماعيل صدقي باشا استقالاتهم احتجاجًا وتضامنًا مع عبد العزيز فهمي باشا».

شرد الرئيس مفكرًا للحظات.. فيما واصل الشيخ علي حديثه:

«الحق أن الدين الإسلامي بريء من تلك الخلافة التي يتعارفها المسلمون وبريء من كل ما هيأوا حولها من رغبة ورهبة ومن عز وقوة.. الخلافة ليست في شيء من الخطط الدينية ولا القضاء ولا غيرهما من وظائف الحكم ومراكز الدولة، وإنما تلك كلها خطط سياسية صرفة لا شأن للدين بها فهو لم يعرِفها ولم ينكرها ولا أمر بها ولا نهى عنها.. وإنما تركها لنا لنرجع فيها إلى أحكام العقل وتجارب الأمم وقواعد السياسة..

كـما أن تدبير الجيش وإعمار المدن والثغور ونظام الدواوين لا شـأن للدين بهـا وإنما يرجع الأمـر فيها إلى العقل والتجريـب أو إلى قواعد الحروب أو هندسة المباني وآراء العارفين.. لا شيء في الدين يمنع المسلمين أن يسابقوا الأمم الأخرى في علوم الاجتماع والسياسة كلها».

رد الرئيس منفعلًا..

«يعنـي إيه ما فيـش خلافة ؟.. أمال الخلفاء الراشـدين إيه ؟.. الخلافة واقع موجود من أيامهم ..».

«الخلفـاء الأربعة الراشـدون اختـير كل منهم بطريقة مختلفـة تمامًا عن الآخر . فقد كان أسـاس اختيار أبي بكر الصديق هو أن الرسـول صلى الله عليه وسلم كان قد أوكل إليه إمامة الصلاة أثناء مرضه الأخير. أما عمر بن الخطاب فقد عينه أبو بكر خليفة له قبل وفاته.. أما عثمان بن عفان فقد تم اختياره بطريقة مختلفة عندما قام عمرُ بن الخطاب قبل وفاته متأثرًا بجراحه بتكوين مجلس من ستة من الشخصيات المسلمة الجليلة.. وأوكل إليهم أن يختـاروا من بينهم خليفته.. وأضـاف إليهم ابنه عبد الله كصوت ترجيحي فقـط . . وقـد وقع الاختيارُ أولًا على علي ابـن أبي طالـب.. ثم تبدل القرار ليسـتقر الاختيار على عثمان بن عفان. أما اختيار الخليفة الرابع علي بن أبي طالـب فقد جاء بواسـطة تداعياتِ أكبر محنة في تاريخ المسلمين وهي مقتل عثمان بن عفان في أحداث الفتنة الكبرى.. القرآن والسنة لم يتعرضا مطلقًا لموضـوع الخلافة ولم يضعا لهـا قواعد.. فالخلافة ليسـت حكمًا من أحكام

الدين الإسـلامي ... والنبي صلى الله عليه وسلم كان رسولًا لدعوة دينية خالصة للدين لا تشوبها نزعة ملك ولا دعوة لدولة..».

قال الرئيس وهو يهز رأسه معترضًا ..

«اتق الله يا شيخ علي.. الإسلام دين ودولة ونظام مجتمع».

«يـا سـيادة الرئيس ..لا أجـد فرقًا بين موقفكم وموقـف الملك فؤاد.. أنتـم تريـدون ما يكفل لكم رياسـة عامـة في أمور الدين والدنيـا نيابة عن النبي صلي الله عليه وسلم.. تريدون ما يضمن لكم على المسلمين الولاية العامة المطلقة.. والطاعة التامة.. والسلطان الشامل..

يـا سـيادة الرئـيس.. إذا كنتـم حقًّـا تريـدون وتحملـون الخـير لمصر.. وتتطلعـون لرفعة الدولة التي تدين بدين الإسـلام لتتبـوأ مكانتها اللائقة بـين الأمـم.. فعليكـم أن تسـابقوا الأمـم الأخـرى.. في علـوم الاجتماع والسياسـة كلهـا.. وأن تبنوا قواعـد حكمكم.. ونظـام حكومتكم.. على أحـدث ما أنتجت العقول البشريـة.. وأمتن ما دلت تجارب الأمم على أنه خير أصول الحكم».

وقف الرئيس سـاهمًا للحظات.. وكأنه يحاول استيعاب ما قاله الشيخ علي عبد الرازق.. ثم غادر في صمت ..



# 26

# فـــاروق الأول

واصـل الرئيس رحلته بين أعمدة الكرنك.. وعند العمود التالي وقف مشـدوهًا عندما رأى أمامه الملك فاروق.. وقد وقف بجلال يرتدي بدلته الرسمية الموشاة.. وعلى رأسه طربوشه الأحمر..

نظر الرئيس له بخبث وسأله ..

«حضرتك الملك فاروق.. مش كده ؟»

فنظر إليه الملك بعينين زرقاوين صافيتين ورد بوقار ..

«نحن فاروق الأول ملك مصر والسودان ... نعم» ..

حك الرئيس رأسه وتساءل ..

«أنا ما عدتش فاهم حاجة.. ملك فاسد الجيش شاله في ثورة.. بتعمل إيه في مجمع الخالدين؟ .. أنا مش عارف هما بينقوا الناس على أساس إيه»

رد الملك فاروق بهدوء..

«بدايةً.. سأترفع عن التعليق على أسلوب ولغة السؤال.. فليس هكذا يخاطـب الملـوك يا فخامـة الرئيس.. الجيـش الذي ثار عـليّ أدى لي التحية

العسكرية.. وأطلقت مدفعيته إحدى وعشرين طلقة تحية لي عند مغادرتي الإسكندرية ..».

احمر وجه الرئيس وغمغم معتذرًا.. وواصل الملك فاروق حديثه..

«أما عن موضوع الفساد.. فهذا يعتمد على تعريف الفساد.. فأنا يكفيني شرفًا وفخرًا أنني عندما غادرت مصر تركتها دائنة لا مدينة ..وأن عهدي شـهد أفضل عهـود الديمقراطية والنزاهة النيابيـة في تاريخ مصر المعاصر حتـى يومنا هذا وشرفت السـاحة السياسـية بقـادة ورجـال دولة وزعماء وطنيين أدعو الله أن تجود مصر بمثلهم ثانية حتى ينصلح حالها ..».

سكت الملك للحظات مفكرًا ثم واصل حديثه ..

«لم تكـن مشـكلتي الفسـاد.. بل قلة الخبرة وسـوء اختياري لحاشـيتي ومستشـاريَّ.. مما أدى لتردي الأوضـاع في مصر ومهد لقيام الثورة.. بعد وفـاة والدي الملك فؤاد رحمه الله.. وتوليتي مقاليد الحكم.. عقد الشـعب عليَّ آمالًا عريضة.. ولكني خذلته.. أساسًا كنتيجة لهذين السببين ..».

واستدار الملك فاروق ليواجه الرئيس مركزًا عينيه الزرقاوين على عيني الرئيس الذي طرف بعينيه مرتبكًا ..

«ووالله يـا فخامة الرئيس.. إني لأراك سـائرًا عـلى دربي متبعًا خطاي.. بل أراك أسوأ مني بكثير».

هتف الرئيس مندهشًا ..

«إيه ؟ ..أنا ؟ إزاي..؟».

«أرى منـك قلة الخبرة.. ومع جهل بالبروتوكول.. وعناد وغرور وثقة زائفة بالنفس يمنعانك من أخذ النصيحة.. ففي بعض المواقف أراك تجعل من نفسك أضحوكة ..»

فتح الرئيس فمه ليعترض فأسكته الملك بإشارة من يده ..

«أما عن حاشـيتك ومستشـاريك.. فحدث ولا حرج.. إنك تسـتعين بأهـل الثقـة لا أهل الخبرة.. فتخرج قراراتك شـوهاء أو جوفاء أو خاطئة ..كم من قرار اتخذته صباحًا وألغيته مسـاءً.. كم أمرٍ ألقيته وألغاه القضاء لعدم قانونيته.. وعندما تتراكم كل هذه الأخطاء فإنها تتحول إلى سـوس ينخر في البلد ويؤدي إلى الفساد.. وعندها ستجد لقب الرئيس الفاسد في انتظارك بغض النظرعن نيتك ومحاولاتك وراية الدين التي ترفعها..».

ألقى الملك فاروق نظرة عابرة على الرئيس الذي وقف شاردًا يلعب في شعرات لحيته وواصل حديثه ..

«أمـا عن تعجبـك من وجودي في مجمـع الخالدين.. فاعلـم أن الناس مواقـف.. واعلـم أن موقفًـا عظيـمًا واحـدًا يمكـن أن يغفر بـه الكثير من سـقطات تاريخ كامل.. والعكـس صحيح فتاريخ سـاطع تختمه بموقف خاطئ ..يمكن أن يلوث تاريخك كله.. كما حدث لسلفك ..

لقـد كنـت دائـمًا محبًّا مخلصًا لوطني وشـعبي.. وعندما قرر الشـعب أنه لا يريـدني.. غـادرت البلاد دون أدنـى اعتراض.. وأصدرت أمـرًا ملكيًّا

ذرف من يكرهني قبل من يجبني الدمع عند سماعه.. قلت فيه: (لما كنا نتطلب الخير دائمًا لأمتنا ونبتغي سعادتها ورقيها.. ولما كنا نرغب رغبة أكيدة في تجنيب البلاد المصاعب التي تواجهها في هذه الظروف الدقيقة ونزولًا على إرادة الشعب قررنا النزول عن العرش لولي عهدنا الأمير أحمد فؤاد وأصدرنا أمرنا بهذا إلى حضرة صاحب المقام الرفيع علي ماهر باشا رئيس مجلس الوزراء للعمل بمقتضاه..).

ورغم علاقاتي القوية بأوروبا.. ووجود قوات بريطانية على أرض مصر.. فإني رفضت عروض القوى الأجنبية التي كان يمكن أن تتدخل عسكريًا لقمع حركة الضباط الأحرار.. وأعلنت: (إن نقطة دم مصرية أثمن عندي من كل عروش الدنيا والرحيل فورًا أهون على قلبي من سفك دماء مصرية حفاظًا على منصبي)..

انفعل الملك فاروق وارتفع صوته مخاطبًا الرئيس..

«هل تريد يا سيادة الرئيس أن أذكرك بموقفك من مؤيديك الذين سفكوا دماء معارضيك في محيط القصر الرئاسي بحجة حماية الشرعية.. قل لي بحق هذه الدماء الطاهرة.. أي شرعية كان أولى أن تسفك من أجلها الدماء.. شرعية عمرها بضعة أشهر.. أتت بها أغلبية هزيلة تحت شعار الدين.. أم شرعية الأسرة العلوية التي أرسى مؤسسها محمد علي باشا الكبير قواعد نهضة مصر الحديثة قبل الثورة بأكثر من ثمانية عقود؟».

ارتعد الرئيس أمام غضبة الملك ولم يجرؤ على الرد..

تمالك الملك فاروق أعصابه ونظر للرئيس بهدوء وقال له..

«لقد تنبأت لنفسي بالرحيل.. عندما قلت: (في يوم من الأيام لن يكون هناك غير خمسة ملوك: أربعة ملوك في ورق اللعب وملك بريطانيا).. كنت أوقن أن مقاليد الحكم ستذهب إلى الشعب عاجلًا أم آجلًا.. فا حترس.. فالشعب الذي يسقط ملكًا.. قادر على أن يسقط عشرة رؤساء.. حتى وإن ارتدوا عمامات الشيوخ..».

وعدل الملك وضع طربوشه على رأسه.. وغادر المكان ..وبعد عدة خطوات.. توقف الملك ونظر من فوق كتفه إلى الرئيس وقال له..

«كلمة أخيرة يا فخامة الرئيس.. الصدق من شيم الملوك.. وهو قيمة من القيم التي يجدر بالرؤساء أيضًا أن يتحلوا بها..».

وواصل الملك فاروق طريقه تاركًا الرئيس يضرب أخماسًا فى أسداس..



# 27

## ابـــن إيــاس الحــنـفــي

عنـد العمـود التالي من أعمـدة الكرنك شـاهد الرئيس رجـلًا يرتدي ملابس عصور المماليك ..ابتدر الرجل الرئيس معرفًا نفسه ..

«أنا أبو البركات ابن إياس الحنفي.. مؤرخ مصري.. ولدت في القاهرة سـنة 1448 .. عاصرت حكم السـلطان الغوري لمصر ..وشـهدت انهيار دولة المماليك بعد الغزو العثماني لمصر.. وهبت سنوات طويلة من عمري في كتابة أهم مؤلفاتي ( بدائع الزهور في وقائع الدهور) الواقع في خمسة أجزاء أرخت فيها لتاريخ مصر العظيم من بداية التاريخ حتى سنة 1522».

رد الرئيس وقد بدا عليه نفاد الصبر ..

«تشرفنـا يـا سـيدي.. بـس معلـش اعـذرني.. أنا إيـه دخـلي بالمماليك والعثمانيين ؟».

رد ابن إياس بامتعاض ..

«أولًا.. كل مـا يتعلـق بتاريخ مصر يخصك ويجـب أن تكون على علم بـه.. ثانيًـا.. عندمـا يفني المؤرخـون عمرهـم في كتابة التاريـخ.. فإنهم لا يفعلـون ذلـك بدافـع الشـهرة أو قتل الوقت.. بـل ليتركوا إرثًـا للأجيال

اللاحقة ..يتعلمون به ويتعظون من تجارب أسلافهم.. ليحافظوا على ما اكتسبوه من أمجاد.. ويتجنبوا فلا يكرروا ما اقترفوه من أخطاء.. فالتاريخ يدور في دورات.. وكثيرًا ما يعيد نفسه ..».

توقف ابن إياس ليلتقط أنفاسه.. ثم أنشد وقد انهمرت الدموع من عينيه أبياتًا من قصيدة طويلة مؤثرة أرخ فيها للفتح العثماني لمصر ..

| | |
|---|---|
| نوحوا على مصر لأمر قد جرى | من حادث عمت مصيبته الورى |
| زالت عساكرها من الأتراك في | غمض العيون كأنها سِنة الكرى |
| الله أكبر إنها لمصيبة | وقعت بمصر ما لها مثل يُرى |
| لهفي على عيش بمصر قد خلت | أيامه كالحلم ولى مدبرا |

هتف الرئيس منزعجًا ..

«يا شيخ فال الله ولا فالك.. وبعدين نفسي أفهم إنت بتعيط على إيه دلوقت».

جفف إبن إياس دموعه وقال ..

«كتبت هذه الأبيات كمدًا على انهيار دولة المماليك.. التي امتد ملكها ليغطي الشام واليمن والحجاز لتنتهي كولاية عثمانية.. وأبكي الآن لرؤيتك تدفع التاريخ ليعيد نفسه..».

بدت الدهشة على الرئيس.. وأجاب وهو يضرب كفًا بكف ..

«إيه يا خويا الكلام الغريب ده.. إحنا معندناش مصايب الحمد لله ومافيش مماليك ولا عسكر ولا أتراك ..» بدت الحدة على ملامح ابن إياس وفي نبرة صوته ..

«المصيبة قادمة لا محالة.. وأنت بدون أن تدري تدفع مصر.. قلب الشرق الأوسط والعالم العربي لأن تكون ولاية تركية.. ولكن بلا معارك ولا إراقة دماء ..ولو لم تفهم فسيكون مصيرك مثل مصير طومان باي.. ولكن بأيدي المصريين هذه المرة ..».

ارتفعت يد الرئيس لا إراديًّا إلى عنقه.. وابتلع ريقه بصعوبة ..

«مش فاهم.. مش فاهم حاجة ..».

رد عليه ابن إياس بنفاد صبر..

«منذ أن قررت جماعتك تكوين حزب ليكون ذراعًا سياسية لها.. كانت تجربة حزب العدالة والتنمية نصب أعينكم.. وتخيلتم بل وصدقتم أنفسكم بأنكم ستعيدون التجربة الناجحة لهذا الحزب.. واخترتم اسمًا مشابهًا للإيحاء بالصلة.. فسميتم حزبكم الحرية والعدالة.. وظننتم أنكم ستبدءون من حيث انتهى الأتراك.. وستلحق مصر بركاب تركيا كقوة صناعية وعملاق اقتصادي.. ولكنكم لا تتعلمون من دروس التاريخ..

عندما أسس رجب طيب أردوغان ومعه عبد الله جول حزب العدالة والتنمية.. تعمقا في دراسة تاريخ الحركة الإسلامية في تركيا منذ الخمسينيات.. عندما جاهد عدنان مندريس لإعادة الحياة للهوية الإسلامية لتركيا.. عبر السماح برفع الأذان باللغة العربية وكذلك الإذن بفتح معاهد دينية لتخريج خطباء وأئمة المساجد.. ولم يسلم مندريس من

الصدامات مع المؤسسات العلمانية للدولة التركية.. وانتهى الأمر بإعدامه بعد عشر سنوات..

وفي عهد الرئيس سليمان ديميريل استأنفت الحركة الإسلامية بزعامة نجم الدين أربكان نشاطها عام 1970 من خلال حزب النظام الوطني الذي كان أول تنظيم سياسي ذي هوية إسلامية تعرفه الدولة التركية الحديثة منذ زوال الخلافة عام 1924.. والذي اهتم بإقامة بنية تحتية قوية للإسلام من خلال التعليم وإنشاء المدارس الابتدائية والثانوية لإعداد جيل مؤهل لحمل المسئولية ..ثم تدخلت المؤسسة العسكرية من جديد.. وتم حل الحزب بعد تسعة أشهر.. فلم ييئس أربكان وقام بتأسيس حزب السلامة الوطني عام 1972.. وشارك في الانتخابات العامة ليفوز بخمسين مقعدًا في مجلس النواب كانت كافية له ليشارك في مطلع عام 1974م في حكومة ائتلافية مع حزب الشعب الجمهوري العلماني الذي أسسه أتاتورك.. وشغل أربكان منصب نائب رئيس الوزراء .

وفي عام 1980 تزعم قائد الجيش كنعان إيفرين انقلابًا عسكريًا أطاح بالائتلاف الحاكم وتم تعطيل الدستور وحل الأحزاب واعتقال الناشطين الإسلاميين.. ودخل أربكان السجن لثلاث سنوات.. ليفرج عنه في عهد تورجوت أوزال.. فأسس حزب الرفاه عام 1983.. الذي شارك في انتخابات نفس العام لكنه لم يحصل إلا على 1.5٪ من الأصوات.. وواصل أربكان جهوده السياسية حتى تمكن حزبه من الفوز بالأغلبية في انتخابات عام 1996 ليترأس أربكان حكومة ائتلافية مع حزب الطريق القويم

برئاسة تانسو تشيللر.. ويستمر في الحكم لسنتين ويسقط حزبه ويحظر نشاطه لمدة عام ويمنع أربكان من مزاولة النشاط السياسي لخمس سنوات ويجري اعتقاله ومحاكمته بتهمة مخالفات مالية وينتهي في السجن...

بعد استيعاب كل هذه الدروس.. أسس أردوغان.. رئيس بلدية أسطنبول الناجح ومعه عبدالله جول ومعهم المجددون من أنصار أربكان حزب العدالة والتنمية ..الذي يصنف نفسه بأنه يتبع مسارًا محافظًا.. ليبراليًا ومعتدلًا.. وهو غير معاد للغرب ويتبنى النظام الرأسمالي ويسعى لانضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي.. وينفي الحزب أن يكون حزبًا إسلاميًا ويحرص على ألا يستخدم الشعارات الدينية في خطاباته السياسية.. والتزم لحزب العدالة والتنمية مسارًا يتجنب الصدام مع الجيش والقضاء ومؤسسات الدولة.. بل العمل على كسب ثقتها.. وإعطاء الأولوية لتنمية الاقتصاد، والابتعاد عن إثارة المعارك حول القضايا الحساسة مثل الحجاب ومطالب الإسلاميين المتشددين.. كما صرح رئيس الحزب ورئيس الوزراء رجب طيب أردوغان (أن حزبه الحاكم سيواصل السير على طريق حماية القيم الجمهورية ومن بينها العلمانية).. ولا يزال أردوغان يمارس عمله من مكتبه.. وقد علقت خلفه صورة مصطفى كمال أتاتورك ..مؤسس الدولة التركية الحديثة.. والعدو اللدود للإسلاميين ..».

التفت ابن إياس للرئيس وقال له:

«هل فهمت الفرق يا سيادة الرئيس ؟ لا أنت كأردوغان.. ولا الحرية والعدالة مثل العدالة والتنمية.. ولا أنتم تبدءون من حيث ما انتهوا».

غمغم الرئيس بكلمات غير مفهومة مبديًا اعتراضه ..

وواصل ابن إياس حديثه ..

«وما زلتم تواصلون التمسح بالتجربة التركية.. مع شساعة بعدكم عنها.. ورغم تصريح أردوغان الواضح عند زيارته لمصر بأنه مسلم ولكن حزبه وحكومته علمانيون..

إنكم تستخدمون المثال التركي كجزرة تعلقونها للشعب لتخدعوه.. وفي نفس الوقت تفتحون أبواب مصر على مصاريعها لرجال الأعمال الأتراك بمنظور غير ندي.. وميزان تجاري يميل بشدة نحو مصلحة الجانب التركي.. ففي خلال عدة أشهر من حكمكم الرشيد.. غمرت البضائع التركية الأسواق المصرية على حساب الصناعة المصرية.. وبدأت الشركات الخدمية التركية تستولي علي نصيب عظيم من السوق المصري على حساب الشركات المصرية ..حتى في مجال الإعلام.. سحبت المسلسلات التركية البساط من تحت المسلسلات المصرية.. لم يجبركم الأتراك على شيء.. أنتم من يركض وراءهم بحكم الاستفادة من تجربتهم.. وبالنسبة لهم فهذه فرصة ذهبية للفوز بنصيب الأسد في سوق بحجم مصر ..

أما النقطة الأخطر فإن خبراء السياسة يطلقون على حزب العدالة والتنمية التركي لقب العثمانيين الجدد.. وهذا ما أقر به وزير الخارجية التركي أحمد داود أوغلو حيث قال:

(إن لدينا ميراثًا آل إلينا من الدولة العثمانية.. إنهم يقولون هم العثمانيون

الجدد.. نعم نحن العثمانيون الجدد.. ونجد أنفسنا ملزمين بالاهتمام بالدول الواقعة في منطقتنا)..».

والتفت ابن إياس للرئيس بكل جوارحه..

«هل فهمت قصيدتي الآن يا سيادة الرئيس.. إني أحذرك من دورات التاريخ.. ولو لم تتذكر تاريخ مصر وحجم مصر وشعبها.. فإنك تدفع بمصر لتكون أول ولايات الدولة العثمانية الجديدة.. وعندها ستكون أول من يدفع الثمن.. على باب زويلة..».

تعجب ابن إياس وهو يرى الرئيس يفر من أمامه راكضًا بأقصى سرعة.. كأنما يفر من وحش يطارده..».



# 28

# توفيــق أندراوس

عند العمود التالي.. رأى الرئيس رجلًا بملامح مصرية صميمة.. وقد ارتـدى بدلـة رماديـة أنيقة.. وقد مال طربوشـه الأحمر إلى جانب في لمسـة كشفت جبينه العالي..

ابتدره الرجل متسائلًا..

«قل لي يا سيادة الرئيس.. هل تؤمن بالإشارات الإلهية ؟».

بدت على وجه الرئيس أمارات عدم الفهم..

«هه؟ مش فاهم.. يعني إيه ..».

«أقصد عندما يعطي الله إشارة لعباده لإيصال رسالة معينة..».

رد الرئيس وقد غطت وجهه ابتسامة واسعة..

«آه طبعًا.. فهمت حضرتك.. آه طبعًا بيحصل.. ونعم بالله».

فرد الرجل باعتزاز..

«إذًا أخبرني ما قولك فيمن يتوفاه الله في أمسـية وافقت ليلة عيد الميلاد المجيد وأول أيام عيد الفطر المبارك.. وشيعت جنازته في أول الأيام البيض

من شـوال الموافق ليوم عيد الميلاد المجيـد.. وتقدم الجنازة نقباء الأشراف والمشـايخ والقساوسـة والرهبان من الأقصر وقـوص وأرمنت بالإضافة لكبار رجال الدولة المصرية ..».

غمغم الرئيس محدثًا نفسه ..

«يوه.. أسطوانة وحدة وطنية تاني ..».

ارتفع صوت الرجل قائلًا ..

«أجل يا سـيادة الرئيس.. أسـطوانة وحدة وطنية تاني.. أنا توفيق باشا أندراوس.. سـبع الصعيد.. وأمير السـماحة الوطنية ..كما أطلق علي سعد باشـا زغلول.. أنا المسـيحي الذي انتخبته الأغلبية المسلمة هنا في الأقصر نائبًا لها فى البرلمان ثلاث دورات ولو امتد بي العمر ما انتخبوا غيري . وفى إحدى الدورات رشـحت السراي أمامي خيري باشـا زوج ابنة السلطانة ملك ولم يحصل مرشح السراي المسلم إلا على صوت واحد ..».

رد الرئيس مرتبكًا ..

«تشرفنا يا توفيق باشـا.. أعصابك بس.. أنا مش قصدي حاجة.. هي بـس قصة الوحـدة الوطنيـة دي بقت موضـة ..ووتر بيلعـب عليه أعداء الوطن من الداخل والخارج علشان يهاجمونا ويعرقلوا مسيرة النهضة».

أجاب توفيق باشا ساخرًا..

«أنت تنسى يا سيادة الرئيس أنكم أنتم من ابتدعتم هذه القصة وصنعتم منها مشـكلة للمزايدة عليها لكسب مواقف سياسية.. وأنتم من تشعلون

نيران التعصب والفتنة بتصريحات عنصرية غير مسئولة من شيوخ لم نسمع مثيلًا لما يستشهدون به من قبل ..

يـا سـيادة الرئيس.. الوحـدة الوطنية جزء لا يتجزأ من نسـيج شـعبنا المصري على مر العصور ..يشهد بها قتال مسيحيي مصر جنبًا إلى جنب مع إخوانهم المسـلمين تحت راية الهلال ضد جيوش الفرنجة التي غزت مصر حاملة راية الصليب ..يشـهد بها يوم ذهابنا أنا وفخرى عبد النور وويصا واصف إلى سعد زغلول مساء نفس اليوم الذي قابل فيه سعد باشا وعبد العزيز فهمى وعلى شـعراوي المعتمد البريطاني للمطالبة باستقلال مصر.. وإعلاننا باسـم أقباط مصر أن الصليب مع الهلال وراء سـعد زغلول على طريق الاسـتقلال عن الاستعمار البريطاني المسيحي.. ألا تقرءون التاريخ يا سيادة الرئيس؟» ..

فتح الرئيس فمه ليقول شيئًا.. ولكنه لم يجد ما يقوله فسكت.. وواصل توفيق باشا حديثه ..

«منـذ نعومـة أظفاري شـهدت عطـاء والدي أندراوس باشـا بشـارة للمصريين دون تفرقة حين قام بوقف مائة فدان لخدمة مسـاجد وكنائس الأقصر مناصفةً.. وأوقف عشرة أفدنة لإنشـاء المدرسـة الصناعية لشباب الأقصر مسلمين ومسيحيين.

وسرت عـلى خطـا والـدي.. فوهبـت ما يقرب مـن 100 فـدان لبناء المساجد والكنائس.. خصص جزء منها لبناء مسجد سيدي «أبو الحجاج»

بالأقصر..كما بنيت مدرسة الأقباط ومسجد المقشقش ومسجد المداموي وجمعية الشبان المسلمين ..ورعيت الهلال الأحمر والكثير من الجمعيات الخيرية وملاجئ الأيتام.. هكذا كنا ياسيادة الرئيس ..».

أشرق وجه توفيق باشا وهو يستعيد ذكرياته ثم واصل حديثه ..

«أما من ناحية شعورنا الوطني فحدث ولا حرج.. كانت مصر دائمًا هي غايتنا ومنتهانا ..لم نخش الملك أو البوليس السري ولا الإنجليز.. عندما نفت السلطات سعد زغلول ورفاقه علمت أن أم المصريين صفية هانم زغلول تشكو من انخفاض موارد الوفد.. فقمت فورًا ببيع سبعمائة فدان وضعت ثمنها تحت تصرف أم المصريين للصرف على الحركة الوطنية.. وبعد عودته من المنفى قام سعد باشا برحلة نيلية لزيارة مدن الصعيد.. وجاءت تعليمات من قوات الاحتلال بمنع نزول سعد باشا في أي مدينة والقبض على كل من يرحب به.. وعندما اقتربت السفينة من الأقصر.. أكد مدير الأمن العام منع سفينة سعد باشا من الرسو بالأقصر.. فلما اقتربت السفينة.. قمت برفع أعلام إيطاليا وبلجيكا وفرنسا فوق قصر العائلة.. إذ كان أخي يسي أندراوس بك قنصلًا فخريًا لها في الأقصر ..فاقتربت السفينة لترسو قبالة القصر.. فلم يجرؤ مدير الأمن ولا الإنجليز على التعرض لها حتى لا تنشأ عن ذلك أزمة دبلوماسية.. وقمنا بمد سلم خشبي كبير من السفينة إلى القصر.. وشرفنا باستقبال سعد زغلول به ..وامتلأت ساحة القصر بالآلاف من أهالي الأقصر وأعيانها.. واختلطت ترانيم شماسي

الكنيسة بتكبيرات الأهالي ترحيبًا بالضيف الكبير الذي ألقى خطابًا مؤثرًا أجج المشاعر.. واشتعل هتاف الجماهير.. يحيا سعد.. ليقاطعهم سعد باشا قائلًا.. بل يحيا توفيق أندراوس ..».

ومسح توفيق باشا دمعة غالية سالت على خده وقال ..

«أيـن أنتـم ممـا كنا فيه يـا سـيادة الرئيـس ؟.. وإلى أين أنتـم آخذونا.. وآخذو مصر؟»

وغادر توفيق أندراوس وهو يردد ..

«الرب رءوف رحيم يغفر الخطايا ويخلص في يوم الضيق ..

الرب رءوف رحيم يغفر الخطايا ويخلص في يوم الضيق ..

الرب رءوف رحيم يغفر الخطايا ويخلص في يوم الضيق ..».

وتابعه الرئيس شاردًا.. حتى اختفى عن ناظريه ..



# 29

# أم كلثـــوم

أحاط بعمود الكرنك التالي جو ساحر.. فيه نبل وجلال وحياء ..فعنده وقفت صاحبة العصمة وكوكب الشرق.. أم كلثوم.. أخذت يداها تشدان بعصبية على منديلها الحريري وهي تشاهد الرئيس يقترب وهو يلهث بعد أن أتـى راكضًا من العمـود المجاور ..وبينما هي تتابعـه بنظرها.. ومضت ذاكرتهـا بشريط حياتهـا يمر أمامها في ثوان ..شـعرت بالرضا عن نفسـها وأشرق وجهها بابتسامة عريضة ..

نظر الرئيس بحذر إلى ابتسامتها.. فبادرته بأسلوبها الساخر ..

«قـول لي ولا تخبيـش يـا زين.. هـل ( صوت المـرأة كان ولا يزال من المفاتن التى تجذب الرجل وتثير غرائزه والأذن تعشـق قبل العين أحيانًا.. وكل فعل يؤدي إلى طمع الذي في قلبه مرض يعتبر حرامًا سـًّدا للذرائع.. ولهذا فإن غناء المرأة حرام ).. هل لا يزال هذا مبدأكم ..؟».

ارتبك الرئيس من هجومها المباشر ..

«بشـويش عليا يا سـت أم كلثوم.. شيوخنا يفتون الآن بأنه لا مانع من قيام المرأة بالغناء.. شريطة أن تتقيد بالضوابط الشرعية ..».

فردت أم كلثوم ..

«ويا ترى هل السلفيون موافقون على هذه الفتوى الحديثة.. ؟».

تنحنح الرئيس ثم قال ..

«المدارس الفقهية بتختلف يا ست.. وإحنا بنحاول نقرب وجهات النظر.. وبعدين ماتنسيش فيه مشكلة الموسيقى كمان.. دي برضه مشكلة عويصة ..».

اختفت الابتسامة من على وجه أم كلثوم.. وقالت للرئيس ..

لعلمك يا سيادة الرئيس الشيخ مصطفى عبدالرازق شيخ الأزهر وصفني بأميرة الغناء في وادي النيل.. كما قال.. أم كلثوم نعمة من نعم الدنيا ..ألم يقرأ شيخ الأزهر في الفقه يا سيادة الرئيس.. أم أنكم ابتدعتموه..؟

الشيخ أحمد حسن الباقوري وقت أن كان وزيرًا للأوقاف قدم لي في برنامج إذاعي قائلًا:

(والآن تهفو مسامعنا إلى أم كلثوم.. وأنتم أعرف بها.. فقد رقيت أم كلثوم بأذهان الناس وباللحن وبالشعر العربى الحديث).. ألم يعلم وزير الأوقاف الفرق بين الحلال والحرام؟

أم أنكم اكتشفتموه ؟ ..

فكر الرئيس في رد فلم يجد.. فأطرق ساكنًا.. وواصلت أم كلثوم حديثها ..

«دعني أخبرك بمعلومة.. قام النقاد الموسيقيون بوضع قائمة بأهم 50 عملًا موسيقيًّا أو غنائيًّا في تاريخ الموسيقى العالمية تبعًا لتأثير هذه الأعمال على البشرية.. وفي المركز العاشر جاء غنائي من ألحان الموسيقار الكبير رياض السنباطي لقصيدة سلوا قلبي.. التي كتبها أمير الشعراء أحمد شوقي في عشرينيات القرن الماضي في مدح رسولنا عليه الصلاة والسلام في ذكرى المولد النبوي الشريف والتذكرة بفضائل الرسول وأفضاله علينا وعلى البشرية .. يقول مطلع القصيدة:

**سلوا قلبي غداة سلا وتابا     لعل على الجمال له عتابا**

هذه القصيدة التي كتبها شوقي بك في أعقاب ثورة 1919 كانت مليئة بخليط هادر من المشاعر الدينية والوطنية المتأججة.. وعندما غنيتها عام 1945 كانت الحركة الوطنية المصرية في قمة توهجها ..».

لمعت عينا أم كلثوم وهي تتذكر ..

«عندما كنت أصل في غنائي إلى البيتين :

**وعلمنا بناء المجد حتى     أخذنا إمرة الأرض اغتصابا**

**وما نيل المطالب بالتمني     ولكن تؤخذ الدنيا غلابا**

كان الجمهور يشتعل حماسًا وهتافًا.. ليس فقط في صالة المسرح.. بل في المقاهي والشوارع والبيوت في كل ربوع مصر.. بل والعالم العربي كله إذ كانت الحفلات تذاع مباشرة على الهواء.. كان الشعب يعبر عن إرادته في بناء المجد.. ونيل مطالبه في الحصول على حقه في الحرية والاستقلال..

كان الشعور الديني في القصيدة يتصاعد ليفجر انتفاضة وطنية تلتهب لها المشاعر وتلهب حماس الجماهير ..فكان الجمهور - كما قال محمد عبد الوهاب - يصفق ويهتف لأم كلثوم وكأنها زعيمة وطنية لا مطربة..».

عادت الابتسامة الساخرة لوجه أم كلثوم وسألت الرئيس ..

«قل يا سيادة الرئيس.. في خضم هذا الفيض من المشاعر الدينية والوطنية التي اشتعلت بفعله ثورات.. وانتفضت بتأثيره شعوب.. هل تتخيل أنه كان هناك أحد عنده مرض في قلبه فاضي ليطمع في أو تستثار غرائزه لسماع صوتي ..؟ صوتي الذي سخرته لخدمة وطني وقمت بتنظيم عدة حفلات في أكثر من بلد تبرعت بعائداتها لحملة التبرع للمجهود الحربي.. من أجل دعم قدرات الجيش المصري بعد نكسة 1967؟».

خفض الرئيس عينيه خجلًا ولم يرد..

واصلت أم كلثوم حديثها ..

«يا سيادة الرئيس هذا الصوت الذي يصفه المتشددون بأنه عورة وإثارة للغرائز لأنه صادر من حنجرة أنثى.. تغنى بحب الله ومدح الرسول وعشق مصر..

هذه الحنجرة الأنثوية المكروهة شدت بأبيات نهج البردة.. وولد الهدى والهجرة النبوية وخذ بيدي يا رسول الله.. فرددت الأمة العربية من المحيط إلى الخليج خلفها.. عليك الصلاة والسلام يا رسول الله.. هذا الصوت الأنثوي المحرم غنى إلى عرفات الله ففاضت الأعين بالدموع شوقًا لحج

بيت الله.. هذه النبرات المثيرة للغرائز ..تغنت بحب مصر وألهبت حماس شعبها عندما أنشدت تحت قصف الطائرات.. والله زمان يا سلاحي.. التي تغنيت بها فور حدوث العدوان الثلاثي ..كما غنيت وقف الخلق ينظرون جميعًا كيف أبني قواعد المجد وحدي.. طوف وشوف.. قوم بإيمان وبروح وضمير.. وأجل إن ذا يوم لمن يفتدي مصر..

هذه الحنجرة المؤنثة أنشدت قصيدة النيل.. كما غنت للسودان ..وألهبت حماس العرب عندما ارتفع صوتها قائلًا أصبح عندي الآن بندقية.. إلى فلسطين خذوني معكم..».

علق الرئيس مترددًا ..

«بيتهيألي الأغاني الدينية والوطنية ممكن تعدي.. ما فيهاش إثارة للغرائز».

قاطعته أم كلثوم بعصبية ..

«يا دي الغرائز اللي مسيطرة على تفكيركم.. اعلم يا سيادة الرئيس أن فخري بغناء نهج البردة لا يقل عن اعتزازي بغناء الأطلال وإنت عمري.. فالسمو بالدين لا يقل عن السمو بالعاطفة ..

فالحب الراقي والعواطف السامية لم يكونا أبدًا من المحرمات..

يا سيادة الرئيس.. أعجب من المساحة التي يفردها مشايخكم لمهاجمة الفن وتهميش دور المرأة والتركيز على توافه الأمور.. بدلًا من القيم السامية والمبادئ الراقية التي دعا إليها الإسلام وبها يبنى الأساس السليم لمجتمع إسلامي قويم ..

أسترجع أبياتًا شدوت بها لأمير الشعراء أحمد شوقي من رائعته إلى عرفات الله :

فَقُـل لِرَسولِ اللهِ يا خَيرَ مُرسَلٍ أَبُثُّكَ ما تَـدري مِنَ الحَسَـراتِ
شُعوبُكَ في شَرقِ البِلادِ وَغَربِها كَأَصحابِ كَهفٍ في عَميقِ سُباتِ
بِأَيمانِهِمْ نوران.. ذِكـرٌ وَسُنَّةٌ فَما بالُهُـمْ في حالِكِ الظُّلُماتِ
فَقُل رَبِّ وَفِّـق لِلعَظائِمِ أُمَّتي وَزَيِّن لَها الأَفعـالَ وَالعَـزَماتِ

أدعو الله وأبث همي لرسوله بهذه الأبيات.. وأرجو أن يسمعها عاقل منكم.. عسى أن نصحو من السبات ونخرج من الظلمات ..»

صمتت أم كلثوم للحظات.. فتململ الرئيس وتحرك مغادرًا.. فاستوقفته ..

«كلمة أخيرة يا سيادة الرئيس.. أريد أن أحملك أمانة.. لتحملها معك إلى مشايخك المتشددين.. إنها كلمة قالها في الثلث الأول من القرن التاسع عشر الشيخ حسن العطار شيخ الجامع الأزهر.. قال رحمه الله : (من لم يتأثر برقيق الأشعار.. تتلى بلسان الأوتار.. على شطوط الأنهار.. في ظلال الأشجار.. فذلك جلف الطباع حمار) ..

غادر الرئيس مسرعًا وضحكة أم كلثوم المجلجلة يردد بهو الكرنك صداها في أثره..



# 30

## حســين مؤنــس

وقـف عند العمـود التـالي بوجهـه البشـوش وابتسـامته الآسرة.. إنه الدكتور حسين مؤنس الأديب والمؤرخ وأستاذ التاريخ الإسلامي ..

اقترب الرئيس منه وقال متباهيًا ..

«كان نفـسي تكـون لســه عايش يـا دكتور علشـان تكتب عـن الدولة الإسلامية الجديدة إللي بتتولد دلوقتي في مصر..».

لمعت عينا حسين مؤنس خلف نظارته بنظرة مستنكرة..

«أتوقع إذًا أن تكون قد اطلعت على كتابي (دستور أمة الاسلام : دراسة في أصول الحكم وطبيعته وغايته عند المسلمين )..».

هز الرئيس رأسه سلبًا ..

تابع الدكتور مؤنس حديثه ..

«حسـنًا . دعني أناقش بعض النقاط الأساسية معك.. ولنبدأ بأخلاق الإسلام ..

قوة الإسـلام ترجع إلى أن أخلاقياته من حـب وتآلف وأخوة وصدق هي أســس وقواعد سياسـية كذلك، فالخط الأخلاقي هو خط سـياسي في

نفس الوقت، والسياسة في الإسلام هي الأخلاق ، ولا يمكن أن تفلح أمة الإسلام سياسيًا إذا لم تكن صالحة أخلاقيًا ..».

رد الرئيس مفتخرًا ..

«الحمدلله يا دكتور حسين.. إحنا أخلاقنا أخلاق الإسلام ..».

نظر الدكتور مؤنس إلى الرئيس من فوق عدسات نظارته وقال:

«للأسف يا سيادة الرئيس.. كانت الأجيال الأولى من المسلمين على مثال من الالتزام بهدي الإسلام ومكارم أخلاقه.. ومن الفهم لروحه وغاياته على مستوى لا يصدق ... أما الأجيال المتأخرة من المسلمين فهي على مثال من البعد عن الإسلام وروحه والزهد في الحق ومكارم الأخلاق على درجة لا تصدق ..

قل لي أين أنتم من الحب والتآلف والأخوة والصدق.. فأنا أراكم تسعرون نار الشقاق والفرقة بين أفراد الشعب وتستحلون الكذب بحكم أن الضرورات تبيح المحظورات.. راجع نفسك يا سيادة الرئيس وكن أمينًا معها.. فلن يفلح حزبك ولن تنجح جماعتك سياسيًا ما لم تكن صالحة أخلاقيًا ..».

رد الرئيس بثقة ..

«إن شاء الله لما يكتمل تأسيسنا للدولة الإسلامية المظبوطة . حنبعد عن كل المخالفات دي.. بس إنت عارف يا دكتور مؤنس.. إحنا دلوقتي في مرحلة حرب مع الفلول والليبراليين والعلمانيين.. والحرب خدعة ..».

هز الدكتور مؤنس رأسه بشدة وقال:

«هـذه هي نقطة الخـلاف.. وهذا مـا لا تفهمونه.. أنتـم تريدون إقامة مـا تسـمونه دولـة إسـلامية.. وتتبعون سـبلًا لا تمت للإسـلام وأخلاق الإسلام بصلة للوصول إلى غرضكم.. إن رسالة الإسلام لم تكن قط إقامة ملك إسلامي.. بل إقامة نظام جديد سياسي اجتماعي.. يقوم على الترابط والتآخي والإيثار واستبعاد سيطرة الإنسان على الإنسـان.. والاستبدال بسـلطة الملك سـلطة الضمـير.. والضمير الحي الصاحي هـو الذي يوجه الإنسـان في كل تصرفاته.. وهو الذي ينظـم المجتمع.. وهو الذي يضمن قيـام الأمة الفاضلة التي يحكمها ضميرها الإسـلامي.. ولا يكون الخليفة في هذه الحالة إلا رمزًا للعدل وضمانًا للأخلاق..

هل أدركت الفرق يا سيادة الرئيس؟».

«السياسـة شيء، والإسـلام وعقيدتـه وشريعته شيء آخر.. لقد أنشـأ رسول الله عليه الصلاة والسلام أمة ولم يقم رسول الله دولة..

الإسلام لا ينكر الخلافة ولا ينكر الملك أو الإمارة.. فهذه كلها أشكال تنظيمية إذا ارتضتها الأمة واختارتها لم يكن بها بأس.. ولكنها تظل تنظيمات شكلية.. للأمة أن تصوغها كيف تشاء.. أما المهم فهو الأمة الحرة الكريمة المؤمنة المتحدة في المبادئ والغايات الملتفة حول القرآن.. المؤمنة بالإسـلام إيمانًا صحيحًا.. المهم والأسـاس هنا هو أن نكون نحن القرآن نفسـه.. أن نكون نحن السنة بنفسها وروحها..».

حك الرئيس رأسه وغمغم..

«بس يا دكتور مؤنس الإسلام دين ودولة..».

ابتسم الدكتور مؤنس وصححه..

«بدلًا من أن تقول إن الإسلام دين ودولة.. يمكنك القول إن الإسلام دين وأمة.. . فالأمة وهي الأصل.. لا تزول ما بقيت بحبل الدين متمسكة.. أما الدولة بمدلولها السياسي.. وهي الفرع.. فتزول .

الدولة ممثلة في الخلافة في الفكر السياسي عند أهل السنة أو الإمامة لدى الشيعة.. هي الرئاسة والسيادة.. فهي دائمًا مطمح مرغوب.. وبالتالي محور للتنازع والتخاصم.. سياسيًّا باستخدام القوة.. وفكريًّا بالجدال حول من يستحقها وشروط استحقاقها.

يا سيادة الرئيس المشكلة الحتمية أن من يحكم باسم الدين ينتهي به الأمر إلى أن يعتبر نفسه أو تعتبره جماعته خليفة رسول الله أو أمير المؤمنين.. ويتحول إلى رمز لسلطة قاهرة ومُلْك فردي مطلق يدعمه بطانة من الفقهاء لا يرون بأسًا بولاية الظالم أو الجائر أو الفاسق مادام قادرًا على حماية الحدود والسيطرة على الناس وتنفيذ أحكام الشريعة.. ويوجبون على الأمة.. التي تتحول إلى رعية.. أي إلى قطيع.. يوجبون عليها طاعة الراعي.. الخليفة صاحب السلطان الفعلي.. أو أولي الأمر بالمصطلح الفقهي ..

.. ولو عدت بذاكرتك يا سيادة الرئيس إلى الحكم الإسلامي فيما بعد الخلفاء الراشدين لوجدت أن هذا كان هو أساس البلاء وسبب الانحراف الخطير في أمة الإسلام..

احترس يا سيادة الرئيس.. ولا تكرر أخطاء التاريخ.. كفى بأمة الإسلام ما أصابها من بلاء.. فاتق الله في كنانة الله في أرضه..».

ويتلفت الدكتور حسين مؤنس باحثًا عن الرئيس فيجده قد اختفى..



# 31

## عبد الرحمن الأبنودي

بوجهه الأسمر القريب للقلب وعينيه المعبرتين اللتين يطل الشعر وحب مصر منهما إطلالًا.. جلس الشاعر الكبير عبد الرحمن الأبنودي مسندًا ظهره إلى العمود التالي .

اقترب الرئيس منه وقد رسم على وجهه ابتسامة صفراء ..

«والله فكرة يا أستاذ أبنودي ..رجليا وجعتني من اللف.. لما أقعد أريح جنبك شوية.. وأهو ندردش وإحنا قاعدين ..».

صرخ الأبنودي ..

«إوعى تلمس عواميد الكرنك.. وبعدين جوم أجف.. ما ينفعش تجعد في حضرة الشهداء ..».

قام الرئيس من جلسته وتساءل وهو ينفض التراب عن جلبابه ..

«شهداء.. ؟ شهداء مين.. هم فين ؟ ..».

ورفع رأسه ليصرخ فزعًا.. إذ وجد دائرة من الشباب وقد أحاطت به وامتدت كمثل سور يصل بين أربعة من أعمدة الكرنك الخالدة.. ميز وجوهًا من شهداء ثورة 25 يناير.. وأحداث ماسبيرو ومحمد محمود والاتحادية وغيرها من مختلف مدن مصر..

رآهم وقد غطتهم الدماء وشم ريح المسك تفوح من جراحهم.. وقفوا ساكنين وقد ركز كل منهم عليه عينين غاضبتين تشعان نورًا.. وأخذوا يتبعونه بنظراتهم وهو يتخبط في هرولته من اتجاه لآخر وسط الدائرة التي كونوها.

قام الأبنودي من جلسته.. فهرع الرئيس إليه وأمسك بساعده واختبأ وراءه..

أزاحه الأبنودي ليقف إلى جواره مواجهًا للشباب ..

«بص كويس يا ريس.. بص على ولادك.. بص عالورد.. الورد اللي فتح في جناين مصر..

لف معايا عليهم.. هم مش حيكلموك ..مش عايزين.. بس أنا باتواصل معاهم وحاسس بيهم ..وحاجولك عاللى جواهم.. اسمع وانت ساكت وماتعلجش.. غضبتهم وحشه».

رد الرئيس مرتعدًا ..

«مش حافتح بقى..».

قبض الأبنودي على ذراع الرئيس ودفعه ليواجههم ..

ده عاطف المنسي يا ريس.. بيجول لك :

**الثورة نور.. واللي سرقها خبيث**

**يرقص ما بين شُهدا وبين محابيس**

**والدم لسّه مغرَّق الميادين.**

وده عبدالله بدوي.. بيجول إنه بيشهد عليكم الوطن:

**نطلع من الساقية نُقع في طاحون**

**فاشهد يا وطني ع اللي فينا يخون**

**ياللي انت ماسِك دفتر الخاينين.**

والشـاب اللي زي الورد ده اسـمه جابر صالح.. فاكره يا ريس؟ جيكا بيجول لك:

**حَذَارِ مِ الموت باقولْها لكمْ بِعِلْو الصوت**

**اليأس دَبَل الورود.. ولعبة الخايبين**

**أمّا الأمل فَدَه مِن لحْم القلوب مَنْحوت**

**لا توقفُه سجّانين.. ولا بيّاعين الدِّين**

وده مينا ..مينا بتاع ماسبيرو.. بيجول..

**يادي البلاد اللّي كانت حِلمنا الزّاهــي**
**ومَبْعَثِ الفخر لينا فْ كافة الأوطان**
**إحنا انْسَخَطْنا كإنّ السَخْطَة دي إلهي**
**مع إنّها جايّة شايلة يافْطِة الأديان!!**

وأبو ابتسامه حلوه ده دياب محمد.. بيجول:

**أنا الوطن نُصِّي مسلم نُصّي نَصْراني ف**
**ي قلبي شِلْت البشَر حتى اللّي كارهينِي**

**الناقِص اللّي هِنا.. بيكمّلُه التـــانـــــــي**
**مُسْلـــم أنا.. والمسيحي شايلُه في النِّنِي!!**

والســت الأميرة دي رزة شـعث.. اللي دهسـها زبانيتك ومرت عربية الشرطة فوقها أربع مرات في دمنهور.. بتجول لك:

**هل شُفت بِنْت البلد طالْعه تقول: بَلَدي؟**
**وسَمِعْتَها في الخِناق لاجْل انْتزاع الحَقّ؟**
**وشُفت لمّا الخِسِعْ رَدَحِتْلُه بالبلدي؟**
**وِصُوتْها كانْ أعْلَى مِنّا وهِيّه بِتقول: لأ**

وده بقـى الحسـيني ضيف.. بتاع الصحافة.. أكيد ما لحجتش تنسـاه.. بيجول لك:

**واحنا اتْخَلقْنا عشان نِضَايقْهُم**
**يا يِفْهموا الأوطان.. يا ينزاحوا**
**حَشَرْنا ربّك لُقمة في زُورهم**
**يا يريّحونا.. يا مِش حيرتاحوا**

إستنى يا ريس.. لسه عنده حاجة تانية يجولها:

**الوِشّ.. بعد الوِشّ.. بعد الوِشّ**
**كلُّه طِلِع مَقْلب ووطني الخاسِرْ**
**الكلّ متربّى في عِشّ الغِشّ**
**وألف رحمة عليك**
**يا عبد الناصر..**

والشاب ده اسمه كرم جرجيوس.. بيجول لك:

**الشُّهَدا بخر اتْفَلَتْ واخِدْ فى وِشُّه البَشَر**
**ما تُقَفْ قُصادُه سدود.. ولا حدود لِمَداه**

**فَيَضان إذا ما اتْفَلَتْ.. زيّ الضّيا اللي انْتشَر**

**وكل ما يموت شهيد.. تِلْقَى الهُتاف أَحْياه**

والأسمراني الأمير ده محمد حسين قرني.. كريستي.. ده بأه بيجول لك:

**نُفُوس وحالفه ما تِحْيا إلّا ف بلَد حُرّه**

**للشهدا طابور طويل.. ياللّي تُقع إنْضَمّ.**

**وان يقتلونا بدال المَرّه ميتْ مَرّه**

**ما شافوش نَضَارْة الزهور لو اترِوت بالدم!!**

لبيب ده من السويس.. 18 سنه يا ولداه.. بيجول لك ..

**يِقتلوني تُلْتُميت مرّة.. وأحيا**

**كلُّه بيتاجِر بأحلامي وآلامي**

**كل داهية مِنُهم بِتْجُرّ داهية**

**وحرامي لئيم.. يسلّمني لْحرامي!!**

وده بقى محمد عبدالله.. إسكندراني جدع.. إنت عارفه.. بيجول لي أوصل لك رسالة :

**الفيل عَطَسْ في المدن طفّي مصابيحها**

**نَسَفْ أماني وطَنْ أشلاؤه لا تِتْلَمّ**

**بِيْبيع لنا جَنّة ما يِمْلِكْش مفاتيحها**

**لون الأدان انْصَبَغْ فيها بِلون الدمّ!!**

وده هاني.. هاني بيسألك سؤال . أجول له إيه ؟

**يا مصوّراتي الصُورة دي مش لِيّا**

**لا الوِشّ وِشّي ولا العيون دي عيوني**

**زَوّزتها ومْصَدّق انّ انا هِيّه**
**إزاي تكون صورتي وهِيّه بْدُوني؟**

ودول سامح محروس وسعد سعيد ياريس.. اتعذبوا لحد ما ماتوا.. بيجولولك :

**يادي الوقوف للموت والتّرْيَسَة**
**ويا انتصار الحلم ع الجُبناء.**
**مين اللّي قال إن القِصَاص اتنسَى**
**والدمّ جَفّ.. وبَهتِت الأسماء ..**

شعر الرئيس أن الأرض تدور به.. ولم يرحمه الأبنودي.. وظل ساحبًا له ليمر على الشهداء المصطفين واحدًا واحدًا.. ويبلغه رسالاتهم بأبيات شعر يتلقاها كالطعنات.. حتى سقط الرئيس فاقدًا للوعي ..

أفاق الرئيس بعد فترة ليجد الأبنودي واقفًا بالقرب منه.. كان يتحدث إلى شاب وسيم يشع وجهه بالنور.. فرك الرئيس عينيه وقام من رقدته ..

اقترب الرئيس بحذر.. فرآه الأبنودي وقال له:

«الجماعة اضطروا يمشوا.. لكن إللي ما لحقتش تشوفهم وتسمع رسايلهم.. وعدوا إنهم يزوروك في المنام..».

شرق الرئيس وأخذ يسعل ..

وتحرك الأبنودي خطوتين مفسّحا المجال للشاب الذي معه.. نظر الشاب إلى الرئيس بغضب ولم ينطق بكلمة.. قال الأبنودي.. ده محمد الجندي يا ريس.. بتاع طنطا.. فاكره يا ريس؟

لم يرد الرئيس.. وواصل الأبنودي.. عايز يوصل لك كلمتين.. بيجول لك:

**«ومصر عارفه وشايفه وبتصبُر**
**لكنّها ف خَطْفِةْ زمن.. تُغبُر**
**وتستردَ الاسم والعناوين..»**

شعر الرئيس بحزن شديد يحيط به واستأذن للرحيل ..

إستوقفه الأبنودي بإشارة من يده ..

«استنى يا ريس.. إنت سمعت نبض الشهدا.. بس لسه ما سمعتش كلمتي ..أنا بأه باجول لك:

**وفي الخداع.. حَرْيفة**
**ناس دنيا مش ناس دين..**
**مين فيكو ينفع خليفة ..؟**
**وكلكم كدابين ..»**
**وخد دي كمان قبل ما تمشي ..**
**«كان نفسي في زعيم أعزه**
**يجري الوطن في عروقه ..**
**لا عدونا يوم يهزه**
**ولا فيه جماعة تسوقه..**
**«ناسْ دُنيا مش ناس دين**
**مين فِيكو يِنْفَع خَليفة**
**وكُلكم.. كدَابين!؟».**

استدار الرئيس وغادر المكان متثاقلًا كأنه يحمل على كتفيه جبلًا ..



# 32

# حـورمحـب

عند عمود قبالة الصرح الثاني لمعبد الكرنك الذي وضع حجر أساسه بنفسه.. وقف عملاق أسمر وسيم الملامح.. وقد ارتدى غطاء الرأس الملكي الفرعوني.. تزينه الحية المقدسة الذهبية.. نظر الملك حورمحب بجلال إلى الرئيس وهو يتقدم منه.. وبادره بصوت رخيم وهو يتفحصه بنظره..

«إذًا أنت الرئيس المصري الجديد كما أخبروني.. أنا الملك حورمحب.. فرعون الثورة على الفساد والقضاء على الظلم ..»

«تشرفنا يا جلالة الملك.. وحضرتك بقى بنيت آني هرم ؟».

نظر حورمحب إلى الرئيس بامتعاض ..

«الأهرامات بنيت قبل عهدي بكثير يا سيادة الرئيس.. يبدو أنك كما عرفت لا تهتم بتاريخ مصر القديم ولا تؤتيه حقه.. لنعد إلى موضوعنا الأساسي.. علمت أنك بصدد إقامة دولة دينية وأنك بدأت تمزق أبناء الوطن على أساس دينهم أو مدى انتمائهم ودعمهم لجماعتك الدينية ..».

رد الرئيس بحرارة ..

«لا إكراه في الدين.. إحنا بنحاول نطبق شرع الله.. وفي نفس الوقت بنحتوي كل الناس سواء مسيحيين أو مسلمين مش متوافقين معانا ..»

أشار حورمحب بيده إلى الرئيس إشارة أسكتته.. وقال:

«ليس هذا ما تنامى لعلمي يا سيادة الرئيس.. فمع ما تمارسونه من إقصاء وترهيب وتكفير.. وما استفحل في مصر من فوضى وفساد وظلم وانهيار للاقتصاد الوطني.. يبدو أنك سائر بمصر إلى المصير الذي قادها إليه إخناتون ..»

رد الرئيس باستنكار:

«جوز نفرتيتي ؟ ..أعوذ بالله.. مش ده اللي كان بيعبد الشمس؟».

أطرق حورمحب بخشوع وأنشد:

«الله الواحد الأحد الفرد الصمد خلق السماوات والأرض ولا شان بجواره لأحد هو الأب وهوالأم وليس له ولد ..

أنت أحد، تشعّ في هيئة آتون الحيّ، تشرق وتتوهّج، تمضي بعيدا ثم تعود. أنت أحد وملايين الأشياء صدرت عنك ..

العالم كله بين يديك. عندما تسطع على المخلوقات تحيا، وإذا تغرب عنها تموت. فأنت الحياة وبك الحياة ..».

ثم رفع رأسه ونظر بحدة إلى الرئيس ..

«هذه صلوات إخناتون.. أول من نادى بالتوحيد وصلى لإله واحد..

وما آتون.. قرص الشمس المتوهج إلا رمز له.. ولو استمعت لأناشيده التي يناجي فيها ربه.. لوجدتها تكاد تتطابق مع مزامير داود ..إخناتون رجل عظيم.. لقد عملت معه وكنت من أوائل من آمنوا برسالته.. كنت أحبه كثيرًا كناسك وفيلسوف.. وبقدر ما أحببته كرجل دين كرهته كملك وكرجل دولة ..».

تساءل الرئيس بعجب ..

«إزاي يعني.. ما دام راجل بتاع ربنا.. يبقى ربنا أكيد كان حيوفقه..».

ابتسم حورمحب وقال:

«لا تسير الأمور بهذا المبدأ يا سيادة الرئيس.. فكما للدين كهنته.. السياسة لها قادتها ..

ولو كان إخناتون ركز طاقته في رسالته الروحية.. وترك تسيير الدولة لمن هو أهل له.. لارتفع دينه الجديد.. وفي نفس الوقت.. حافظ على مصر..».

تساءل الرئيس بفضول:

«يعني هو إيه اللي حصل منه بالظبط ؟»

نفر شريان في جبهة حورمحب.. وارتفع صوته غاضبًا:

«لقد انشغل الملك إخناتون بفلسفته وإصلاحاته الدينية.. ومزق الشعب بين أنصار آتون وأتباع آمون.. وانصرف عن السياسة الخارجية وحماية الحدود وإدارة الإمبراطورية العظيمة التي سلمها له والده العظيم

أمنحتب الثالث.. الذي حافظ على المجد الذي بناه سلفه العظيم تحتمس الثالث.. مؤسس أقدم إمبراطورية في التاريخ.. والتي امتدت لأقصى حدود لمصر في تاريخها .. من نهر الفرات وسوريا شرقًا ..إلى ليبيا غربا.. ومن سواحل فينيقيا وقبرص شمالًا.. إلى منابع النيل حتى الشلال الرابع جنوبًا ..

ولما كانت إدارة دولة ليست كإدارة معبد.. فقد أضعف مصر وأضاعها . ومع ضياع مصر ضاع آتون.. فخسر الدولة والدين ..»

ابتلع الرئيس ريقه بصوت مسموع ولم يعلق.. فيما واصل حورمحب حديثه ..

«وسقط إخناتون.. وجلس بعده على العرش ابنه الملك الطفل توت عنخ آتون.. الذي سرعان ما غير دينه واسمه تحت ضغوط كهنة آمون وسطوتهم.. ليصبح توت عنخ آمون ..

عملت مخلصًا مع الملك توت عنخ آمون.. كسفير ومستشار وقائد للجيش ثم وزير له.. كما أصدر مرسومًا بتعييني وليًا لعهده.. رغم أنني كنت من عامة الشعب ولا تجري في عروقي أي دماء ملكية ..

ويموت الملك الشاب في ظروف غامضة ويتسلم الوزير الأول - الذي تزوج من أرملة الملك - الحكم لفترة وجيزة.. يستشري فيها الفساد المستمر منذ عهد إخناتون.. ويتفاقم ويقنن برعاية رجال الدين ورجال الشرطة.. فبدعم من رجال الجيش الذين هالهم ما رأوا من هوان مصر

على أعدائها.. وضياع إمبراطوريتها العظيمة .. ودعم من الشعب الذي عانى من الفوضى التي ضربت البلاد والظلم الذي ساد في أنحائها وصلت إلى الحكم ..

هل تعلم أول ما فعلته يا سيادة الرئيس؟.

هز الرئيس رأسه نافيًا.. وقال في خجل ..

«لأ.. اعذرني.. ما أعرفش ..».

رد حورمحب بابتسامة خبيثة ..

«لا أظن أنك ستعجب مما فعلته.. فقد كنت أول حاكم علماني لمصر.. فصلت الدين عن الدولة.. وألزمت الكهنة معابدهم ومنعتهم من التدخل في شئون الدولة.. ثم وضعت أول دستور في تاريخ مصر تميز بطابعه المدني البعيد عن أي اعتبارات دينية.. وهو ما يسميه المؤرخون تشريعات حورمحب.. استهللته بقولي: (استمعوا إلى أوامري التي سننتها لأول مرة في التاريخ لأحكم بها جميع الأراضي.. نظرًا لما شاهدته من ظلم صارخ في البلاد).. واشتمل الدستور على تسعة أبواب شرحت القوانين المتعلقة بالحياة العامة وتنظيم المجتمع سواء في علاقة الفرد بالحكومة أو في علاقة المواطنين ببعضهم البعض.. وفرض عقوبات على من يخالف هذه القوانين..

حددت واجبات الشرطة وكيفية تعامل أعضائها مع الشعب وسننت قانونًا لعقاب رجل الشرطة بـ 100 جلدة إذا ظلم أحدًا أو سرق أحدًا..

قمت بإعفاء الفقراء من الضرائب وأمرت برفع مرتبات جميع الموظفين الإداريين في مقابل أن يلتزموا بمبدأ أن موظف الدولة ما هو إلا خادم للشعب وليس سيدًا عليه ..

عينت القضاة وقسمت السلطة القانونية بين الإقليم الشمالي والجنوبي وجعلتها مستقلة.. وأوصيت الجميع بالعدل وتساوي الجميع أمام القانون.. حتى رجال الجيش الذين أتيت من بينهم..ساويت بينهم وبين غيرهم في الردع والعقاب ..وضعت قوانين صارمة ضد الرشوة.. نظمت حقوق العمال ومنعت استخدام العنف والعبودية وقمت بترسيخ مبدأ الحريات والحقوق العامة مثل حرمة المسكن وحرمة الطريق .

يا سيادة الرئيس.. هذه تشريعات حورمحب التي وضعتها منذ أكثر من 3300 سنة.. وأصلحت بها مصر بعد طول فساد ودمار.. ووضعت بها الأسس التي سار عليها خليفتي رمسيس الأول.. مؤسس الأسرة التاسعة عشرة.. والتي أعاد على هداها ابنه سيتي الأول وحفيده رمسيس الثاني المجد المفقود لإمبراطورية سلفهم العظيم تحتمس الثالث ..»

واستدار حورمحب ليواجه الرئيس وينظر في عينيه نظرة حادة لم يستطع الرئيس تحملها فخفض عينيه ..

«قل لي يا سيادة الرئيس ..أي دور تريد أن تلعب.. إخناتون.. أم حورمحب ..؟».

وكالمعتاد.. اختفى الرئيس ..



# 33

# نعمات أحمد فؤاد

عند العمود التالي من أعمدة الكرنك الخالدة.. وقفت الكاتبة والناشطة السياسية الدكتورة نعمات أحمد فؤاد.. عاشقة مصر وعروس النيل ..

ركزت نظراتها الهادئة على الرئيس وبادرته بالقول ..

«يا سيادة الرئيس.. في موقع الإخوان الإلكتروني كتب عني.. صنعت الدكتورة نعمات سلسلة من المقالات عن مصر القديمة أيام الفراعنة وأيام الملوك على صفحات جريدة الأهرام.. ولا أعرف ما يشغلها في الموضوع.. فالفخر بالتاريخ المصري القديم شيء ظاهر في مقالاتها.. وأغلب من كتبوا في الموضوع كانوا من العلمانيين.. هذه هي نعمات أحمد فؤاد.. مشكلتها مصريتها الزائدة على الحد.. وأنها ربما خدعت بكتب المستشرقين حين مدحوا مصر ..».

أخذ الرئيس على حين غرة وقال مرتبكًا ..

«يمكن كان الكلام ده تعليق على موضوع معين.. عمومًا حضرتك عارفة إننا كلنا بنحب البلد.. بس إحنا مش عايزين نركز على الأرض أكتر من العقيدة.. و ..».

قاطعته الدكتورة نعمات بحزم ..

«سيادة الرئيس..أخبروني أنك تتكلم أكثر مما تصغي ..لذا فإني قبل أن أبدأ حديثي معك فإني أطلب منك أن تستمع إلي.. إن السمع نوع من الكرم.. استضافة رأي الآخرين.. إن حسن التلقي فن .. أتمنى أن تتعلمه..».

ابتسم الرئيس محرجًا ..

«حاضر يا دكتورة نعمات.. أديني باسمعك أهه ..».

«أنا عاشقة لمصر وتاريخها ..ولقد خضت الكثير من المعارك الفكرية والسياسية لحماية تراثها وحضارتها وآثارها.. بل ولم أتردد في اللجوء للقضاء مختصمة مع الحكومة وكبار رجال الدولة في سبيل الحفاظ على إرث شعب مصر الحضاري ..

كان سلاحي هو القلم.. وإنه حقًّا لشيء كبير أن يكون للإنسان قلم ولكن شيءٌ نفيسٌ أن يكون للإنسان موقف.. ومن نعم الله علي أن وهبني الكلمة والقرار.. أعني القدرة على الاختيار الصعب.. فعرفت المواقف.. وتحملت في سبيل مواقفي الكثير وعلوت على الإغراءات والعروض والمناصب والبريق.. فأعز منها جميعا تراب هذا البلد.. كل ذرة من هذا التراب».

وقعت كلمات : قلم ..موقف.. كلمة.. قرار.. غريبة على أذني الرئيس.. فهي آتية بصوت امرأة ..

نظرت الدكتورة نعمات إليه بعتاب ..

«تذكر أيها الرئيس أننا هنا نسمع أفكارك.. أجل لقد خضت كل هذه المعارك كابنة بارة لمصر.. وكانت صيحتي.. ليس الرجال وحدهم الذين يفدونك يا حبيبة.. ولكن النساء مع الرجال.. فأنت أُمنا جميعًا بلا تفريق..

يا سيادة الرئيس .. في كتابي (إلى ابنتي) نصحتها ومعها بنات مصر.. فقلت : لابد أن يكون لك أهداف إنسانية تميزك عن السواء.. فمن حق وطنك عليك أن تُحسِّي آلامه في عمق وولاء.. ومن حقه أن تحققي آماله فيك وآماله في غد كريم .. كذلك حذرت ابنتي ألَّا تكون تافهة.. تنحصر عندها القيم والمظاهر في الزي.. قل لي.. هل تنوي بناء النهضة التي تتحدثون عنها بسواعد أجيال من التافهات يا سيادة الرئيس؟ ..».

احمر وجه الرئيس.. ولم يرد.. فواصلت الدكتورة نعمات حديثها..

«معارك كثيرة متعددة خضتها.. لا عاصم لي إلا الله.. سفر الآثار واستباحة الآثار بالنهب والبيع والإهداء.. آثار سيناء التي نهبتها إسرائيل.. قضية متحف محمد محمود خليل.. وغيرها ..وكانت قضية هضبة الأهرام هي الوسام الذي أضعه على صدري وأفتخر به إلى الأبد.. هل تذكر هذه القضية يا سيادة الرئيس ؟».

هز الرئيس رأسه سلبًا ..

«في بدايات عصر الانفتاح.. قامت الحكومة بالتعاقد مع شركة

استثمارية مقرهـا هونـج كونج.. على بيـع آلاف الأفدنـة في منطقة هضبة الأهرام الخالدة.. لإنشاء مدينة سياحية تشتمل على فنادق ومقاهٍ ومطاعم وبحيرة صناعية ضخمة بمساحة 12 فدانًا تحت أقدام الهرم ..

شـعرت بالصدمة.. هضبة الأهرام ليست مجرد قطعة أرض صحراوية فضاء ليقام عليها مشروع استثماري ..إنها إرث آلاف السنين بكل عطائها وأمجادها ومعانيها.. إنها ميراث الأجداد.. نهديه ونبقيه أمانة جيل لجيل.. ما بقيت مصر وجرى النيل ..

وانتفـض قلمـي ونـشرت مقالتـي.. (ارفعـوا أيديكـم عـن هضبـة الأهرام) تلوتها بعدة مقالات نشرتها بشـجاعة جريدة الأخبار.. وانتفض المصريـون.. داخـل مصر وخارجها للدفـاع عن رمزهم الخالد.. اشـتعل الـرأي العام المـصري بل والعالمي لما يـراد بالهرم.. ورفـض المشروع نقابة المحامين وجمعية المهندسـين والجامعات.. وقدم زعيم المعارضة استجوابًا عـن المشروع في البرلمـان.. أما الصحافـة العالمية.. فقـد ترجمت مقالاتي.. وخرجـت التايمز من لندن تقول (إننا نناشـد العـالم المتمدين أن يتضامن معنـا ليحمـي تراث مصر من مـصر).. كـما كان العنـوان الرئيسي لجريدة لوموند في باريس هو ( هل الهرم حضارة أم تجارة ؟.. هل الهضبة تاريخ أم صفقة ؟).. وأعربت منظمة اليونسكو ومتحف اللوفر وجامعة السوربون عن رفضهم وشجبهم للمشروع.. واستجابت الحكومة المصرية للضغوط وألغـت الصفقة في موقف محرج لمصر ورئيسـها.. هذا ما فعله قلم نعمات أحمـد فـؤاد.. ذات المصرية الزائدة على الحد كما تقولون.. واعلم يا سـيادة

الرئيس أن قلمي وآلاف الأقلام معي تقف بالمرصاد لكل من يضمر لتاريخ مصر وآثارها سوءًا ..».

رد الرئيس مسرعًا ..

«بس إحنا مش ناويين نعمل مشاريع في هضبة الأهرام».

فتلقى نظرة قاسية من الدكتورة نعمات ..

«هناك من حلفائك من أعلن نيته القيام بما هو أسوأ من ذلك.. ألم تسمع الشيخ الذي أعلن في وسائل الإعلام عن نيته تفجير الأهرامات وأبي الهول.. حتى لا يعبدوا من دون الله ؟».

ضحك الرئيس ضحكة عصبية وقال ..

«دي أكيد مبالغات.. وإحنا طبعًا مش حنسمح بحاجة زي دي تحصل..».

ازدادت نظرات الدكتورة نعمات حزمًا وقالت:

«لا أستطيع أن أتخيل أن يفتخر شخص على شاشات التليفزيون بأنه كان ضمن من فجروا تماثيل بوذا في أفغانستان.. ويعد بنفس المصير للأهرامات وأبي الهول .. ويترك طليقًا بلا حساب أو عتاب»

شدت الدكتورة نعمات جسمها في إباء.. فبدت في وقفتها.. رغم جسمها الدقيق.. كعملاق أضاءه ضوء القمر في بهو الكرنك الخالد.. وبصوت هز أرجاء المعبد واجهت الرئيس ..

«اعلم يا سيادة الرئيس أن تاريخ مصر هو عرض وشرف للمصريين.. والعرض والشرف ليسا للبيع ولا للإيجار.. فأقول لكم بكل قوة..ارفعوا أيديكم عن تراث مصر.. بل تراث الإنسانية ..

إن هذا الشعب صبره طويل لكن غضبته مفزعة وحلمه ثقيل.. لكن هبته مروعة فلا يغرنكم صبره حتى يضيق الضيق بالضيق.. وتضيع منكم ومنه معالم الطريق.. فأفيقوا أيها السادة قبل أن يفيق ..».

أنهت الدكتورة نعمات أحمد فؤاد كلامها.. وزفرت زفرة طويلة.. تلتها بإشارة من يدها فهم منها الرئيس أنه لم يعد مرغوبًا فيه.. فغادر المكان على عجل .



# 34

# نظمـــي لـــوقـــا

عند العمود التالي.. شاهد الرئيس رجلًا وقورًا أصلع الرأس ..توحي ملامحه بالراحة والسكينة.. بادره الرجل قائلًا:

«أنا الدكتور نظمي لوقا جرجس.. فيلسوف ومفكر مصري مستنير..

وضعت نصب عيني رسالة كرست لها حياتي.. وهي محاربة الجهل والتعصب لقناعتي الكاملة بأن خطر التعصب داهم على مصر وأهلها.. وهو أشبه بالنار التي ستأكل الناس والحجارة.. لذلك نذرت نفسي لمحاربة التفكير الذاتي الذي لا يثمر غير التعصب الأعمى»

رد الرئيس من تحت أسنانه ..

«تشرفنا يا دكتور نظمي ..»

ثم غمغم الرئيس محدثًا نفسه ..

«يا ساتر على الأقباط ومسكنتهم.. ما وراهمش غير حكاية التعصب يتمسكنوا بيها ليل نهار»

أطلق الدكتور نظمي ضحكة خافتة ..

«إني أسمعك يا سيادة الرئيس.. ولكني آخر من يمكن أن يطلق عليه أنه يتمسكن ..

أنا مسيحي.. شديد الإيمان بروح ديانتي المسيحية ومبادئها ومثالياتها.. والمحبة التي تعم العدو والصديق هي لباب هذه الديانة.. وبدونها تنحط الديانة إلى شعائر جوفاء.. شعرت أنه يتعين علي أن أهب حياتي للكفاح لمحو الأمية الفكرية وإلا كنت مقصرا في حق ضميري وديني وموضوعيتي الفكرية.. وانتمائي الوطني والقومي والإنساني.

وجدت العامة على اختلاف أديانهم ومللهم لا ينبئ عن عاميتهم الفكرية شيء مثل غلبة التعصب الأعمى عليهم.. وأن منشأ هذا التعصب هو الجهل بديانات الآخرين دائما.. بل جهلهم بدياناتهم أنفسهم ولبابها الخلقي في الوقت نفسه ..وكانت قناعتي أن الاستنارة الفكرية ومعرفة سمات الديانات المخالفة على حقيقتها لا تضير الإيمان الذاتي.. بل تجعله صافيا صفاء النور.. لا معتما بدخان الجهل الداكن الذي ينقدح منه الشرر وقد تنشب منه الحرائق.

وبدأت بنفسي.. فإن وجبت عليَّ محاربة التعصب الذميم ومصدره.. وهو التفكير الذاتي.. فالمسيح يدعوني صراحة قبل أن أفكر في إخراج القذى من عين سواي.. أن أجتهد أولًا في إخراج الخشبة التي في عيني أنا.

وكانت البداية إعلاني أن مهمتي هي التبصير ومحو الأمية الفكرية فيما يخص الإسلام ومحمدًا ﷺ.. حيث شعرتُ أن موجات الجهل المتلاطمة كانت تطمر العقول وتحجب عنها جوهر الأشياء ..».

بدا على الرئيس الاهتمام الشديد ..

«وبعدين يا دكتور نظمي.. كمل وربنا هيهديك إن شاء الله ..».

«تعمقت في دراسة الإسلام وسيرة الرسول.. وتبلورت أفكاري في كتابي الذي نشرته عام 1959 (محمد: الرسالة والرسول).. أهديت كتابي إلى السائرين في الظلمة.. وإلى من يلوح لهم ــ من أنفسهم ــ فجر جديد.. وأيضا إلى الروح العظيم المهاتما غاندي الذي كان يصلي بصفحات من براهما وآيات من التوراة والإنجيل والقرآن.. ومات بيد هندوسي متعصب.. شهيد دفاعه الصادق المجيد عن حرية العبادة لأتباع محمد ..

وصلت في بحثي إلى أن رسالة الإسلام رسالة حق وجاءت مناسبة لتطور البشرية الطبيعي.. فاليهودية دين شعب.. والمسيحية دين قلب.. أما الإسلام فهو دين البشر.. عقيدة جاءت في طورها الطبيعي ملبية لحاجة الإنسان الطبيعية.. وموفقة بين دينه ودنياه.. أما عن محمد فقد قلت.. لا خيرة في الأمر ..ما نطق هذا الرسول عن الهوى ..لا خيرة في الأمر.. ما ضل هذا الرسول ولا غوى ..».

قفز الرئيس مهللًا ..

«الله أكبر.. ظهر الحق.. وشهد شاهد من أهلها.. ».

نظر الدكتور نظمي إلى الرئيس بأسى وقال:

«لئن كنتُ أنصفتُ الإسلام ـ في كتاباتي ـ فليس ذلك من منطلق التخلي عن مسيحيتي بل من منطلق الإخلاص لها والتمسك بجوهرها وأخلاقياتها.. والإنصاف حلية يكرم بها المنصف نفسه قبل أن يكرم بها من ينصفهم»

رفع الرئيس حاجبيه دهشةً ..

«إيـه ده.. يعنـي إنت ما أسـلمتش بعـد كل ده ؟ غريبة جدًّا.. مسـتني إيـه يـا دكتور ؟.. قول ورايا.. أشـهد أن لا إله إلا الله.. وأشـهد أن محمدًا رسـول الله ..إيه رأيك بلاش لوقا دي ونسميك نظمي عبد الهادي.. حلو الاسم.. مش كده ..؟»

شرد الرئيس ببصره وهو يتخيل عناوين الجرائد تزف إلى الشـعب خبر إسلام مفكر قبطي كبير على يد الرئيس حفيد أمير المؤمنين.. ولكنه فوجئ بالرد الحاسم للدكتور نظمي ..

«لماذا تسـتغرب يا سـيادة الرئيس ؟ أنا ممن قال الله تعالى عنهم في سورة آل عمـران : ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ ..أنـا معتز بمسـيحيتي ..وهذا لا يمنعني من تقدير الإسـلام.. لو رفعنا جميعًا غشاوة التعصب عن عقولنا.. وفهمنا أن جوهر الأديان واحد.. لاقتربنا أكثر من الله ..».

لم يكـن الرئيس يصغي إليه.. بل كان يتخيـل مقابلة تليفزيونية مع قناة الجزيـرة.. يحكـي فيها بإسـهاب كيف خـرج بالكاتب القبطـي الكبير من الظلمات إلى النور..

رفع صوته ليخرج الرئيس من تأملاته:

«يا سـيادة الرئيـس.. إن تفكيرك يمثـل الفكر المتعصـب الذي لم ير في

هذا الكتاب سوى انتصار لدينه.. تمامًا كالفكر المقابل الذي يراني نصرت الإسلام على المسيحية ..».

سأله الرئيس متهكمًا ..

«طيب إنت كده استفدت إيه دلوقت؟».

رد الدكتور لوقا بهدوء ..

«على المستوى الشخصي.. كنت كالقابض على الجمر.. عند وفاتي رفضت كل الكنائس القبطية الصلاة على جثماني بسبب إصدار حرمان كنسي بحقي.. وأخذت زوجتي تجوب القاهرة بسيارة نقل الموتى حتى قبلت كنيسة بروتستانتية إقامة صلاة الجنازة عليَّ.. أما المسلمون فلم يستطيعوا استيعاب قيمة دراساتي وكتبي عن الإسلام وعن رسوله وصحابته.. عندما لم تؤد بي إلى النطق بالشهادتين».

تساءل الرئيس مستنكرًا :

«يعني لا نابك تفضل نصراني ولا قبلت تبقى مسلم ؟»

رد الدكتور نظمي بخشوع..

«قلبي وعقلي استوعبا الدينين.. اللذين ما هما في نهاية الأمر إلا طريقان يؤديان إلى غاية واحدة.. الإله الواحد.. الله سبحانه وتعالى.. هناك الكثير من المستنيرين – مسلمين ومسيحيين – أكبروا موقفي وتفهموه.. وقدَّروا معنى قبول الآخر وفهم الآخر والبحث عن نقاط التلاقي بين الأديان.. لا نقاط الاختلاف ..»

صمت الدكتور نظمي للحظات ثم وجه حديثه بحرارة إلى الرئيس ..

«يا سيادة الرئيس.. ما من آفة تهدر العقول البشرية كما يهدرها التعصب الذميم الذي يفرض على أذهان أصحابه وسرائرهم ما هو أسوأ من العمى لذي البصر.. ومن الصمم لذي السمع لأن الأعمى قد يبقى بعد فقد البصر إنسانا.. والأصم قد يبقى بعد فقد السمع إنسانًا .

يا سيادة الرئيس.. إن ممارسات البعض من بطانتك تبتدع في مصر الآن اتجاهات من التعصب والتطرف لم تشهد لها مصر مثيلًا.. أردت أن أضرب لك مثلًا للمسيحي المتسامح الذي لم يمنعه دينه الذي يعتز به أيما اعتزاز من قبول المسلم وتقدير رسوله وعقيدته.. لا أطالب بأن تحتذوا بهذا المثل فقط مع المسيحيين ..بل يجب أن تحتذوه أولًا مع المسلمين.. إخوانكم في الدين الذين بدأ البعض في تكفيرهم وإقصائهم وترويعهم.. لاختلافهم في المدارس الفقهية أو الاتجاهات السياسية.. ووصل الأمر إلى إيذائهم وإحلال دمهم ..

يا سيادة الرئيس.. مَن يغلق عينيه دون النور يضر عينيه ولا يضير النور.. ومن يغلق عقله وضميره دون الحق.. يضر عقله وضميره ولا يضير الحق.. فالنور منفعة للرائي لا المصباح.. والحق منفعة وإحسان إلى المهتدي به لا إلى الهادي إليه ..

ألا هل بلغت.. اللهم فاشهد ..

واستدار الدكتور نظمي لوقا وغادر المكان.. تاركًا الرئيس متسمرًا في وقفته..



# 35

# نجيــب محفــوظ

عنـد العمـود التـالي في بهـو الكرنـك.. وقف نجيـب محفـوظ بنظارته الداكنة.. وما إن لمح الرئيس حتى بادره قائلًا ..

«بينـما العالم كلـه يحتفل بمرور مائة عـام على ميـلادي.. كأديب عالمي حائـز عـلى جائزة نوبـل.. ومن ثم تكون أعـمالي الأدبية جـزءًا من التراث الإنسـاني للبشرية جمعاء.. أرى من بين بطانتك ..المدعين بأنهم بناة نهضة مـصر الحديثـة.. مـن يتحدث عـن المطالبة بحظر بـل بإلغـاء أدب نجيب محفوظ.. سـبب الانحلال الأخلاقـي في المجتمع المصري.. أدب المواخير الـذي يحض عـلى الإلحاد والرذيلـة والفجور والذي صـوَّر مصر وكأنها خمَّارة كبيرة.. مضيفًا أنه من العار على أي مصري أن يقدِّم مصر من خلال روايات نجيب محفوظ ..».

رد الرئيس موضحًا..

«يا نجيب بيه إنت عارف البلد بتمر بصحوة إسلامية ولازم نعذر..».

قاطعه نجيب محفوظ ..

«مـاذا نعـذر يا سـيادة الرئيس.. البلـد مريض بالتعصـب... يريدون

أن يرجعونا أربعة عشر قرنًا إلى الوراء.. تتحدثون الآن وكأن الإسلام يدخل مصر لأول مرة على أيديكم.. إن أهل مصر الذين أدركناهم.. وعشنا معهم.. والذين تحدثت عنهم في كتاباتي كانوا يعيشون بالإسلام.. ويمارسون قيمه العليا.. دون ضجيج ولا كلام كثير.. وكانت أصالتهم تعني هذا كله.. ولقد كانت السماحة وصدق الكلمة وشجاعة الرأي وأمانة الموقف ودفء العلاقات بين الناس.. هي تعبير أهل مصر الواضح عن إسلامهم ..».

رد الرئيس مقطِّبًا :

«ماتنساش يا أستاذ نجيب رواية أولاد حارتنا.. ما إنت برضه اتعديت كل الحدود فيها.. الموضوع ده برضه لسه عامل حساسية كبيرة».

رد نجيب محفوظ بصبر :

«إن كتاباتي كلها.. القديم منها والجديد.. تتمسك بهذين المحورين: الإسلام الذي هو منبع قيم الخير في أمتنا.. والعلم الذي هو أداة التقدم والنهضة في حاضرنا ومستقبلنا. وأحب أن أقول: إنه حتى رواية أولاد حارتنا التي أساء البعض فهمها لم تخرج عن هذه الرؤية. ولقد كان المغزى الكبير الذي توَّجُت به أحداثها.. أن الناس حين تخلوا عن الدين ممثلا في الجبلاوي.. وتصوروا أنهم يستطيعون بالعلم وحده ممثلا في عرفة أن يديروا حياتهم على أرضهم.. التي هي حارتنا.. اكتشفوا أن العلم بغير الدين قد تحول إلى أداة شر.. وأنه قد أسلمهم إلى استبداد الحاكم وسلَبهم حريتهم.. فعادوا من جديد يبحثون عن الجبلاوي ..».

ارتفع صوت نجيب محفوظ محذرًا :

«إني أرى مصر مقبلة على ردة ثقافية وفكرية في ظل حكمكم الإسلامي الرشيد ..حيث تخلطون الدين بالسياسة بالأدب.. فتفسدون الثلاثة معًا..».

رد الرئيس مدافعًا ..

«ليه بس ما فيش حد عايز يدينا فرصة ؟.. جربونا».

ابتسم نجيب محفوظ ابتسامة خاطفة ..

«لقد تنبأت بذلك قبل رحيلي.. وقلت في أحد اللقاءات : ( الظاهر إن مصر عايزة تجرب حكم الإخوان المسلمين ).. ولكن هذا لا يعني أنه الاختيار الصحيح لمصر .

كانت رواياتي تعبِّر عن المجتمع المصري بكافة أطيافه.. لذلك ترى الشخصيات الإخوانية في الكثير منها.. عبد المنعم في السكرية.. برهان في باقي من الزمن ساعة.. سليم في حديث الصباح والمساء.. بل إني استوحيت شخصية عبد الوهاب إسماعيل في المرايا من سيد قطب كما إني أفهمكم جيدًا.. قلت عنكم على لسان سوسن حماد في السكرية : (الإخوان يصطنعون عملية تزييف هائلة.. فهم حيال المثقفين يقدمون الإسلام في ثوب عصري.. فينتشرون باسم الاشتراكية والوطنية والديمقراطية .. وهم حيال البسطاء يتحدثون عن الجنة والنار).

شهدت بعيني مواقفكم المتلونة منذ أيام الملك فؤاد والملك فاروق..

كما عاصرت مبادئكم المطاطية مع الوفد والسعديين وثورة 23 يوليو.. ولا تزال الذكريات الحديثة لمواقفكم مع الحزب الوطني ومبارك وحاشيته نصب عيني.. أنتم خير من طبق مبدأ ميكيافيللي بأن الغاية تبرر الوسيلة.. ولكن بنكهة إسلامية ..تحت مسمى الضرورات تبيح المحظورات».

علق الرئيس بغضب ..

«باين إنك شايل مننا قوي يا أستاذ نجيب ..».

رد نجيب محفوظ بهدوء:

«عندما حاول صديقي عبد الحميد جودة السحار إقناعي بالانضمام لجماعة الإخوان المسلمين وحدد لي موعدًا مع حسن البنا ..رفضت بشدة.. فقد كان رأيي فيكم أنكم جماعة مغلقة.. فاشية وانتهازية في الوقت ذاته.. لقد كرهتكم منذ البداية ..خاصة عندما بدأتم في منافسة الوفد..».

هز الرئيس رأسه بأسف:

«ربنا يسامحك ..».

توجه نجيب بكل وجهه نحو الرئيس:

«ونعم بالله.. فهو الحامي لهذا البلد العظيم ..ولن تستطيعوا قهر الحرافيش باسم الدين.. دعنا نعود إلى السكرية.. أتذكر بعض العبارات التي قلتها على لسان عدلي كريم ردًا على تخوف صديقه أحمد من الإخوان.. إذ قال له: ( ليسوا بالخطورة التي تتخيلها.. ألا ترى أنهم يخاطبون العقول بلغتنا فيقولون اشتراكية الإسلام ؟ فحتى الرجعيون لم

يجدوا بدًّا من استعارة اصطلاحاتنا.. وهم لو سبقونا إلى الانقلاب فسوف يحققون بعض مبادئنا ولو تحقيقا جزئيا.. ولكنهم لن يوقفوا حركة الزمن المتقدمة إلى هدفها المحتوم.. ثم إن نشر العلم كفيل بطردهم كما يطرد النور الخفافيش ..) ».

اعترض الرئيس وقد احمر وجهه:

«إحنا مش خفافيش يا أستاذ نجيب.. ده إحنا اللي بنحمل الخير لمصر».

رفع نجيب محفوظ حاجبيه وقال :

«أشك في ذلك . ذكرتني بقولي إنه ( من العبث أن تناقش قوما ليس بينك وبينهم لغة مشتركة).. أما عن الخفافيش فهي مجرد تشبيه.. صورة بلاغية.. ولكن الواقع هو خوفكم من العلم.. لأن انتشاره سيكون فيه نهايتكم.. فوجودكم وتمكنكم يعيش على الجهل ..

لذلك فإن دستوركم وقوانينكم الجديدة تدفع في عكس اتجاه انتشار العلم.. فقد خفضتم سن العمالة ليهجر الصبية التعليم.. وتدفعون لخفض سن الزواج لتتزوج البنات مبكرًا ويهجرن التعليم.. وتسعون لتعريب العلم والتعليم لإحكام قبضتكم على مناهل العلم.. كل ذلك لأنه من أجل بقائكم تخشون العلم.. والعلم نور.. والنور تخشاه الخفافيش.. هل فهمت الصورة البلاغية الآن يا سيادة الرئيس..؟».

اسود وجه الرئيس ولم يرد.. وواصل نجيب محفوظ حديثه ..

«طـاف بخاطري الآن عبارة قلتها على لسـان أحد أبطال روايتي ثرثرة فوق النيل.. قال :

(ليـس مـن العجيـب أن يعبد المصريـون فرعـون ولكـن العجيب أن فرعون آمن حقًّا بأنه إله).

ومن نفس الرواية أتذكر موقفًا سـألت فيه سمارة : ( أنتم ما بتخافوش مـن البوليس ؟ .. فرد خالد عزوز: إحنا يا حبيبتي لا بنخاف من البوليس ولا مـن الجيش ولا من الإنجليز ولا من الأمريكان . . من كتر الخوف .. بطلنا نخاف )..

وفي موقف آخر قلت إن الثورات يدبِّرها الدهاة ، وينفذها الشـجعان، ثم يكسبها الجبناء ..

سـأتركك لتتدبر في هذه الأقوال.. وسـأحملك رسـالة توصلها لشعب مـصر عندما تعـود.. أخبرهـم أن نجيب محفـوظ يقرئكم السـلام ويقول لكم:

( ليس أتعس من الحظ السيئ.. إلا الرضا به )».

وغـادر نجيـب محفوظ المـكان.. بينما الرئيس ينظر سـاهمًا في أثره حتى اختفى في ظلال الكرنك ..



# 36

# ليـــلـــى مـــــراد

عند العمود التالي تسمر الرئيس مشدوهًا عندما رأى ليلى مراد.. بجمالها الساحر وابتسامتها الآسرة.. بادرها الرئيس بكلمات غير مترابطة ..

«ليلى مراد ؟ طب إزاي يعني ؟ أنا مش فاهم ؟».

اتسعت ابتسامة ليلى مراد وقالت:

«أكيـد لـن تفهم لمـاذا أنا هنا يا سـيادة الرئيـس.. ولمـاذا اختارني مجمع الخالدين لعضويته أولًا .. ولمحاكمتك ثانيًا ..».

رد الرئيس تائهًا ..

«والله أنا معدتش فاهم حاجة ..».

اختفت ابتسامة ليلى مراد واكتسى وجهها بجدية لم تقلل من جماله.. مما جعـل الرئيـس يقف غاضًّا بصره فيما عدا بعـض خائنات الأعين من حين إلى آخر.. قالت ليلى مراد ..

«لـن أتحدث عن إسـعادي للملايـين بفن راق وصـوت عذب ومعان سـامية.. لن أتحدث عن إثرائي للحياة الفنية في مصر ووضعها في مستوى عالمي.. لن أتحدث عن التزامي بمسـار أخلاقي ملتزم ومحترم حاز احترام وتقدير الجميع طوال اعتلائي عرض الأغنية والسينما المصرية ..».

قال الرئيس بدون أن ينظر إليها :

«يبقى ناوية تدينني محاضرة عن الليبرالية أو العلمانية.. اتفضلي يا ست ليلى.. مانا بقيت ملطشة النهارده ..».

قالت ليلى مراد بجدية:

«لا هذه ولا تلك.. ولكني سأحدثك عن الانتماء وحب الوطن.. موضوع يبدو أنك لا تفهمه بدرجة كافية يا سيادة الرئيس.. ولكنه أساس وجودي هنا ..».

رد الرئيس:

«مش فاهم.. واختلس نظرة إلى وجهها الصبوح وقال: «فهِّميني ..».

ردت ليلى مراد وقد امتلأت عيناها الجميلتان بالمشاعر:

«سوف أفهِّمك.. دعنا نبدأ من البداية.. أنا ليليان موردخاي.. ابنة المغني والملحن والمنشد في المعبد اليهودي زكي موردخاي.. وزوجته جميلة سالومون.. ولدت سنة 1918 في الحي اليهودي بالإسكندرية ..».

هتف الرئيس:

«يا نهار اسود.. ده أنا كنت ناسي.. صحيح ده انتي يهودية ..».

نظرت ليلى مراد إليه بعتاب ولم تعلق.. ثم واصلت حديثها:

«انتقلنا للعيش في القاهرة وبدأت رحلتي مع الغناء في سن الرابعة عشرة.. وتبناني الفنان داوود حسني وقام مع والدي بصقل موهبتي حتى

اعتمدتنـي الإذاعة المصرية مطربة عـام 1934 .. ونجحت نجاحًا كبيرًا.. وسـجلت أسطوانات باسـمي.. ثم شققت طريقي للسـينما بداية من عام 1927 لأمثِّل أمام محمد عبد الوهاب في أول أفلامي وأمام يوسف وهبي في ثاني أفلامي ..».

قاطعها الرئيس متأففًا:

«أنا مالي بس ومال الكلام ده.. أعوذ بالله».

واصلت ليلى مراد حديثها.. غير ملقية بالًا إلى مقاطعته:

«غنيـت حـوالي 1200 أغنيـة مـن ألحان أعظـم الموسـيقيين في مصر : محمـد عبد الوهاب.. رياض السـنباطي.. زكريا أحمد ..القصبجي.. محمد فـوزي.. وأنعم عليَّ الشـعب.. أنـا اليهوديـة.. بلقب قيثارة السـماء.. كما قدمت 27 فيلمًا وضعتني بلا منازع على عرش السـينما المصرية.. وحققت أفلامي أعلى الإيرادات.. وفي وسـط كل هذا النجاح والتقدير الجماهيري ..لم يتوقف أحد ليفكر أنني يهودية . لم يعد منتج أفلام حساباته.. أو يفكر ملحن مرتين.. أو يراجع مشاهد نفسه قبل أن يشتري تذكرة السينما لأنني يهودية.. وعملت مع زملاء مسـلمين ومسيحيين.. وعشت وسط جيران مسـلمين ومسـيحيين ..لم ير فيَّ أحد غير أني مصرية.. ولم أجد من الجميع إلا كل حب واحترام وتقدير..».

رد الرئيس ببرود ..

«عمومًـا دي كانت طبيعة الناس زمان.. وبعدين أي تغيير حصل كان بسبب إسرائيل..».

ردت ليلى مراد:

«أنا أشهرت إسلامي سنة 1946 قبل حرب فلسطين وإنشاء دولة إسرائيل.. والكثير من يهود مصر لم يخطر ببالهم ترك بلدهم ..رغم محاولات تطفيشهم.. وأنت تعلم يا سيادة الرئيس كيف بدأت المشاكل ومَن الذي قام بتفجيرات حارة اليهود سنة 1947 .. فاكر ولا أفكرك؟.. عمومًا هذا سيحيد بنا عن موضوعنا فلنعد إلى قصتي ..»

أبدى الرئيس ارتياحه لتغيير الموضوع..

«آه.. أحسن برضه.. خلينا في موضوعك.. إنتي قلتي إنك أسلمتي؟ ما شاء الله ..»

قالت ليلى:

«موضوع إسلامي ده كان قرارًا شخصيًا روحانيًا.. ليست له أي أبعاد سياسية أو عاطفية أو اجتماعية.. سمعت أذان الفجر.. كأني أسمعه لأول مرة.. فلبيت النداء ونطقت بالشهادتين.. ولما أشرق الصباح .. توجهت إلى الأزهر الشريف لأشهر إسلامي على أيدي الشيخ محمود أبوالعيون.. المهم.. واصلت مسيرتي الفنية الناجحة ..وفي نفس الوقت لم أتوقف عن حبي العميق لمصر.. عندما اندلعت حرب فلسطين سنة 1948 كنت في طليعة المتبرعين لدعم الجيوش العربية رغم أصولي اليهودية.. وكنت من أكبر المؤيدين لثورة 23 يوليو 1952 .. واشتركت بكل حماس في قطار الرحمة.. الذي أطلقته الثورة لدعم البسطاء في ريف وصعيد مصر.. ولكن الإسرائيليين لم يتركوني في حالي ..».

تساءل الرئيس:

«إزاي يعني ..؟».

«بـدأت الحكاية عندما نشرت جريدة الأهرام في سـبتمبر 1952 خبرًا يقول: إن الحكومة السورية قررت منع أغاني ليلى مراد وأفلامها في سوريا.. لأنها زارت إسرائيل وتبرعت بمبلغ 50 ألف جنيه لدعم الكيان الصهيوني ..وأثار الخبر ردود أفعال عنيفة في الأوساط الفنية والثقافية والسياسية في مصر.. وحاربت بشدة لنفي هذه الشائعة وشائعات أني عدت لليهودية.. وقمـت بجمـع المسـتندات اللازمـة من البنـوك لتأكيد موقفـي.. وقمت بزيارة المخابرات والشئون العامة للجيش وأرسلت رسائل للرئيس محمد نجيب.. فاقتنعت الحكومة المصرية ببراءتي وردت لي اعتباري.. وتدخلت لدى الحكومة السورية لإلغاء قرارها ..».

علق الرئيس ساخرًا :

«غريبة إنهم يعملوا كده وقت ما كانوا بيطردوا اليهود من مصر ..».

انفعلت ليلى مراد غاضبة:

«كفاكم افتراءات على الثورة.. الثورة عمرها ما طردت اليهود.. هناك يهود اختاروا الذهاب إلى ما اعتبروه أرض الميعاد.. وأغلب هؤلاء غادروا برغبتهـم وصفّوا أعمالهـم ومصالحهم قبل الثورة.. أمـا الذين غادروا بعد العـدوان الثلاثي في 1956 .. فهؤلاء كانوا حاملين لجنسـيات مزدوجة.. إنجليز وفرنسـيين.. وفي هـذا الوقت غادر رعايـا الدولتين مصر.. بغض

النظر عن ديانتهم.. وبقي الكثير من اليهود في مصر حتى 1967 .. ووقتها اختار أغلبهم الرحيل.. وكذلك لم يطردهم أحد.. بل شعروا بالإحراج وبصعوبة الاندماج في المجتمع بعد النكسة ..» .

صمتت ليلى مراد للحظات.. وواصلت حكايتها:

«قررت الاعتزال عام 1954 لرعاية أبنائي.. كنت في قمة مجدي وعنفوان شبابي.. ولكن وقتها كان ولداي أهم عندي من أي شيء.. وبالتدريج نسيني الناس.. ظللت حية في قلوبهم بأفلامي وأغنياتي.. أما أنا فقد حصرت نفسي في دائرة ضيقة من الأصدقاء وقضيت بقية حياتي في الظل».

رد الرئيس:

«كتير من الفنانات برضه تابوا وربنا هداهم ..».

فانفجرت ليلى مراد غاضبة :

«لا تخلط الأمور كعادتكم يا سيادة الرئيس.. لم يكن فني ذنبًا لأتوب عنه.. دعني أواصل ما أنا هنا لأبلغه لك.. ولا تستدرجني لمناقشات جانبية ..».

ثم تمالكت نفسها لتواصل حديثها:

«منذ اعتزالي حتى وفاتي عشت حياة عائلية هادئة.. لم يعكرها سوى ضغوط وملاحقة إسرائيل لي.. داوموا على الاتصال بي.. مرة بحجة أن أكون الراعية والمطربة الأولى لمهرجان الأغنية العربية بإسرائيل.. ومرات

بحجـة أن أفـراد عائلتي ومحبي فني يبكون في انتظـاري بإسرائيل.. ورغم رفـضي المسـتمر لكل محاولاتهم فلـم يتوقفوا عن الاتصـال بي فطلبت من مديرة منزلي الرد بجملة واحدة.. مدام ليلي مصرية مسلمة وستموت فوق تـراب مصر.. وطنها الأول والأخير.. ومع ذلك عاودت وزارة الخارجية الاتصال بي.. عارضة منحي درجة المواطنة الشرفية في إسرائيل.. فرفضت استقبال الملحق الإعلامي بالسفارة الإسرائيلية في القاهرة.. وقمت بطرده من على باب شـقتي.. وعندما عرضوا علي منحي جواز سـفر دبلوماسـيًّا إسرائيليًّا.. فعلت الشيء نفسـه.. وكانت آخر محاولة قام بها شـيمون بيريز بنفسه حين عرض عليّ أن أكون سفيرة فوق العادة لإسرائيل.. فكان ردي أن أغلقت التليفون في وجهه».

التقطت ليلى مراد أنفاسها للحظات.. ونظرت بفخر إلى الرئيس:

«تمسـكت بموقفـي وقاومت الإغـراءات الإسرائيلية حتـى توفاني الله عـام 1995.. وشـيعت جنازتي من مسـجد السـيدة نفيسـة كـما تمنيت.. وكنت قد تركت وصية قبل وفاتي بأيام حذرت فيها إسرائيل من أية محاولة لتشـويه صورتي أو للإضرار بسـمعتي وبحقيقة إسـلامي بعد وفاتي.. كما تركـت خطابًا موقعًا بخط يدي أدين فيه إسرائيل.. وكشـفت فيه عن كل المحاولات والضغـوط التي تعرضت لها لأتخلى عن مصريتي.. وعند هذا الحد أصدرت الحكومة الإسرائيلية قرارًا بمنع إذاعة أغنياتي وحظر تداولها في إسرائيل ..».

نظر الرئيس متفكرًا إلى ليلى مراد ولم يعلق.. فواصلت حديثها:

«تزايـدت هـذه الضغـوط الإسرائيليـة عـلي في وقـت كَبِر فيـه ولداي واسـتقلا بحياتهما.. ونسـيني جمهـوري ومن بقي من رفـاق الفن.. كانت المغريـات بحياة جديدة وعودة للأضواء ومكانة مرموقة ومكاسـب مادية مغريات يسـيل لهـا لعاب أي شـخص.. ولكن.. لو وضعـت كل هذا في كفـة مقابـل ذرة من تراب مصر في الكفة الأخرى.. لكان الميزان في صالح تراب مصر.. لن أتخذ الدين ذريعة.. فالدين في القلب والله في كل مكان.. أمـا مصر فهي في القلب.. ولكنها هنا في مصر.. على أرض مصر.. وبأهل مصر.. وهواء مصر وسمائها..

يـا سـيادة الرئيس.. لا تسـفهوا الانتماء لمـصر.. ولا تحاربـوه.. فمصر بعظمتهـا احتـوت كل الشـعوب وكل الأديـان.. ولـن يسـتطيع الجزء أن يحتوي الكل.. مهما حاولتم..».

تنحنح الرئيس قائلًا:

«أنـا شـايف إن قلقك مش في محله يا سـت ليلى.. وأنـا.. كرئيس لكل المصريين.. حاثبت لك إن مخاوفك دي ما لهاش أساس»..

ضحكت ليلى مراد ضحكتها الصافية وغنت:

«كلام جميـل.. وكلام معقـول.. مـا اقـدرش اقول حاجة عنـه ..لكن خيال حبيبي المجهول.. مش لاقية فيك حاجة منه ..»

واستدارت ليلى مراد مغادرة المكان.. وبهو الكرنك يردد أصداء ضحكتها..



# 37

# عبد الرحمن الكواكبي

عند العمود التالي شاهد الرئيس رجلًا وسيمًا في منتصف العمر مرتديًا عباءة سوداء وعمامة بيضاء وقد وقف بوقار رجال القانون وهيبة العلماء وعيناه الواسعتان تلمعان في ضوء القمر..

بادر الرئيس قائلًا:

أنا عبد الرحمن الكواكبي الناشط السياسي والصحفي والمحامي حلبي المولد ..مصري الهوى والمرقد.. كتبت كتاب طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد منذ أكثر من مائة عام.. متحديًا السلطة العثمانية واستبدادها.. وإني لأرى ما انتقدته وحاربته منذ قرن ونيف في ربوع الدولة العثمانية لا يزال حيًّا يرزق برعايتك في مصر المحروسة فأردت أن أحذرك كما حذرت من سبقوك ..

يا سيادة الرئيس.. كلمة حق في وادٍ إن ذهبت اليوم مع الريح، فقد تذهب غدًا بالأوتاد.. يا سيادة الرئيس إني لا أراك ومن معك إلا كامتداد لما سبقك من استبداد.. وأراك سائقًا مصر إلى طريق الفناء.. وللأسف.. فإن فناء دولة الاستبداد لا يصيب المستبدين وحدهم.. بل يشمل الدمارُ الأرض والناس والديار.. لأن دولة الاستبداد في مراحلها الأخيرة

تضرب ضرب عشـواء كثور هائـج أو مثل فيل في مصنـع فخار.. وتحطم نفسـها وبلدها وأهلها قبل أن تستسـلم للزوال وكأنما يستحق على الناس أن يدفعوا في النهاية ثمن سكوتهم الطويل على الظلم وقبولهم القهر والذل والاستعباد.. وعدم تأملهم في معنى الآية الكريمة (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب)..

ابتلع الرئيس ريقه بصعوبة وقال:

«فنـاء إيـه بـس فـال الله ولا فالك.. تـف من بقك يا شـيخ.. يا سـيد كواكبـي إحنـا مختلفين عن الـلي قبلنا.. وبنحاول جهدنا ..وماتنسـاش إن إحنا ماشيين على طريق شرع الله.. فأكيد ربنا مش حيسيبنا ..».

قاطعه الكواكبي بحزم:

«الاسـتبداد.. بشـقيه السـياسي والديني.. ما وجد أحدهما حتى وجد الآخر. ما من مستبدّ سياسي إلى الآن إلا ويتخذ له صفة قداسة يشارك بها الله أو تعطيه مقامًا ذا علاقة مع الله.. ولا أقل من أن يتخذ بطانة من خدمة الديـن يعينونـه على ظلـم الناس باسـم الله ويخرجون ديننا عـن كونه دين الفطرة والحكمة.. دين النظام والنشاط.. دين القرآن الصريح البيان.. إلى صيغة دين الخيال والخبال.. دين الخلل والتشويش.. دين البِدَع والتشديد ودين الإجهاد.. وبذلك يبقى الدين في الأمم المأسورة عبارة عن عبادات مجردة صارت عادات فلا تفيد في تطهير النفوس شيئًا».

انفعل الرئيس مدافعًا:

«لا ياسيد كواكبي ..ده انت متحامل علينا جدًّا..».

رد الكواكبي بهدوء:

«ترى ذلك أيها الرئيس لأنك مستبد.. والاستبداد يقلب الحقائق في الأذهان.. فيسوق الناس إلى اعتقاد أن طالب الحق فاجر.. وتارك حقه مُطيع.. والمُشتكي المُتظلم مُفسِد.. والنبيه المُدقق مُلحد.. والخامل المسكين صالح.. كما يعتبر أن النفاق سياسة والتحايل كياسة والدناءة لُطْف والنذالة دماثة.. أليس هذا ما تفعلونه ؟ أليس هذا هو تصنيفكم لكل من يعترض على سياستكم إما بأنه من الفلول.. أو قلة مندسة.. أو عدو للدين؟

ألم يصبح النفاق والتحايل والنذالة ومن قبلهم الكذب.. عنوانًا لتعاملاتكم.. يبررها مشايخكم ويحلونها من منطلق أن الضرورات تبيح المحظورات ؟.. ألا يدعو هؤلاء المشايخ وفقهاء الاستبداد لتقديس الحكام عن المسئولية .. فيوجبون لهم الحمد إذا عدلوا.. ويوجبون الصبر عليهم إذا ظلموا.. ويعدون كل معارضة لهم بغيًا يبيح دماء المعارضين ؟..

ورفع الكواكبي كفيه إلى السماء ضارعًا:

«اللهم إن المُستبدين وشركاءهم قد جعلوا دينك غير الدين الذي أنزلت.. فلا حول ولا قوة إلا بك».

حاول الرئيس أن يعترض فأسكته الكواكبي بإشارة من يده ونظر إليه بحدة:

«المستبدُّ عدوُّ الحق عدوُّ الحريَّة وقاتلُها.. والحقُّ أبو البشر والحرية أمُّهم.. والعوام صبيةٌ أيتامٌ نيامٌ لا يعلمون شيئًا.. والعلماء هم إخوتهم الراشدون..

إن أيقظوهـم هَبُّـوا.. وإنْ دعوهم لبَّـوا.. وإلا فيتصل نومُهـم بالموت.. وبما أنَّ الاسـتبداد والعلم ضدّان متغالبان.. فكلُّ إدارة مستبدة تسعى جهدها في إطفاء نور العلم وحصر الرعيّة في حالك الجهلِ.. فذلك هو الضمان الوحيد لبقائكـم.. فـما انتشر نور العلـم في أمة قط.. إلاَ تكـسرت فيها قيود الأسر.. وساء مصير المستبدين من رؤساء سياسة.. أو رؤساء دين ..

وعندما تتفاقم الأمور ..ويظهر فشلكم السياسي جليًّا للعيان.. ويدفع الشـعب المسكين الثمن وهو يعاني قلة الأمان والجوع والظلم والطغيان.. فعندها يواسي مشايخ السلطة الشعب باسم الدين قائلين.. يا بؤساء: هذا قضاء من السـماء لا مرد له.. فالواجب تلقيه بالصبر والرضاء والالتجاء إلى الدعـاء.. فاربطوا ألسـنتكم عن اللغـو والفضـول.. واربطوا قلوبكم بأهل السكينة والخمول.. وإياكم والتدبير فإن الله غيور.. وليكن وردكم: اللهم انصر رئيسـنا.. وآمنّا في أوطاننا.. واكشـف عنّا البلاء.. أنت حسبنا ونعـم الوكيل.. ويتحبب المسـتبد إليهم ببعض الأعـمال ظاهرها الرأفة.. كـي يغصب قلوبهم التي لا يملكون غيرها.. ويبقى الشـعب المسـكين في انتظار رفع البلاء.. حتى يمحوه الفناء ..».

رفع الرئيس يديه يستجدي الكواكبي:

«يا مولانا إنت طربقت الدنيا على دماغي.. أنا مش فاسد ولا مستبد.. ده أنا راجل مسلم وبتاع ربنا».

فرد عليه الكواكبي:

«يا سيادة الرئيس.. أنت ترى فقط ما تريد أن تراه.. وتسمع فقط ما ترغب

في سماعه.. يكون الاستبداد عندما يكون الحاكم مطلق العنان لا يقيده قانون ولا إرادة أمة.. فقل لي عن حالك.. لم يقف قانون في وجه رغباتك.. وأصدرت ما أصدرت وألغيت ما ألغيت.. وحاربت أهل القضاء وأقصيت أهل العلم.. ولم تستمع لناصح.. فلم يقف أي قانون حائلًا أمام ما تريده وتريده جماعتك.. أمّا عن إرادة الأمة.. فأنت تتخيل واهمًا أنك تمثلها.. وأنت تعلم جيدًا أنك كنت قد جئت للحكم بأغلبية هزيلة .. ولولا ظروف منافسك لما جئت.. وترى انحسار مؤيديك وغضب معارضيك ولا يهتز لك طرف.. وتعتمد على الصندوق السحري لإثبات شعبيتك ودعم قراراتك.. وأنت تعلم جيدًا أنه لولا راية الدين وحاجة المساكين لما حصلت على أصوات الملايين ..

وعندما ينطبق عليك تعريف الاستبداد.. فمن الطبيعي أن يعقبه الفساد.. وما يدفع الثمن إلا العباد.. ».

أطرق الكواكبي رأسه في حزن للحظات ثم وجه حديثه للرئيس:

«يا سيادة الرئيس.. لقد خلق الله الإنسان حرًّا قائده العقل.. فكفر وأبى إلا أن يكون عبدًا قائده الجهل..

«مصر على طريق الفناء يا سيادة الرئيس.. ولكن لدي بصيصًا من الأمل.. فمن قديم الدهر يقولون عن مصر إنها محروسة..

هل تقدر أن تفعل شيئًا قبل فوات الأوان ..؟».

وغادر الرئيس المكان متعثرًا في أذيال جلبابه.. وقد أخذ يحك رأسه مفكرًا ..

«هل أقدر ؟».



# 38

## عماد الدين عفت
## محمود شلتوت

عند العمود التالي في البهو المهيب وقف شيخان يرتديان الزي الأزهري الجليل ويتوجان رأسيهما بعمامته البيضاء ..لفت نظر الرئيس النور الساطع من وجه أصغرهما سنًّا.. اقترب الرئيس أكثر ثم تسمر في مكانه.. ردد بهو الكرنك من حوله صدى صوت رقيق لطفل يردد أبياتًا من الشعر..

تعذر في رحيلك ما أقول ... كأن الشعر بعدك مستحيل
فهل أشدو بحبك في قصيد ... وهذا الحبُّ ليس له مثيلُ
فكيف أصوغ شعرًا لستُ أدري ... أيا رجلًا تَحيرُ لهُ العقولُ
وهل أبكيك أم أشدو بفخرٍ ... وكلتا حالتيَّ لها دليلُ
وما نفعُ البكاءِ ولا التباهي ... إذا كان الرحيلُ هو الرحيلُ
وقد حملتني حملًا ثقيلا ... فحظي من خصالك يستحيل
تقولُ لنا الكرامة كل شيءٍ ... فإن زالت فصاحبها ذليلُ
ليرحمك الرحيمُ أبًا رحيمًا ... ويشفع فيك لله الرسولُ
وتلك سبيلنا نمضي ونأتي ... إذا ما راح جيلٌ حل جيلُ
لتهنيك الشهادة يا شهيدًا ... تلاك على طريق الحق جيلُ

عماد الدين كنت له نصيرًا فزادك رفعةً فينا الجليلُ
وتكفي في الدنى ذكراك عندي يلازمني بها ظلٌّ ظليلُ
فيا أبتي وداعًا من فؤادٍ حللت به نزيلًا لا يزولُ
فراح على المدى يشدو بحرٍّ وداعًا أيها الرجلُ الفضيلُ

بادره الشيخ ذو الوجه المضيء ..

«هذا صوت ابني محمد.. وتلك أبيات من القصيدة التي ألقاها في حفل تأبيني بالأزهر الشريف.. إحياءً لمرور عام على استشهادي ..».

تساءل الرئيس في حذر:

«البقاء لله يا مولانا.. بس مين حضراتكم ؟» ..

«أنا الشيخ الشهيد عماد الدين عفت أمين الفتوى بدار الإفتاء.. وهذا فضيلة الشيخ محمود شلتوت.. شيخ الأزهر.. وأول حامل للقب الإمام الأكبر ..وأحد كبار الأئمة المجددين فى العصر الحديث ..

رد الرئيس:

«حضرتك كنت زميل الشيخ شلتوت؟ يعني ستينيات.. وما أدراك ما الستينيات.. آه يا ولداه.. يبقى أكيد كنت من ضحايا عبد الناصر أيام اضطهاد الإخوان ..».

رد الشيخ عماد :

«العكس صحيح.. فقد كان الإخوان شركاء لجلاديي عندما

استشـهدت بعدما اغتلت غدرًا خلال أحداث مجلس الوزراء في ديسـمبر 2011 .. فـكان استشـهادي تتويجًـا لرحلة جهاد ضد القهر والاسـتبداد بدأتها في ميدان التحرير في ثورة 25 يناير 2011 ..».

أغلق الشـيخ عماد عينيه متذكرًا.. وقد اكتسـى وجهه المضيء بابتسـامة عريضة ..

«ميـدان التحرير.. حيث وجدت ريح الجنة.. قبلة الجهاد حيث أفضل الجهاد.. كلمة حق عند سلطان جائر.. وحيث إن الرسول فضل الجهاد على الحج.. فإن هواء ميدان التحرير كان أطيب لنفسي من هواء الكعبة..».

عبس الرئيس وقال مستنكرًا :

«ليه كده يا مولانا الكلام ده ؟.. ده إحنا كنا شركاء في الثورة ..».

ضحك الشيخ عماد ضحكته الصافية وقال:

«متى نزل الإخوان إلى الثورة يا سيادة الرئيس؟.. أفضل المواقف المنسوبة لكـم كالنزول يوم 28 يناير والحفاظ عـلى الميدان يوم موقعة الجمل اتخذها شبابكم بعيدًا عن قرار قيادات الجماعة ولم ينتظروا تعليماتكم.. وبعد الخلع.. لم تشـاركوا التحريـر إلا في جمعـة وحيـدة على مدى تسـعة أشـهر.. وكانت تعليـمات قيادات الجماعة لكم واضحة.. لا تشـاركوا في أحداث الشـارع.. ولكـن كَثِّـرُوا سـوادَ الناس.. وبعـد ذلك ..مـا نزلتم لنصرة ثـوار التحرير واسـتنكار مجـازر المجلس الأعـلى والداخلية ضدهم إلا خوفًـا من المؤامرة المزعومة لإفشـال الانتخابات ..وبعد أن اطمأننتم على سـلامة الانتخابات

الغاليـة.. وهدأ محمد محمود وأحداثه ونزل المصريون لرثاء الشـهداء وعزاء أسرهـم والتضامـن معهم والمطالبـة بحقوقهم.. لماذا لم تشـاركوا الشـعب المصري آلامه خاصة بعد أن صرتم نوابه.. يا سيادة الرئيس ..إن أشخاصًا مـن عموم النـاس الذين ليس لهم انتـماءات حزبية ولا فكريـة نزلوا لنصرة المظلومين بدافع ديني أو بدافع أخلاقي أو بدافع إنسـاني.. وباتوا يحرسـون ميادين التحرير.. وأنتم بِتم مقيدين بمواقف قادة الجماعة واستجبتم لها حتى قبـل أن يخـرج بيان منهـم يبرر قعودهم.. وهـذه هي الطاعـة المذمومة التي مـا أنـزل الله تعالى بها من سـلطان: طاعة لمجهول في غـير مشروع.. ظلمات بعضها فوق بعض.. جمعت حَشَفًا وسوءَ كيلة(*).. ولسان حالكم يقول: ما دامت الجماعة قد اتخذت هذا الموقف فقد صَدَقَت..».

يا سيادة الرئيس.. أذكرك بآخر خطاب وجهته قبل أيام من استشهادي لكم وللمتخندقين في خندقكم.. وختمته بالحديث الذي أخرجه أبو داود عـن النبـي صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسـلم: **«ما من امرئ مسـلم يخـذل امرأ مسـلمًا فـي موضع تنتهـك فيه حرمتـه وينتقص فيـه من عرضه إلا خذلـه اللـه في موضع يحب فيه نصرته.. وما من امرئ ينصر مسـلمًا في موضـع ينتقص فيه من عرضـه وتنتهك فيه حرمته إلا نصـره الله في موضع يحب فيه نصرته»**.

(*) جمعت حَشـفًا وسـوء كيلـة: هذا القول مـن المأثور عن العـرب يضرب لمن يعطـي الرديء وينقصه وقصته أن رجلا ابتاع تمرًا من رجل آخر وكان تمرًا سيئًا ، ولما وضعه بالميزان أنقصه وطفف فيه ، فقال له الرجل المبتاع أحشفًا وسوء كيلة.

وقف الرئيس ينظر نظرات زائغة للشيخ عماد ولم يرد.. وواصل الشيخ عماد حديثه:

«.. خرجت جنازتي من جامع الأزهر وسط حشود غفيرة من المشيعين.. وأدى صلاة الجنازة عليّ الدكتور علي جمعة مفتي الجمهورية والذي نعاني باكيًا قائلًا: (إن لم تكن جنازته مليونية.. فلا يوجد على الأرض ما يستحق الحياة).. أين كنتم يوم تشييعي يا سيادة الرئيس؟ ..

كان أبلغ رد على غياب الإخوان والسلفيين عن جنازتي.. ما قاله لكم الشيخ مشاري راشد العفاسي:

(إذا كانت الكراسي تفرقكم وتمزق صفكم فلا مرحبًا بها ولا أهلًا.. وإن كنتم لا تحسنون السياسة فاشتغلوا بما أنتم له أهل وهو العلم الشرعي والدعوة إلى الله .. وسيذكر التاريخ : أنه عندما دخل المسيحيون الجامع الأزهر لتشييع جنازة الشيخ عماد عفت ظل الإخوان المسلمون والسلفيون في منازلهم ينتظرون نتائج انتخاباتهم) ..».

أنهى الشيخ عماد الدين عفت مقالته واستند بظهره إلى عمود الكرنك منصرفًا إلى التسبيح بمسبحة من اللؤلؤ بين أصابعه.. فيما تقدم الشيخ محمود شلتوت من الرئيس الذي وقف مرتبكًا.. وخاطبه قائلًا:

«يا سيادة الرئيس.. والله إني لأرى من معكم من مشايخ العصر الذين ازدهروا في مناخ الجهل والتعصب.. الذي تؤججونه لخدمة مخططاتكم السياسية.. لا يختلفون قيد أنملة عن بني إسرائيل ..».

اندهش الرئيس ورد مستنكرًا:

«بني إسرائيل ؟.. قصدك إيه يا مولانا ؟».

رد الشيخ شلتوت:

«أقصد قول الله تعالى لبني إسرائيل: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾.. هذا ما يفعله مشايخ العصر بالمستنيرين من العلماء والأئمة.. من الإمام محمد عبده.. وحتى الشيخ عماد الدين عفت.. اتهموهم بالماسونية.. والعمالة للغرب وللصهيونية.. ووصموهم بالكذب.. وادعوا رجوعهم في بعض فتاويهم وتوبتهم عنها..».

عقب الرئيس مسرعًا:

«بس ما حدش قتل حد ..».

ضحك الشيخ شلتوت ضحكة قصيرة:

«القتل لا يعني أن تقتل بيدك.. فالاشتراك في القتل قد يكون بالتحريض.. أو غض البصر.. أو التآمر ..أو السكوت.. أو تعطيل العدالة بحفظ التحقيق في قضية أو غلق ملفها ..».

شد الشيخ شلتوت قامته ولمع الغضب في عينيه وواصل حديثه ..

«طيلة حياتي الوظيفية بالأزهر.. منذ عملي في جماعة كبار العلماء حملت على عاتقي قضية إصلاح الأزهر وتطويره لمواكبة احتياجات

العصر.. أدخلت اللغات الأوربية في مناهج التعليم بالأزهر وجعلتها مادة أساسية.. أدخلت الفقه المقارن بين المذاهب الإسلامية في مناهج الأزهر.. ثم صدر قانون إصلاح الأزهر.. الذي أضاف التخصصات العلمية كالطب والهندسة والعلوم والإدارة والزراعة لكليات الأزهر.. وسمح للفتيات بالدراسة في الأزهر لأول مرة في تاريخه.. وأنشأت مجمع البحوث الإسلامية كأول مجمع فقهي يضم كل المذاهب الإسلامية في التاريخ الإسلامي ..

طيلة حياتي كنت ضد التشدد والتعسف والعصبية المذهبية.. دعوت لمعارضة الجمود والتقليد وفتح باب الاجتهاد.. والإعلاء من شأن العقل.. فالجمود جناية على الفطرة البشرية.. وسلب لمزية العقل التي امتاز بها الإنسان وإهدار لحجة الله على عباده وتمسك بما لا وزن له عند الله كما كنت نصيرًا للشريعة.. وعندما قدمت بحثي عن المسئولية المدنية والجنائية في الشريعة الإسلامية أمام مؤتمر لاهاي للقانون الدولي المقارن سنة 1937.. أقر المؤتمر الدولي صلاحية الشريعة الإسلامية للتطور.. واعتمدها كمصدر أصيل من مصادر التشريع الحديث..

فما لكم تتحدثون كأنكم من أدخل الإسلام إلى مصر.. وعن الشريعة كأنها أثر مطمور أزحتم عنه التراب واكتشفتموه؟

وكيف يجرؤ بعض شيوخكم بأن يطالب الأزهر بالاستتابة.. وبالحياد عما يدرسه من مذاهب لتردد أروقة الأزهر فقط ما يراه شيوخ الوهابية؟

اعلم أن الأزهر.. منذ أيام سليمان الحلبي وحتى عماد عفت.. لن يبخل

بـأرواح أبنائـه فداءً لمصر.. وأنه سـيظل القبلة والمنار للإسـلام الوسـطي المتمدن.. ولن يقـف الأزهر مكتوف اليدين أمام الردة الفكرية والروحية التي تروجون لها لدعم أهدافكم السياسية ..

إن ربك لبالمرصاد.. والأزهر أيضًا ..».

وأشاح الشيخ محمود شلتوت بوجهه.. واستند إلى ذراع الشيخ عماد.. وغادرا المكان ..



39

## أحمد لطفي السيد

عند العمود التالي وقف أحمد لطفي السيد بقوامه النحيل وطربوشه الأحمر.. اقترب منه الرئيس بحذر ولم يبد عليه أنه يعرفه.. فبادره أحمد لطفي..

«أنا أحمد لطفي السيد باشا يا سيادة الرئيس.. أو كما أطلقوا عليَّ.. أستاذ الجيل.. كذلك عُرفت بأبي الليبرالية المصرية.. وسماني البعض بالمعلم الثالث.. بعد أرسطو المعلم الأول.. والفارابي المعلم الثاني.. عملت وزيرًا للمعارف ثم وزيرًا للخارجية فنائبًا لرئيس الوزراء ورئيسًا لمجمع اللغة العربية ورئيسًا لدار الكتب المصرية.. ومديرًا للجامعة المصرية لمدة 25 عامًا ..».

رد الرئيس بكلمات ترحيب مبهمة ..

تابع أحمد لطفي السيد حديثه:

«نصحت المصريين دائمًا بأن اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية.. ولكن انظر ماذا فعلت أنت وأتباعك.. هاجمتم كل من خالفكم في الرأي واتهمتموهم بأنهم إما فلول من النظام السابق.. وإما عملاء مأجورون

ينفذون مؤامرات خارجية.. وإما علمانيون وليبراليون كفار يريدون تحويل مصر إلى بؤرة للكفر والفساد ..».

رد الرئيس مدافعًا.. وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة صفراء:

«معاليك عارف لعبة السياسة يا باشا.. البلد دلوقت بتمر في مرحلة حرجة.. وعايزين نخلص من وجع الدماغ ده علشان نتفرغ للنهضة ..».

واصل أحمد لطفي السيد حديثه:

«حتى الأساليب لم تختلف.. التكفير واستغلال الجهل.. أذكر عندما رشحت نفسي فى انتخابات مجلس النواب سنة 1923 عن مركز السنبلاوين.. كان منافسي يدعى عثمان سليط.. وروج في حملاته الانتخابية أنني ديمقراطي وأن كلمة ديمقراطي تعني أن (مراتي تبقى مراتك ومراتك تبقى مراتي) وهو خروج سافر على الدين الإسلامي.. ودعا سليط الناخبين أن يسألوني هل أنا فعلًا ديموقراطي أم ما زلت مسلمًا موحدًا بالله.. وقد أثر السجع في كلمة «ديمقراطي» وكلمة «مراتي» على أذهان البسطاء فصدقوه.. وفي أول زيارة لي للدائرة سألني الناخبون : هل أنت ديموقراطي ؟ فرددت بكل وقار.. نعم.. أنا ديمقراطي.. وسأظل مؤمنًا بالديمقراطية حتى النهاية.. فما كان منهم إلا أنهم أحرقوا السرادق وسقطت في الانتخابات.. ويومها بعث إلي سعد زغلول ببرقية يقول فيها ..( لئن سقطت في الانتخابات فلك عطف العقلاء) ..».

انفجر الرئيس ضاحكًا :

«حلوة أوي (مراتي تبقى مراتك ومراتك تبقى مراتي) دي.. ملعوبة..

نظر أحمد لطفي باشا شزرًا إلى الرئيس ثم واصل حديثه:

«من العجيب أن التيارات السياسية التي سادت في مصر في العقد الأول وبداية العقد الثاني من القرن العشرين كانت تصب في تيارين رئيسيين.. وهما التيار الوطني الليبرالي.. والتيار الفكري السلفي.. أي أنكم بعد مائة عام من التفاعل والتطور عدتم بمصر إلى المربع الأول.. الأغرب من هذا أن التيار الفكري السلفي.. كان يتزعمه الشيخ الإمام محمد عبده.. أحد أعظم المجددين في الفقه الإسلامي في العصر الحديث، وأحد دعاة الإصلاح وتحرير العقل العربي من الجمود بإحياء الاجتهاد الفقهي لمواكبة التطورات السريعة في العلم ومختلف النواحي السياسية والاقتصادية والثقافية في المجتمع.. هل ترى المقارنة والفرق يا سيادة الرئيس بين مصر 1913.. ومصر 2013 ..؟ هل تعلم أنه في سنة 1913 كان يوجد 282 جريدة ومجلة تصدر في مصر ؟»

عبث الرئيس بشعرات ذقنه مفكرًا ثم قال:

«بيني وبينك يا باشا.. الفرق فعلًا غريب شويتين.. محمد عبده.. سلفي؟».

فكر أحمد لطفي السيد قليلًا ثم قال:

«أنا فعلًا أشعر أن الزمن قد توقف.. لو كنت موجودًا الآن.. لكنت من أشد المعارضين لسياساتك.. ولرفعت نفس الشعارات التي رفعتها منذ مائة عام.. وأولها مصر للمصريين ..».

اعترض الرئيس:

«ليه بس يا باشا.. طب ما هي مصر للمصريين.. الشعارات دي كانت أيام الاستعمار ..».

فنظر إليه أحمد باشا بحدة:

«لقد رفعت شعار مصر للمصريين عندما رأيت.. بينما نحن نكافح ونتفاوض ونتظاهر من أجل التخلص من الاستعمار الإنجليزي.. أن هناك تيارات تنادي بالعودة إلى حضن الدولة العثمانية بحجة أنها الخلافة الإسلامية ..ووقتها طرح السلطان العثماني عبد الحميد فكرة ملتوية سماها الجامعة الإسلامية.. ليوسع حدود إمبراطوريته روحانيًّا ودينيًّا.. إذ كان الخيار السياسي والعسكري غير ممكنين.. ولما وقع مشايخنا في الفخ.. وبدأ اللعب على عواطف الشعب.. انتفضت رافعًا راية القومية المصرية قائلًا: إن مصريتنا تقضي علينا أن يكون وطننا هو قبلتنا ..وأن نكرم أنفسنا ونكرم وطننا.. فلا ننتسب إلى وطن غيره.. ونخصه بخيرنا. والانتساب إلى مصر شرف عظيم اعتدادًا بدورها في الحضارة.. وما لها من الثروة الطبيعية والتاريخية.. بما يضمن لها إحياء مجد الأولين.. وها هو الزمن يعيد نفسه.. ونرى من يفضل الرابطة الدينية على رابطة الجنسية والوطنية ومن يفتخر بانتسابه للعرب الأولين.. كأنما انتسابه إلى الجنس المصري نقص وعيب.. وترتفع الأصوات بحلم الخلافة وإمارة المؤمنين.. إلى آخره ..».

رد الرئيس منفعلًا:

«بس الوحدة الإسلامية هدف سامي يا باشا ».

«أنـا لا أعـترض على المبـدأ ..ولكن أي كيـان ضخم عمـوده الفقري اقتصـاد قوي وسـيادة حقيقية على مقدرات البلد وسـلطة اتخـاد القرار.. ليـس مجـرد مجموعـة مـن الجيـاع مسـلوبي الإرادة.. المغيبين باسـم الدين يهتفون وراءك في الصلاة.. آمين..

أمـا إذا كان مفهومك أنه طالمـا لا يوجد علم أجنبي يرفرف على أرض مصر.. فإنه لا يوجد استعمار فأنت مخطئ.. أنتم الآن تستدعون الاستعمار بأنفسكم.. فاتحين له صدوركم وأذرعتكم ..».

استنكر الرئيس :

«إحنا بنسـتدعي الاستعمار ؟ إزاي ؟ إحنا ناس وطنيين.. عيب عليك يا باشا ».

فقاطعه أحمد لطفي السيد بصوت هادر:

«عيب ؟ وماذا تعرفون أنتم عن العيب ..؟

.. منـبر الأزهر الشريف أصبح مباحًا كقاعة أفراح تؤجر لمن يدفع من مشـايخ الخليج ومـن ينشرون الفكر الـذي تتبنونه.. أليس هذا اسـتعمارًا لضمير مصر ؟ ..

تحاربـون الإعـلام الحر وتكبلـون الإعـلام الوطنـي ليصبـح هزيـلًا مهلهلًا.. غير قادر على المنافسة أمام قنواتكم المأجورة التي احتلت السبق والخبر والتوجيه.. أليس هذا استعمارًا لصوت مصر؟ ..

تركتـم الاقتصـاد يتهـاوى.. وحاربتـم السـياحة وخلقتم بيئـة طاردة

للاستثمار الحر النزيه.. ليتضاءل الاحتياطي النقدي وتنهار العملة الوطنية.. وينحصر الحل في قروض مجحفة ومعونات مشبوهة من جهات بعينها.. أليس هذا استعمارًا لقوت مصر ؟ ..

تركتم الجماعات الإرهابية وأجهزة الاستخبارات الأجنبية تمرح وترتع في سيناء بلا ضابط ولا رابط.. أليس هذا استعمارًا لأرض مصر؟ ..

وأخيرًا تعدون لمشروع صكوك أسميتموها إسلامية.. ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب لتتحايلوا بها للتفريط في أصول ورموز شامخة للدولة المصرية.. وتسمونها استثمارًا.. ولو لاحظتم سخرية القدر واللغة.. فالفرق بين كلمتي استثمار واستعمار هو حرف واحد فقط.. أليس هذا استعمارًا لعرض مصر؟ ..

نعم.. مصر للمصريين ..

ولن تكون للإسرائيليين ولا الأمريكان ولا الأتراك ولا القطريين ..

يا سيادة الرئيس.. في عام 1953 عرض عليّ الضباط الأحرار أن أصبح رئيسًا لمصر.. لكنني رفضت ..من منطلق خشيتي ألا أستطيع القيام بمتطلبات ومسئوليات هذا المنصب الخطير.. وذلك بالرغم من علمي الواسع وحنكتي السياسية وتاريخي العريض ..

يا سيادة الرئيس ..

«رحم الله امرأً عرف قدر نفسه.. تذكر هذا جيدًا» ..

واستدار أحمد لطفي السيد مغادرًا.. تاركًا الرئيس غارقًا في عرقه ..



# 40

## إلـــى الـديـــر البحـري

وقف الرئيس يجفف عرقه في كم جلبابه الفضفاض بعد أن أنهى جولته المقررة بين أعمدة الكرنك.. أحاسيس متباينة كانت تعصف به.. تعب.. إرهاق.. خوف.. نـدم.. عند ..حريـة.. عبودية.. كرامة.. ذل.. أسـى.. غيظ.. ولكن الإحساس الطاغي كان إحساسًـا بالقرف.. حاول الرئيس أن يحلل سبب شعوره بالقرف.. فلم يعرف.. لم يستطع أن يميز سبب قرفه..

قطع حبل أفكاره سماعه لصوت حفيف أجنحة وصوت خطوات أقدام تتقدم نحوه ..رفع نظراته ليجد الضوء الأزرق المألوف يحيط به.. وتظهر ماعت فاردة جناحيها وإلى جانبيها حورس وتحوت..

نظر حورس في صحيفة منشورة بيده.. ثم طواها ووجه خطابه للرئيس..

«أراك قد أتممت جولتك في بهو الكرنك يا سيادة الرئيس وقمت بالمرور على القضاة الاثنين والأربعين..».

رد الرئيس متشكيًا:

«كانـت لفة مايعلم بيها إلا ربنا يا حورس بيـه.. أقدر أروح بأه.. إحنا مش كده خلصنا؟

وبالمناسبة.. تعرف محل يكون فاتح دلوقت علشان آخد شوية كركديه ودوم للأولاد ؟».

ضربت ماعت الهواء بجناحيها بعنف.. فجفل الرئيس وسكت ..

تقدم تحوت خطوة للأمام.. وأخرج بردية مختومة قدمها لماعت ففضت أختامها وناولته إياها.. بدأ تحوت القراءة..

«باسـم مصر الخالـدة.. الملك مينا الراسـخ المكين موحـد القطرين إلى الرئيس الذي سيمزق القطرين ..

اسـتكمالًا لإجـراءات محاكمتـك.. واسـتنادًا إلى البعـد الجغرافي لمصر الذي يلعب دورًا أساسـيًّا في تشكيل شخصيتها ومصيرها.. ونظرًا لتشابه وتشـابك الخـبرات بين مـصر وجيرانهـا.. والتأثـير المتبادل بينهـم.. تقرر مثولـك أمام المحكمـة المختلطـة المنعقدة بمعبـد الدير البحـري.. وذلك بحضورك أمام ممثل لكل من محكمة العرب العليا.. محكمة البحر المتوسط العليـا.. ومحكمة إفريقيا العليـا.. وقد كلفنا ماعت ربة العدالة وتحوت إله الحكمـة وحـورس إله الشـمس باصطحابـك إلى الدير البحـري لحضور الجلسـات.. ثم يقومـون بعد ذلك بإحضـارك إلى قاعـة المحكمة الكبرى لإتمام الإجراءات والنطق بالحكـم».

انفعل الرئيس صائحًا:

«بحري إيه وقبلي إيه.. أنا عاوز أمشي من هنا حالًا.. هاتوا لي الداخلية.. حد يطلب الحرس الجمهوري ..».

لمعت عينا حورس الذهبيتان ببريق تحذيري فسكت الرئيس فورًا كأنما قطع عنه التيار الكهربائي ..

تقدمت ماعت وأحاطته بجناحيها.. وفي ثوان.. كانوا قد عبروا النيل وهبطوا في ساحة الدير البحري السابحة في ضوء القمر.



# 41

# محكمة العرب
# الحجاج بن يوسف الثقفي

اصطحب الإله تحوت الرئيس إلى قاعة من قاعات الدير البحري.. وتركه على مدخلها وانصرف.. رأى الرئيس في صدر القاعة رجلًا تبدو عليه علامات عز بائد.. وإن تعارضت مع ثوبه الرث وعمامته المبقعة..

وقف الرجل بلحيته التي اختلط فيها الشعر الأبيض بالأسود معرفًا نفسه ..

«أنا الحجاج بن يوسف الثقفي ..».

رد الرئيس بعصبية:

«يا دي الليلة اللي مش فايتة..

مش إنت برضه، بتاع إني أرى رءوسًا قد أينعت وحان قطافها ؟ ..

وأنا اللي كنت معترض على تحية كاريوكا والملك فاروق ؟ ..يقوم يطلع لي الحجاج.. طب إزاي يعني ؟ أنا مش فاهم حاجة ..».

رد الحجاج بمرارة :

«هذه المرة أنت على حق يا سيادة الرئيس.. فأنا لست من قضاة محكمة العرب.. بل أنا مدان أقضي عقوبتي وأدفع ثمن ما قمت به من فظائع..».

استرد الرئيس أنفاسه وقال:

«إذا كان كده أمال أنا واقف قدامك ليه دلوقت ؟».

فرد الحجاج:

«في المحكمة المختلطة نحن لا نأتي لمحاكمتك.. بل لنحلل ونقيم ما تقوم به ونسدي إليك النصيحة فقط.. ويكون رأينا استشاريًا فقط للمحكمة المسئولة عن محاكمتك.. وهي هنا محكمة الخالدين المصرية.. وفي حالتي.. رأت محكمة العرب أنني أبلغ من يمثلها في محاكمتك.. عسى أن تكون تجربتي السيئة عبرة وعظة لك ..».

وقف الرئيس منتبهًا للحجاج الذي واصل حديثه:

«كنت قائد جيوش الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان الذي شهد الكثير من القلاقل السياسية والخروج على الدولة.. ومن أجل هيبة الخلافة والمحافظة على الدولة قمت بالكثير من المهام التي سفكت فيها أنهارًا من الدماء وروعت الآمنين وقتلت الأبرياء..

غزوت مكة للقضاء على تمرد عبدالله بن الزبير.. وأخضعت مكة وقتلت عبدالله بن الزبير وصلبته.. صلبت ابن الزبير بن العوام وأسماء بنت أبي بكر.. ذات النطاقين ابنة الصديق رضي الله عنه ..ولم أكتف بذلك.. وأرسلت إلى أمه أن تأتيني.. فأبت.. فأرسلت إليها لتأتين أو لأبعثن من

يسحبك بقرونك .. فأرسلت إلي قائلة : والله لا آتيك حتى تبعث إلي من يسحبني بقروني.. فذهبت إليها وقلت : كيف رأيتني صنعت بعبد الله؟ قالت: رأيتك أفسدت عليه دنياه.. وأفسد عليك آخرتك ..».

توقف الحجاج للحظات وتحشرج صوته وسالت الدموع من عينيه..

«قتلت سليل الصحابة الأجلاء حفيد أبي بكر ومثلت بجثته وأهنت أمه شقيقة أم المؤمنين وحاملة طعام رسول الله.. هل تعلم بأي حجة؟.. بحجة إعلاء الدين والطاعة لولي الأمر ..».

أطرق الرئيس قائلًا:

«لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

واصل الحجاج حديثه وقد احمرت عيناه ..

«وعندما وليت على العراق توجهت إلى البصرة ومعي بضعة آلاف جندي.. ودخلنا البصرة يوم الجمعة وقت الصلاة.. وكان الجميع يؤدون الصلاة في المسجد وكان في المسجد ثمانية عشر بابًا.. وضعت على كل باب مائة جندي أمرتهم أن يخفوا سيوفهم تحت ملابسهم.. وأخذت معي مائتي جندي ودخلت بهم وهم يخفون السلاح تحت الثياب ، وأمرتهم إذا نزعت عمامتي ووضعتها على ركبتي أن يخرجوا سيوفهم ويقتلّوا بالجميع بدون استثناء.. ولما أعطيت إشارتي جرد الجنود سيوفهم وأخذوا بقتل المصلين بدون تمييز.. وحاول المصلون الهرب فتلقاهم الجنود على الأبواب حتى قتل جميع من كانوا في المسجد.. وكانوا كُثر..

هـل تعلـم بـماذا كان يهتـف جنـودي وهـم يقتلـون المصلـين ؟ كانوا يكبرون ويقولون جاء الحق وزهق الباطل.. وكان الجميع فخورين.. فهم يقتلون باسـم الله ولإعلاء رسالة رسـول الله.. هذا ما أقنعتهم به يا سيادة الرئيس..».

وقف الرئيس مرتجفًا وهو يردد:

«لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.. لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

واصل الحجاج روايته:

«وقضيـت حياتي ما بـين مذابح وفتـن وفظائع.. ارتكبتها كلها باسـم الديـن.. وختمتهـا بذبـح أحد معارضي سياسـاتي الظالمة.. سـيد التابعين مستجاب الدعوة ومفتي الكوفة سعيد بن جبير.. أذكر لحظة أن أصدرت الأمـر بذبحـه قولـه : أما إني أشـهد أن لا إلـه إلا الله.. وأن محـمـدًا عبـده ورسـوله.. ثم رفع رأسـه إلى السـماء وقـال : خذها مني يا عـدو الله حتى نتلاقـى يوم الحسـاب : ( اللهم اقصم أجله.. ولا تسـلطه عـلى أحد يقتله من بعدي ).

ورفع الله دعوته فوق الغمام وفتح لها أبواب السماء.. وأصابني بسرطان المعـدة ..ولم أزل أتخبـط بين الألم والفزع حتى لقيت حتفي.. واسـتجيبت دعوته ولم أقتل أحدًا بعده ..

هل رأيت كم من الفظائع يمكن أن ترتكب باسم الدين؟

هـل رأيـت كيـف يمكـن أن تقـود الآلاف لاقـتراف الجرائـم مهللين مكبرين..

واهمين أنهم على طريق الجنة.. وهم على طريق الجحيم سائرون..

هـل رأيت كيف يكون الظلم والاسـتبداد هينين.. إذا ما ارتديا العمامة وعباءة الدين ؟

وها أنا أدفع الثمن إلى يوم الدين.. حيث تنتظرني جهنم وعذاب القوي المكين ..».

وقف الرئيس يرتجف وكأنه في مهب الريح.. واستدار لينصرف.. لكن الحجاج استوقفه قائلًا:

«انتظر أيها الرئيس.. فما زال لدي ما أقوله.. أريد أن أخبرك عن وصيتي لطارق بن عمرو عندما كنت أحدثه عن أخبار العرب وبلاد المسـلمين.. وماذا قلت عن المصريين»..

قلت له:

«لـو ولاك أمـير المؤمنـين أمر مصر فعليـك بالعدل . فهـم قتلة الظلمة وهادمـو الأمـم.. ومـا أتى عليهم قـادم بخـير إلا التقموه كـما تلتقم الأم رضيعهـا.. ومـا أتـى عليهـم قـادم بـشرٍّ إلا أكلـوه كما تـأكل النـار أجفَّ الحطب..

وهم أهل قوة وصبر وجلد وحمل

ولا يغرنك صبرهم ولا تستضعف قوتهم ..

فهم إن قاموا لنصرة رجل.. ما تركوه إلا والتاج على رأسه
وإن قاموا على رجل.. ما تركوه إلا وقد قطعوا رأسه
فاتق غضبهم ولا تشعل نارًا لا يطفئها إلا خالقهم
فانتصر بهم فهم خير أجناد الأرض واتق فيهم ثلاثًا :
نساءهم.. فلا تقربهن بسوء وإلا أكلوك كما تأكل الأسود فرائسها
أرضهم.. وإلا حاربتك صخور جبالهم
دينهم.. وإلا أحرقوا عليك دنياك
وهم صخرة فى جبل كبرياء الله تتحطم عليها أحلام أعدائهم وأعداء الله..».

تأمل الحجاج الرئيس لحظة ثم واصل حديثه:

«مع اختلاف الزمان.. فلا يزال ما قلته صحيحًا.. وليتك قرأته ووعيته..

فإني لأراك وقد استهنت بحماة عدلهم.. ولم توف بشيء من الخير الذي وعدتهم.. وغرك صبرهم واستضعفت قوتهم.. وأثرت غضبهم وأشعلت نار الفتنة بينهم.. واستخففت بمطالب ومكتسبات نسائهم.. وعرضت للخطر في سيناء وحلايب وشلاتين أرضهم.. والمسلمين المعتدلين منهم والمسيحيين ..كلًّا أشعلت غيرتهم على دينهم ..

ووالله إني لأراه قريبًا.. ذلك اليوم الذي يحرقون عليك دنياك.. ويحطمون أحلامك على صخرة كبريائهم ..».

تعجب الإله تحوت لمشهد الرئيس وهو يركض هاربًا من القاعة.. ويتلفت وراءه فزعًا.. كأنه رأى شبحًا ..



# 42

# محكمة البحر المتوسط
# الأسقف مكاريوس

---

صحب الإله حورس إلى القاعة التالية ليجدا رجلًا وقورًا في ثياب كنسية سوداء.. وقد ركع على ركبتيه بخشوع موليًا ظهره لمدخل القاعة واستغرق في صلاة خاشعة وقد بللت الدموع لحيته البيضاء ..

أعلن حورس.. «فخامة الرئيس القبرصي الأسقف مكاريوس».. ثم انسحب في هدوء انتظر الرئيس حتى انتهى الأسقف من صلاته.. استدار الأسقف بوقار ليواجه الرئيس.. ولكنه ظل محتفظًا بوضع الركوع.. لاحظ مكاريوس تعجب الرئيس فقال له:

«لا تتعجب يا سيادة الرئيس.. فهذا حكم محكمة البحر المتوسط لتطهيري.. إذ حكم علي أن أظل راكعًا في صلاة مستمرة حتى تعود قبرص دولة موحدة.. ويتوحد رعاياها القبارصة الأتراك والقبارصة اليونانيون مرة أخرى تحت راية واحدة ..وتتوحد عاصمتها نيقوسيا.. آخر عاصمة مقسمة في العالم.. ليعود الوئام مرة ثانية إلي جزيرة فينوس.. الواحة الخضراء في قلب البحر المتوسط».

رد الرئيس متسائلًا:

«طيب هو حضرتك دخلك إيه في القصة دي؟».

رد الأسقف مكاريوس بمرارة:

«سأقص عليك قصتي.. عسى أن تتعظ منها وتأخذها عبرة ..فإني أراك سائرًا في طريق مشابه.. ولا أتمنى لمصر العزيزة أن تنتهي نهاية قبرص ولا أن تعاني آلامها..».

علق الرئيس مستنكرًا ..

«تقسيم ..؟ أهو ده اللي مش ممكن أبدًا.. السيناريو ده استحالة يحصل في مصر».

فكان رد مكاريوس:

«هذا ما كنت أقوله عن قبرص.. ولكن الغرور بقدراتنا.. والوهم بسمو غرضنا.. خاصةً حين نعمل تحت راية الدين.. أحيانًا ما يفصلان المرء عن الواقع الأليم.. الذي يظهر فجأة أمام أعيننا.. ونقضي باقي عمرنا في محاولة إصلاح أخطائنا.. والندم على ما اقترفنا في حق أوطاننا..».

تنهد مكاريوس وبدأ يقص قصته ..

بدأت قصتنا عام .. 1947 عندما تقدم ملك اليونان إلى الحاكم البريطانى للجزيرة عارضًا إقامة اتحاد مع قبرص.. وبالطبع رفضت بريطانيا هذا الاقتراح.. وقتها تزعمت تيارًا.. تحت مظلة الكنيسة.. للدفع في هذا الاتجاه.. ونظرًا لالتقائنا مع اليونان في التبعية لكنيسة واحدة..

بالإضافة لوحدة اللغة.. فقد لقي هذا التيار دعمًا كبيرًا من القبارصة اليونانيين.. ولعب الدين دورًا كبيرًا في تأجيج الحماس لهذه الوحدة.. ثم تكونت المنظمات السرية للكفاح من أجل الانضمام إلى اليونان.. كل هذا كان برعاية الكنيسة.. فشعر القبارصة الأتراك.. مسلمو الديانة والذين يشكلون حوالي خمس السكان بالخطر.. وبدأ التوتر الطائفي في التراكم وكرد فعل.. طالب الأتراك القبارصة بضرورة وجود نوع من الاستقلال الذاتى لهم.. وتصاعدت الأزمة لتتدخل فيها أطراف عالمية.. حتى جاءت اتفاقيتا زيورخ ولندن الموقعتان فى 1959 .. لتنظما العلاقة بين الطائفتين في قبرص.. بالإضافة إلى تنظيم علاقة قبرص بكل من بريطانيا وتركيا واليونان.. واتفق كل من القبارصة الأتراك واليونانيين على إلغاء خطتي الاتحاد مع اليونان أو تركيا . وتم التراضي على دستور يقسم المناصب الوزارية والمقاعد البرلمانية وظائف الخدمة المدنية على نسب متفق عليها بين الطائفتين وتم بمقتضاه إعلان استقلال قبرص عن بريطانيا في 1960 .. وكنت أول رئيس للجمهورية.. كان من الممكن أن تسير الأمور بسلام.. ولكن خلال ثلاث سنوات من الحكم بدأ التوتر يطفو على السطح بين القبارصة اليونانيين والأتراك خاصة في الشئون الإدارية.. وانحزت إلى مطالب أهلي وعشيرتي.. وهنا بدأت باقتراف الأخطاء ..

أنصت جيدًا يا سيادة الرئيس فهذا الجزء يهمك ..

كان رأيي الشخصي أن جمهورية قبرص نشأت من اتفاقيتى زيورخ ولندن.. ولكن مستقبلها يجب أن يتحدد طبقًا لإرادة شعبها.. وبالتالى يجب

أن يعدل الدستور.. بحيث تلغى المواد التى لا يمكن تنفيذها.. وقمت من طرف واحد بتعديل 13 مادة من الدستور.. فتقدم القبارصة الأتراك بدعوى قضائية ضد تلك التعديلات أمام المحكمة الدستورية العليا.. وقتها كنت مقتنعًا أنني أدرى من الجميع بمصلحة قبرص.. وأعلنت أنني لن أمتثل لأي قرار من المحكمة الدستورية العليا.. وأصدرت المحكمة الدستورية العليا حكمها بأن التعديلات غير قانونية.. وتمسكت بموقفي.. ورفضت تطبيق قرار المحكمة.. وفي المقابل استقال رئيس المحكمة الدستورية العليا من منصبه غيرةً على هيبة القانون ..

ألا تذكرك هذه القصة بشيء يا سيادة الرئيس ؟ ..

احمر وجه الرئيس ولم يرد.. فواصل مكاريوس حديثه ..

«وواصلت ارتكاب الأخطاء.. لما عاد الجنرال جريفاس.. رئيس الحركة القومية اليونانية.. وزعيم الاتجاه المؤيد للاتحاد مع اليونان إلى قبرص في 1964 قربته مني وضممته إلى فريق الحكم بتعيينه قائدا لقوات الأمن والحرس الوطنى القبرصى.. مما صعد حدة النزاع الطائفي فى الجزيرة.. وعلى مدى السنوات التالية.. بدأت حوادث العنف تتزايد.. وأصبحت الاغتيالات والتفجيرات جزءًا من حياتنا اليومية..

ومع التدهور الأمني قمت بيد مطلقة بتطبيق التعديلات الدستورية التي فرضتها.. وغيرت الدوائر الانتخابية لضمان أن تفرز التيارات التي أرغبها.. وأخرجت القبارصة الأتراك من الوزارة ومنحت كل المناصب

الوزارية للقبارصة اليونانيين.. ولضمان الغطاء القانوني لتصرفاتي قمت بتعديلات فى القضاء القبرصى تكفل لي الولاء والسيطرة ..

ألا توحي لك هذه القصة بشيء يا سيادة الرئيس؟ ..

ازداد وجه الرئيس احمرارًا.. ولكنه أيضًا لم يرد .

ابتسم مكاريوس ابتسامة مريرة.. واسترسل في ذكرياته ..

«وبدأت قبرص تدفع الثمن.. ففي ديسمبر 1967 اتخذ القبارصة الأتراك خطوتهم الدفاعية الأولى فى النزاع الطائفى داخل قبرص.. بعدما شعروا بالإقصاء المتزايد وبضياع حقوقهم حين أعلنوا عن تشكيل المجلس التنفيذى لأول حكومة انتقالية للطائفة التركية.. فاندلعت الحرب الأهلية.. وانتشر الدمار والسلب والخطف.. وفقد الآلاف منازلهم وممتلكاتهم وحياتهم.. وشكل الأتراك ميليشيات مسلحة للتصدي للقوات الحكومية..

خرجت الأمور عن السيطرة.. وظهرت قوى سياسية أكثر تطرفًا في الجانب اليوناني.. وتعرضت لانقلابات عسكرية.. وصارت قبرص ملعبًا للصراعات الإقليمية والعالمية.. واقتربت تركيا واليونان من خوض حرب بينهما بسبب قبرص.. وازداد التوتر بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي.. وتفاقمت المؤامرات والصفقات العالمية.. وتتخذ الكنيسة القبرصية موقفًا ضدي إذ يصر مجلس الأساقفة على عزلي من منصبي الديني.. ما لم أتخل عن منصبي كرئيس للجمهورية.. واتهموني

بأن سياستي قد أسفرت عن اضطرابات وطنية ودينية وتقسيم الجزيرة.. رفضت الاتهامات.. فتعرضت لانقلاب عسكري عام 1974 من مجموعة تدين بالولاء للمجلس العسكري اليوناني.. فشعرت تركيا بتهديد مصالح القبارصة الأتراك فتدخلت عسكريًا.. انتهى الغزو بسيطرة القوات التركية على حوالي 37 ٪ من إجمالي مساحة قبرص.. وتمر سنوات من النزاع والمفاوضات الفاشلة أعلن بعدها شمال قبرص استقلاله من طرف واحد في 1983 باسم جمهورية شمال قبرص التركية ..

وحتى يومنا هذا.. لا تزال قبرص مقسمة.. أهلها متفرقون.. وعاصمتها ممزقة.. وأنا كما ترى.. كتب علي أن أظل راكعًا على ركبتي.. أستغفر الله وأصلي له.. وأدعو لقبرص بالخلاص».

وبجمل واضحة.. قال الأسقف مكاريوس للرئيس:

«لن تجد أوضح من هذا تاريخًا لتتعظ منه يا سيادة الرئيس.. اتعظ واعتبر قبل فوات الأوان».

واستدار الأسقف الراكع ليواصل صلواته.. التي حكم عليه أن يواصلها إلى أن تتوحد بلده ..أو إلى يوم الدين ..

وخرج الرئيس شاردًا من القاعة.. وقد خيم عليه التشاؤم والاكتئاب..



# 43

# محكمـــة إفريقيـــا
## نلســـون مـانـديــلا

دخل الرئيس إلى قاعة أخرى من قاعات الدير البحري بصحبة ماعت إلهة العدالة ليجدا نلسون مانديلا بوجهه الأسمر وشعره الأبيض واقفًا في صدر القاعة وقد ارتدى أحد قمصانه الملونة المميزة.. انحنت ماعت في احترام إجلالًا لكبير قضاة إفريقيا.. وانسحبت في هدوء تاركة الرئيس في حضرة المناضل العظيم ..

نظر مانديلا إلى الرئيس متفحصًا ثم قال له:

«السيد الرئيس.. أرسلت منذ عامين رسالة للشعب المصري مهنئًا بنجاح ثورته العظيمة ..ومشاركًا بعض القيم والدروس من تجربتنا في جنوب إفريقيا.. عسى أن تكون ذات قيمة يستفيد منها الشعب في الحفاظ على ثورته العظيمة ورعايتها حتي يجني ثمارها.. ولكن على ما يبدو أن رسالتي لم تصل.. أو وصلت ولم يقرأها أحد ..

أخبرت شعب مصر في رسالتي عن لحظة خروجي من سجن فكتور فست في كيب تاون بعد أن قضيت بين جدرانه

سبعة وعشرين عامًا لأني حلمت أن أرى بلادي خالية من الظلم والقهر والاستبداد.. كان السؤال الذي ملأ جوانحي حينها هو: كيف سنتعامل مع إرث الظلم لنقيم مكانه عدلًا؟

أرى أنكم حتى اليوم يا سيادة الرئيس لم تجدوا الإجابة الصحيحة التي تتوافق مع طموحات الشعب الذي خرج لتوه من سجنه الكبير.. وذلك رغم أن الإجابة عن هذا السؤال هي التي تحدد طبيعة الاتجاه الذي ستنتهي إليه الثورة... لأن إقامة العدل أصعب بكثير من هدم الظلم.. فالهدم فعل سلبي والبناء فعل إيجابي.. وإحقاق الحق أصعب بكثير من إبطال الباطل.

يا سيادة الرئيس.. كما أرى من تفاصيل الجدل السياسي اليومي في مصر فإن معظم الوقت مهدر في سب وشتم كل من كانت له صلة تعاون مع النظام البائد.. وكأن الثورة لا يمكن أن تكتمل إلا بالتشفي والإقصاء.. وبدا لي واضحًا أن الاتجاه العام عندكم يميل إلى استثناء وتبكيت كل من كانت له صلة قريبة أو بعيدة بالنظام السابق.

ذاك أمر خاطئ في نظري. أنا أتفهم الأسى الذي يعتصر قلوبكم وأعرف أن مرارات الظلم ماثلة.. إلا أنني قلت لكم منذ عامين أن استهداف هذا القطاع الواسع من مجتمعكم قد يسبب للثورة متاعب خطيرة.. فمؤيدو النظام السابق كانوا يسيطرون على المال العام وعلى مفاصل الأمن والدولة وعلاقات البلد مع الخارج.. فاستهدافهم قد يدفعهم إلى أن يكون إجهاض الثورة أهم هدف لهم في هذه المرحلة التي تتميز عادة بالهشاشة الأمنية

وغياب التوازن.. قلت منذ عامين إنكم في غنى عن ذلك.. وللأسف لم ينصت أحد.. كما حذرت من أن أنصار النظام السابق ممسكون بمعظم المؤسسات الاقتصادية التي قد يشكل استهدافها أو غيابها أو تحييدها كارثة اقتصادية أو عدم توازن أنتم في غنى عنه.. وضربتم بنصيحتي عرض الحائط وها أنتم تدفعون الثمن ..

يا سيادة الرئيس ..عليكم أن تتذكروا أن أتباع النظام السابق في النهاية مواطنون ينتمون لهذا البلد.. فاحتواؤهم ومسامحتهم هي أكبر هدية للبلاد في هذه المرحلة.. ثم إنه لا يمكن جمعهم ورميهم في البحر أو تحييدهم نهائيًّا.. ثم إن لهم الحق في التعبير عن أنفسهم وهو حق ينبغي أن يكون احترامه من أبجديات ما بعد الثورة. إن النظر إلى المستقبل والتعامل معه بواقعية أهم بكثير من الوقوف عند تفاصيل الماضي المرير.

يا سيادة الرئيس.. عندما خرجت من السجن كان أكبر تحدٍّ واجهني هو أن قطاعًا واسعًا من السود كانوا يريدون أن يحاكموا كل من كانت له صلة بالنظام السابق.. لكنني وقفت دون ذلك وبرهنت الأيام أن هذا كان الخيار الأمثل ولولاه لانجرفت جنوب إفريقيا إما إلى الحرب الأهلية وإما إلى الدكتاتورية من جديد.. لذلك شكلت (لجنة الحقيقة والمصالحة) التي جلس فيها المعتدي والمعتدى عليه وتصارحا وسامح كل منهما الآخر.. إنها سياسة مرّة لكنها ناجحة. تخيل لو كنا في جنوب إفريقيا ركزنا - كما تمنى الكثيرون - على السخرية

من البيض وتبكيتهم واستثنائهم وتقليم أظفارهم.. لو حدث ذلك لما كانت قصة جنوب إفريقيا واحدة من أروع قصص النجاح الإنساني اليوم .. أتمنى أن تستحضروا قولة نبيكم: «اذهبوا فأنتم الطلقاء».

تنهد مانديلا آسفًا.. وقال للرئيس:

«أعتقد أنك لديك نسخة من خطابي هذا يا سيادة الرئيس ..».

أومأ الرئيس برأسه إيجابًا دون أن يجرؤ على النظر في عيني مانديلا..

رد مانديلا غاضبًا:

«لا أعرف لماذا الإصرار على عدم الاستفادة من تجارب الآخرين ونصائحهم ؟..

لقد أعماكم الانتقام من رموز النظام السابق عما فيه الخير لمصر ..

لقد سيطرت عليكم هواجس تصفية الحسابات مع أجهزة الداخلية والقضاء لتصبح أهم وأغلى من تحقيق الأمن واحترام العدالة.. وأردتم أن يظل ملف الشهداء ورقة تلعبون بها لجني مصالح انتخابية أو توجيه الرأي العام أو إلهائه ..

يا سيادة الرئيس ..أن تكون حرًّا لا يعني مجرد التحرر من الأغلال.. ولكن أن تعيش وفق نمط حياة تعزز من خلاله حرية الآخرين وتحترمها..

يا سيادة الرئيس ..لقد قلت مدافعًا عن نفسي أمام محكمة الأقلية البيضاء التي أودعتني السجن: إنّني أناضل ضدّ هيمنة البيض.. وأناضل

ضدّ هيمنة السـود.. وأدعو إلى القيم الديمقراطيـة والمجتمع الحر.. الذي يتعايـش فيـه الجميع معًـا.. وذاك ما آمل في العيش لتحقيقـه.. وما أنا على استعداد عند الضرورة للموت من أجله..

وعندما خرجت من السجن ماشيًا على قدميّ.. كانت مهمتي تتمثل في تحرير الظالم والمظلوم معًا.. لقد مشـيت في تلـك الطريق الطويلة من أجل بلوغ الحرية.. واكتشـفت أن المرء ما إن ينتهي من تسـلق جبل شامخ.. إلا ويتبين له أن هناك العديد من الجبال الأخرى بانتظاره..

أرجو أن تكون قد فهمت يا سيادة الرئيس..».

ورفع مانديلا صوته مناديًا ماعت.. إلهة العدالة..

«سـيدتي.. لقـد فرغـت مـن السـيد الرئيـس.. يمكنـك الحضـور لاستلامه..».



## 44

# المحاكمة

سار الرئيس مهمومًا خلف ماعت.. وعلى رأس الدرج المؤدي إلى القاعة.. وقف حورس وتحوت في انتظارهما.. ضمت ماعت جناحيها حول الرئيس.. وفي ثوانٍ.. عادوا إلى البر الشرقي ونظر الرئيس حوله ليجد نفسه في بهو الكرنك السابح في ضوء القمر.. نظر بفضول بحثًا عن قضاته الذين قابلهم منذ قليل فلم يلمح أحدًا.. فقط أعمدة البهو العظيم وقد انتصبت شامخة تتحدى الزمن.. كانت ماعت تسير أمامه ناشرة جناحيها.. ونظر من فوق كتفه ليجد حورس وتحوت على بعد خطوات خلفه.. عبروا بهو الأعمدة وواصلوا سيرهم عبر صروح المعبد ..وبعد لحظات سمع أصوات عدد كبير من الناس يتحدثون ونظر أمامه ليرى عن بعد بوابة ضخمة لقاعة كبيرة تتلألأ بالأنوار ..وشاهد جنديين على جانبي القاعة وقد وقفا بكامل عتادهما في زيهما الفرعوني الأنيق..دخلت ماعت إلى القاعة فخف اللغط ثم ساد الصمت الذي قطعته همهمات غاضبة لدى دخوله إلى القاعة..

انبهر الرئيس بفخامة وجلال القاعة التي لم ير لها مثيلًا.. أخذ ينظر إلى زخارفها الأنيقة التي تعانقت فيها عناصر الفن الفرعوني والإغريقي

الروماني والقبطي والإسلامي.. شاهد منصة مرتفعة في صدر القاعة وقد وضعت خلفها ثلاثة كراسي من العاج.. على كل جانب من المنصة كان هناك نصف قوس مكون من 21 كرسيًا من الأبنوس ..جلس عليه الذين قابلهم من أعضاء مجمع الخالدين في عباءات خضراء داكنة.. قبالة المنصة ارتفع منبر من الخشب المذهب وقد جلس بجواره شاب وسيم ..تشع عيناه بالنور كأنهما نجمان ساطعان وقد ارتدى عباءة من الحرير الأحمر النبيذي ..

على مدار القاعة المستديرة صفت مقاعد امتلأت بالناس.. ومن فوقها شرفتان على طابقين امتلأتا عن آخرهما بباقي أعضاء مجمع الخالدين.. رجال ونساء.. شباب وكهول.. رجال دين مسلمين ومسيحيين جنبًا إلى جنب مع كهنة من معبد آمون برءوسهم الحليقة.. رتب عسكرية من مختلف العصور ..وجوه حنطية وسمراء وبيضاء.. وبدل وجلاليب بحرية وقبلية وطرابيش وعمائم وطواقي ولاسات.. باختصار.. مصر بكافة طوائفها وفئاتها وعصورها ..

ارتفع صوت جهوري لحاجب أسمر سمين.. محكمة ..

وقف الجميع احترامًا لهيئة المحكمة.. دخل الملك مينا في ثيابه الملكية البيضاء الموشاة بالذهب وقد وضع على رأسه تاج مصر الموحدة الذي يمثل الوجه القبلي بتاجه الأبيض والوجه البحري بتاجه الأحمر.. تبع الملك مينا محمد علي باشا الكبير بلحيته البيضاء في بذلة أرجوانية موشاة بخيوط الفضة فوق سروال فضفاض يعلوه حزام عريض يتدلى منه خنجر

مرصع بالفضة وقد ارتدى طربوشًا أحمر.. وبجواره سار الرئيس محمد نجيب في كامل زيه العسكري بأوسمته وشاراته ..

ارتفع صوت الحاجب مرة أخرى هاتفًا.. النشيد الوطني..

وردد الكرنك أصداء أصوات الجميع وهم يرددون بكل حب وإكبار:

**اسلمي يا مصر إنني الفدا**
**ذي يدى إن مدت الدنيا يدا**

**أبدًا لن تستكيني أبدا**
**إنني أرجو مع اليوم غدا**

**ومعي قلبي وعزمي للجهاد**
**ولقلبي أنت بعد الدين دين**

**لك يا مصر السلامه**
**وسلامًا يا بلادي**

**إن رمى الدهر سهامه**
**أتقيها بفؤادي**

**واسلمي في كل حين**
**أنا مصري بناني من بنى**

**هرم الدهر الذي أعيا الفنا**
**وقفة الأهرام فيما بيننا**

لصـــروف الدهـــر وقفتـــي أنـــا
فـــي دفاعـــي وجـــهـــادي للبـــلاد

لا أميـل لا أمـــل لا ألـــيـــن
لـــك يـــا مصـــر السلامـــة

وســـلامًـا يـــا بـــلادي
إن رمـــى الدهـــر سهامـــه

أتقيـهـــا بفـــؤادي
واســـلمي فـــي كل حيـــن

ويـــك يـــا من رام تقييـد الفلـــك
أي نجـم فـــي السمـــا يخضـــع لك

وطـــن الحـــر سمًا لا تمتلك
والفتـــى الحـــر بأفـقـــه ملـــك

لا عدا يـــا أرض مصـــر بك عـــاد
إننـــا دون حمـــاك أجمعيـــن

لـــك يـــا مصـــر الســـلامـــة
وســـلامًـا يـــا بـــلادي

إن رمـــى الدهـــر ســـهامـــه
أتقيـــهـــا بفـــؤادي

**واســـلمـــي فـــي كـــل حيـــن**
**للعـلا أبنـاء مـصـــر للعـلا**

**وبمصـر شـــرفـوا المستقبـلا**
**وفـدًا لمصرنـــا الدنيـــا فلا**

**نـــضــــع الأوطـــان إلا أولا**
**جانبـي الأيســـر قلبـه الفؤاد**

**وبـلادي هـي لـــي قلـي اليمين**
**لـك يـــا مصـــر السلامـه**

**وســـلامًا يــــا بــــلادي**
**إن رمـــى الدهـــر سهامـه**

**أتـقـيـهــــا بـفـــؤادي**
**واســـلمي فـــي كل حـيـن ..**

أخذ الجميع أماكنهم.. وتوسط الملك مينا المنصة وعلى يمينه محمد علي باشا وعلى يساره الرئيس نجيب.. وافتتح الملك مينا الجلسة..

«باسم الإله الأعلى الكامل الحكيم الخبير البديع الخالق ..الإله الواحد الـذي عرفنـاه وعبدناه منـذ فجر التاريـخ وإن اختلفت أسـماؤه.. فما كان آمـون وآتون وزيوس- آمـون إلا رموزًا ومحطات أوصلتنـا إلى الله القدير بعدما احتضنت مصر المسيحية فالإسلام ..

باسم تاوي.. كيمي.. حا كا بتاح ..إيجيبتوس ..مصر.. مصر العظيمة.. التي كرمها الله ويحرسها إلى يوم الدين ..

باسم شعب مصر العظيم.. القوي ..الأبي.. المعتز بحضارته.. الغيور على وحدته ..

باسم ماضي الأجداد والجدات ..وحاضر الآباء والأمهات.. ومستقبل الأبناء والبنات ..

نفتتح جلسة محاكمة الرئيس المصري ..».

السادة الأفاضل أعضاء مجمع الخالدين المصري.. يسعدني ويشرفني أن أقدم إليكم أحدث أعضاء مجمع الخالدين.. والذي كلفناه بتمثيل الشعب المصري بتقديم وثيقة الادعاء أمام المحكمة.. السيد الدكتور أحمد البلاسي الشهير باسم : أحمد حرارة.. فقد أحمد حرارة عينه اليمنى يوم جمعة الغضب في 28 يناير 2011 بميدان التحرير.. ثم عاد إلى الميدان مرة أخرى ليفقد اليسرى في أحداث محمد محمود يوم 19 نوفمبر 2011. لقد كان أحمد حرارة.. كما قالوا عنه.. أحد من أسهموا فى انقشاع الظلمة التي حلت بمصر.. ودفعوا غاليًا ثمن إطلاق سراح 85 مليون مواطن عانوا من الذل والهوان طيلة أكثر من ثلاثين عامًا.. هو أقل من شهيد وأقل من حي.. فالشهيد يموت مرة واحدة وتصعد روحه إلى بارئها.. لكن صاحبنا هذا قتلوه وتركوه يمشي على قدميه.. فقئوا عينيه وتركوا له بقية جسده وروحه..

ساد الصمت المطبق قاعة المحكمة.. فيما تقدم أحمد حرارة واعتلى المنبر المذهب قبالة المنصة.. وقف للحظات يجيل بصره بين الحضور وعيناه تشعان نورًا ثم بدأ كلمته ..

«جلالة الملك مينا.. رفعة محمد علي باشا الكبير.. فخامة الرئيس محمد نجيب.. السيدات والسادة الأفاضل أعضاء مجمع الخالدين المصري ..إنه لتكريم عظيم لي أن ينعم على مجلسكم الموقر بشرف تمثيل الشعب المصري في تقديم مذكرة الادعاء بالتهم الموجهة من الشعب ضد الرئيس أمام محكمتكم الموقرة.. ومن قبل ذلك اختياري كعضو في مجمع الخالدين وسط هاماتكم العالية.. وجليل ما قدمتموه لمصر ولشعب مصر.. فمن أنا لأقف وسط هذه القمم والرموز الخالدة لتاريخ مصر.. فما أنا إلا مواطن عادي من أبناء مصر.. أدى دوره لنصرة حريتها وعزتها..

أنا فخور بما قدمت.. وغير حزين على ما فقدت.. فبالنسبة لي.. أن أعيش كفيفًا مرفوع الرأس وبكرامة.. أفضل من أن أعيش مبصرًا مكسور العين.. وإنني ...

لم يستطع أحمد حرارة أن يستكمل جملته.. إذ قاطعته عاصفة من التصفيق المدوي.. ورفع بصره ليجد كل أعضاء مجمع الخالدين المصري وقد هبوا واقفين ليصفقوا له في إكبار وتقدير.. وعلى المنصة لمح الملك مينا ومستشاريه يتبادلون النظرات ثم يقومون واقفين ليصفقوا له مع الجمع الغفير.. أخذت الدموع تنهمر تأثرًا كحبات من اللؤلؤ من عيني أحمد حرارة المضيئتين وهو يجيل بصره غير مصدق ليرى مصطفى كامل.. سعد

زغلـول.. مصطفى النحاس.. المشـير أحمد إسـماعيل.. أم كلثوم.. وسـط آلاف مـن قمـم مصر الشـامخة وقد وقفـوا احترامًا له.. حقًّـا لم يفقد عينيه سدًى.. ولم يحرم من نعمة البصر هباءً..

التقـت عينا حرارة المضيئتان بعيني الرئيـس في لمحة خاطفة ..فخفض الرئيس عينيه متألمًا.. إذ لم يستطع تحمل الوهج المنبعث من عيني ابن مصر الثائر..

جلـس الجميع.. ثم طلب الملـك مينا من أحمد حـرارة أن يتلو عريضة الاتهام..

توسط حرارة المنبر.. وبدأ التلاوة:

«بســم الله الرحمن الرحيم.. بسـم الله الرءوف الرحيم.. بسـم الشعب المصري..

أيهـا الجمع الكريم في مجمـع الخالدين.. هذا ما فعـل الرئيس وجماعته وبطانتـه بنا: سرقوا ثورتنـا.. قتلوها في مهدها.. وتاجروا بدماء شـهدائنا ..شــوهـوا ديننــا الـذي هو عصمــة أمرنـا.. وخربوا دنيانــا التي فيها معاشـنا.. لغـرض السياسـة والانتخابات، تاجـروا بمعتقداتنا وسـفهوا إيمانـنـا.. كفّـروا ..خوّنوا.. روّعـوا.. وأقصوا.. مسـلمينا وأهـل كتابنا.. شـقوا صفوفنا ..قسّـمونا.. وخيم شبح الحرب الأهلية على ربوع وطننا.. قتلـوا ريـادة وقيـادة مصرنـا.. لنصبـح أتباعًا لدويلـة ..ضئيلـة.. بحجم كفرنـا.. ازدروا واسـتهانوا بقضائنـا.. ضربـوا عرض الحائـط بقوانيننا..

وأخيرًا.. سلقوا دستورنا.. حاربوا منارة أزهرنا.. أباحوا منبره لمن ليس منا.. واستهانوا بعلمائنا وشيوخنا.. دمروا شرطتنا وأجهزة أمننا.. لم نعد نأمن على أرواحنا أو مالنا أو عرضنا.. أخونوا مجالسنا ومؤسساتنا.. واستبدلوا أهل الثقة بمحترفينا وخبرائنا.. خفضوا سن العمالة والزواج.. فسلبوا البراءة من عيون وقلوب أطفالنا.. حرمّوا.. هاجموا.. تنكروا لتراثنا.. أدبنا وفننا ..موسيقانا.. شعرنا ونثرنا.. استهانوا بقيمة آثارنا ..تاريخنا وأصلنا.. بل هددوا بهدم المعابد وتفجير أهرامنا يريدون تأجير قناتنا وآثارنا.. وبيع أرض سينائنا ..متخيلين أنهم ملكوا إرادتنا.. وإرادة جيشنا.. احتلوا مساجدنا.. أهانوا كنائسنا.. احتكروا لأنفسهم.. تفسير قرآننا وتكذيب إنجيلنا..دمروا اقتصادنا.. اغتالوا جنيهنا.. بددوا احتياطي نقدنا.. أصبحنا نسبح في بحار من ديوننا.. صمت أحمد حرارة للحظات ليتمالك نفسه.. فقد كانت كل عضلة في جسمه تختلج غضبًا ..

وواصل حديثه مخاطبًا هيئة المحكمة :

لقد أهانوا تراث وماضي أجدادنا ..وسودوا حاضرنا وحياة أبنائنا.. وأطفئوا الشمس في سماء مستقبل أحفادنا.. فبتنا لا نملك شيئًا من أمرنا.. فلا تطلبوا منا صبرًا.. فلن يكونوا أبدًا.. قدرنا أو نهاية صبرنا..».

ساد الصمت في قاعة المحكمة.. أخذ الرئيس من ركنه في أقصى القاعة يقرص ذراعه مرددًا ..:

أنا باحلم.. ده مش واقع.. أنا نايم باحلم وحاصحى بعد شوية.. ده كابوس وحا يخلص.. أكيد حا يخلص.. « وأخذ الرئيس يبصق من

فوق كتفه اليسرى ويستعيذ بالله من الشيطان الرجيم.. توقف عن البصق عندما صك سمعه صوت المطرقة في يد الملك مينا وهو يعلن ..

«ترفع الجلسة للمداولة»..

اقترب أحمد حرارة من الرئيس وقال له:

«في جولة الإعادة في انتخابات الرئاسة كنت محتار أختار مين.. اللي ضيع عيني الشمال في 28 يناير.. ولا اللي ساب عيني اليمين تضيع في 19 نوفمبر ..».

وتركه وانصرف عائدًا إلى مكانه أمام المنصة..

عاد الاثنان والأربعون قاضيًا إلى مقاعدهم.. ثم ارتفع صوت الحاجب معلنًا.. محكمة ..

أخذ الملك مينا ومعه الرئيس نجيب ومحمد علي باشا أماكنهم.. وارتفع صوت الملك مينا العميق موجهًا حديثه لقضاة مجمع الخالدين ..

«السيدات والسادة الكرام.. هل توصلتم إلى قرار؟».

تقدم عبد الرزاق باشا السنهوري متحدثًا باسم المجموعة ..

«نعم يا صاحب الجلالة.. بعد سماعنا لعريضة الاتهام المقدمة من الشعب المصري.. وبعد مقابلاتنا الشخصية مع الرئيس فقد توصلنا بالإجماع إلى القرار التالي.. الرئيس مذنب في كل ما نسب إليه من اتهامات.. وذلك من منطلق مسئوليته المباشرة أو غير المباشرة أو مشاركته الإيجابية أو السلبية أو سكوته أو تشجيعه أو تحريضه أو تجاهله أو جهله وعدم

خبرتـه وانعدام إصغائـه لغير بطانته.. ممـا أدى إلى تفاقم الأمور ووصولها إلى مـا وصلت إليه من مراحـل دقيقة وخطيرة تهدد وجـود الأمة المصرية واسـتمرار دورها القيادي والحضاري وتشرذم شـعبها وانقسامه.. لذلك فإننـا نوصي بإنزال أقصى العقوبة بالرئيس ليكون عبرة لمن يفكر في العبث بمقدرات مصر وشعب مصر ..».

نظر الملك مينا إلى الرئيس وسأله:

«هل لديك ما تقوله دفاعًا عن نفسك ؟».

ألجمت الصدمة لسـان الرئيس فلم يقدر على الـرد أو التعليق.. وأخذ ينظـر إلى الوجوه حوله غير مصدق ما يحدث ..ومسـتمرًّا في قرص ذراعه ليتأكد أنه لا يحلم.. كرر الملك مينا السؤال فلم يتلق ردًّا.. عندها قال:

«قـررت المحكمـة تكليـف إمحوتـب.. ناظر القـصر العـالي ..الطبيب الأول..وزير الملك زوسر كمحام للدفاع عن المتهم»..

تقـدم إمحوتـب بـين الصفـوف مرتديًا طاقيـة بيضاء على رأسـه الحليق ..ومرتديًـا جلبابًـا طويـلًا من التيـل.. ماسـكًا الصولجان بيـده اليمنى.. وعنخ.. مفتاح الحياة في يده اليسرى ..

اتجه إمحوتب ترافقه ماعت إلهة العدالة مباشرة إلى حيث جلس الرئيس ثـم وضع يده فوق رأسـه ونظر مباشرة في عينيـه.. أحس الرئيس بنظرات إمحوتب الحادة تخترق روحه وتنفذ في أعماق ضميره وغياهب ذاكرته ..

عاد إيمحوتب ليواجه المنصة.. ووجه الحديث لأعضاء المحكمة :

«جلالة الملك مينا.. السادة المستشارون.. لقد استمعت إلى عريضة الاتهام التي تلاها الدكتور حرارة باسم الشعب المصري.. واطلعت على حيثيات التوصية التي تقدم بها قضاة مجمع الخالدين.. واعتمادًا على هاتين الوثيقتين كنت أرى أن مهمتي في الدفاع عن الرئيس تكاد تكون مستحيلة.. لجسامة الجرائم التي ارتكبها أو تغاضى عنها أو تسبب فيها ..

ولكنني عندما فحصته بصفتي الطبيب الأول.. وضعت يدي على بيت القصيد ..

هذا الرئيس أيها السادة الكرام ليس سيدًا لقراره.. وليس مسئولًا عن تصرفاته.. فهو مسلوب الإرادة.. إنه محكوم بجماعة أقسم لها على الولاء والطاعة.. وما هو إلا مخلوق تعيس الحظ اختاروه ليكون في الواجهة ..

المشكلة الثانية أن دمه قد تلوث بجرثومة داء النفاق.. فأصبح إذا حدث كذب.. وإذا وعد أخلف.. وإذا أؤتمن خان.. ولا يشعر بأي ذنب عند ممارسة هذه الرذائل.. لأن ضميره أيضًا استكان لمبرر الضرورات تبيح المحظورات.. فبات يبرر ما تفعله الجماعة بمنطق تلك القاعدة..».

فقال الملك مينا:

«فبم توصي يا سيادة الوزير ؟».

قال إمحوتب:

«دعوني أعالجه.. ولنمنحه فرصة إن شفي ..».

طرق الملك مينا المنصة بمطرقته وأعلن:

«ترفع الجلسة لعلاج المتهم.. مع بقاء كل الحضور بمقاعدهم ..»

استدعى إمحوتب الإلهة إيزيس ربة الخير وأسر في أذنها بشيء.. كما طلب غرضًا من كل من ماعت ربة الحق والعدالة ومن حابي إله النيل وست إله الشر ..

في خلال دقائق.. كان كل شيء معدًّا.. جلس الرئيس مذهولًا على كرسي منخفض.. وإلى جانبه على طاولة صغيرة وضع إمحوتب كأسًا من البللور ملأها حابي بأصفى وأقدس مياه النيل.. وخنجرًا ذهبيًّا حاد النصل أحضرته ماعت.. ووعاء من المرمر عليه نقوش هيروغليفية أحضره ست.. وحضرت إيزيس لتضيف إلى الطاولة إناء فضيًّا احتضن شعلة مضيئة أحضرتها إيزيس من معبدها بجزيرة فيلة ..

حبس الحضور أنفاسهم وهم يراقبون الطبيب الأكبر وهو يقوم بطقوسه ..

ناول إمحوتب الرئيس كأس الماء وطلب منه أن يشربه . ثم تناول خنجر ماعت الذهبي وقطع به جرحًا صغيرًا في رسغ الرئيس الأيسر.. جفل الرئيس وشعر بوخزة ألم.. لكنه نسيها عندما رأى قطرات من الدم الأسود تنزف من الجرح.. استقبل إمحوتب قطرات الدم في وعاء ست ..

أخذ الدم الأسود يغلي ولم تمسسه نار ..وأحاط البخار المتصاعد بيد الرئيس النازفة.. وسرعان ما تغير لون قطرات الدم من الأسود إلى الأحمر القاني.. عندها مس إمحوتب الجرح بصولجانه فالتأم وانقطع النزيف.. أعلن إمحوتب مبتهجًا ..

«ها قد تخلصنا من النفاق وتوابعه ..».

مد إمحوتب مفتاح الحياة عنخ فوق شعلة الخير من معبد إيزيس.. سخن مفتاح الحياة حتى توهج بلهيب برتقالي ..أزاح إمحوتب جلباب الرئيس عن صدره.. وضغط المفتاح الملتهب على موضع القلب منه ..

رددت قاعة المحكمة صدى صرخة الرئيس.. لكنه تعجب.. إذ لم تكن صرخة ألم بقدر ما كانت صرخة خلاص.. وقف إمحوتب مواجهًا المنصة وعلى وجهه علامات الرضاء ..

«أما الآن.. فقد عادت للرئيس كرامته وإرادته الحرة ..».

أجال الرئيس النظر حوله في القاعة.. شعر أنه يرى كل شيء بعين جديدة.. فهم الآن تفسير شعور القرف الذي انتابه بعدما أنهى دورته على القضاة في بهو الكرنك.. كان قرفانًا من نفسه ..

رأى الوجوه التي استقبلته بغضب ووجوم وقد حملت ابتسامات تشجيع ..

هتف الحاجب.. «محكمة» ..

وبين مستشاريه.. أعلن الملك مينا الحكم ببراءة الرئيس.. وتوصيته بأن يتصرف بما يمليه عليه ضميره خاصةً بعد إذ عادت إليه إرادته.. ومنح الإذن لماعت وحورس وتحوت بإعادة الرئيس إلى القاهرة ثم رفع الجلسة..

في طريقه للخروج.. استوقف أحمد لطفي السيد باشا الرئيس وشد على يده بحرارة.. ونظر مباشرة في عينيه نظرة ذات معنى وقال له ..

«تذكر» ..

أومأ الرئيس برأسه إيجابًا وقال مبتسمًا:

«سأتذكر يا أستاذ الأجيال».

أحاطت ماعت الرئيس بجناحيها.. ونظرت إلى حورس وتحوت وقالت:

«هيا بنا» ..



# 45

# القاهـرة العامـرة

فتح الرئيس عينيه ليجد نفسه في شرفة غرفته بالقصر الرئاسي.. وقف الآلهة الثلاثة أمامه مبتسمين.. وودعوه بحرارة.. وقال له تحوت.. إله الحكمة.. قبل أن يختفوا عن نظره:

«الكرة في ملعبك الآن يا سيادة الرئيس.. وأمامك اختياران لا ثالث لهما ..مجمع الخالدين.. أو مزبلة التاريخ» ..

وقف الرئيس متأملًا للحظات.. وسمع آذان الفجر يتردد من على مآذن القاهرة العامرة ..

دخل إلى غرفته وأغلق باب الشرفة.. كانت الغرفة كما تركها.. وكان التليفزيون لا يزال مفتوحًا على نفس القناة.. التي كانت تعرض برنامجًا حواريًا عن فضل ختان الإناث.. أغلق التليفزيون ضاحكًا.. وخلع ملابسه ووقف تحت الدش الساخن يغسل إرهاق وضغوط الرحلة.. ابتسم وهو ينظر إلى الأثر الذي تركه مفتاح الحياة على صدره ثم فرد السجادة لصلاة الفجر.. صلى كما لم يصل من قبل.. شعر بالفرق بين صلاة الحر وصلاة العبد ..

ما إن أتم صلاته حتى ارتفع رنين التليفون.. كان سكرتيره ..

«فخامة المرشد على التليفون ..».

«قول له نايم ..».

رد السكرتير بدهشة ..

«أفندم ؟».

«باقول لك قول له نايم ..» وألقى بالسماعة.

عاد التليفون للرنين ..

«فخامة المرشد بيقول لي أصحي سيادتك»

«قول له مش فاضي ولما يفضى حيكلمك»

استغرق الرئيس في التفكير للحظات ثم قام إلى التليفون وقد بدا عليه الارتياح ..

رد السكرتير بحذر ..

«أوامرك يا فندم ».

«عايزك ترتب لي لاجتماع الساعة عشرة».

«الساعة عشرة ده ميعاد سفر الأمير.. وسيادتك طالع تودعه في المطار».

«مش رايح . ابعت وزير البيئة يودعه ..».

«قصدك الخارجية سيادتك ؟».

«باقولك البيئة . إنت ما بتسمعش؟

المهم ركز معايا في اللي حاقوله.. عاوزك تتصل بمجموعة أشخاص تدعوهم لاجتماع عاجل الساعة عشرة.. اكتب عندك.. كل قادة أحزاب وائتلافات المعارضة.. لأ.. المعارضة اللي بجد وبلاش اللي تبعنا ..رئيس المحكمة الدستورية العليا.. رئيس المخابرات.. وزير الدفاع.. وخليه يجيب معاه رئيس الأركان.. رئيس الوزراء لأ.. وعايز وزير الداخلية اللي فات ..لأ مش ده.. باقولك اللي قبله. مافيش أجندة ولا شروط.. بس دول اللي ييجوا..

لأ.. با قول دول بس ..

الإعلام تبلغه بعد بداية الاجتماع.. ييجوا الساعة إتناشر.. حاعمل مؤتمر صحفي.. قناة الجزيرة لأ ووزير الإعلام لأ.. حيزعل ؟ إبقى قول له يجيلي وأنا حاصالحه.. ها ها ..

لأ مش في القصر.. رتب للاجتماع في مينا هاوس.. عند الهرم.. أنا عاوز الهرم يشهد عليا مش فاهم ؟.. مش مهم تفهم..

إستنى.. الموضوع ده سري جدًا.. أكد على الكل.. وبلغ الكل مين باقي الناس اللي حاضرين ..

أنهى الرئيس المكالمة والتقط تفاحة أخذ يأكلها ثم اتجه للتليفون ثانيةً..

«إبعت لي الحلاق.. آه دلوقت.. صحيه ..».

حضر الحلاق بعد دقائق وهو يفرك عينيه وقد حمل حقيبته الصغيرة في يده ..

«أوامرك يا فندم»

«احلق لي دقني»

سقطت الحقيبة من يد الحلاق وتساءل مندهشًا ..

«أفندم ؟» ..

«باقول لك خد لي دقني.. شيلها خالص ..».

كانت الساعة تقترب من الثامنة والنصف ..وقف الرئيس يتأمل نفسه راضيًا في المرآة.. كان قد تلقى تأكيدًا من سكرتيره بحضور الجميع.. وأن كل الترتيبات أعدت كما طلب ..

فتح الباب ودخلت زوجته عائدة من واجب العزاء في البلد.. ما إن رأته حتى خبطت بيدها على صدرها وصرخت ..

«يا نهار أسود.. دقنك فين يا حاج ؟ ..».

«حلقتها»..

«ليه ؟»..

«كده»..

«يعني إيه كده ؟»..

«كده وبس ..».

«طيب إنت رايح فين دلوقت ؟»..

«عندي مشوار ..».

«مشوار إيه ؟».

«أقول لك وما تقوليش لحد؟».

«والله ما حاقول لحد».

«حاعمل انقلاب ..»

خبطت حرم الرئيس بيدها على صدرها ثانية ..

«يا مصيبتي.. انقلاب ؟.. انقلاب على مين ..؟».

ضحك الرئيس ضحكة صافية.. وطبع على خد زوجته الحبيبة قبلة سريعة وقال لها:

«انقلاب على نفسي ..»

وغادر بسرعة مغلقًا الباب وراءه ..

■■■

46

# الخـــاتمـــــة

اتخذت سيارة الرئاسة طريقها إلى الجيزة.. وعند عبورها شارع الخليفة المأمـون امتلأ الفضـاء بصـوت الشـيخ سـيد درويش الشـجي منسابًا من مذياع بأحد المقاهي.. مرددًا كلمات بيرم التونسي:

**أنـــا المصـري كـريـــم العنصـرين**
**بنيـــت المجـــد بين الأهرمـيـــن**

**جـدودي أنشـــئوا العلــم العجيب**
**ومجــــرى النيل فـــي الوادي الخصيب**

**لهـم فـــي الدنيـــا آلاف الســنين**
**ويفنـــى الكـــون وهمـا موجودين**



# السيرة الذاتية للدكتور إبراهيم شلبي

- طبيب مصري من مواليد القاهرة. تخصص في علاج الأورام ثم اتجه للعمل مع شركات الأدوية العالمية.

- له اهتمامات أدبية وفنية وقام بنشر كتابين:

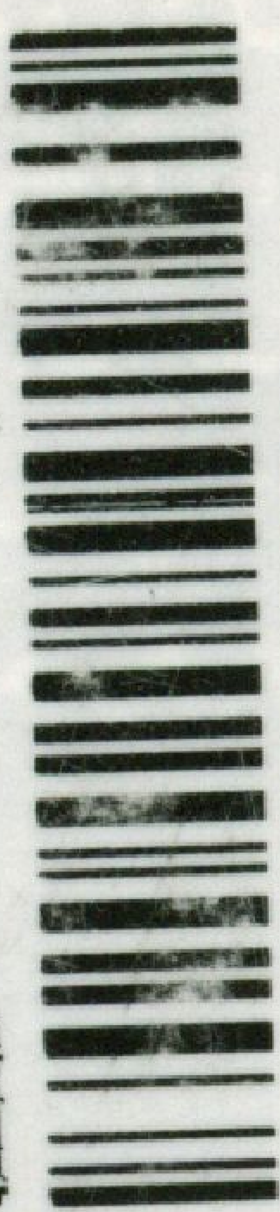
- رسالة إلى الله من مسلم في عهد الإسلام السياسي (2012).

- رسالة إلى الله من مسيحي في عهد الإسلام السياسي (2013).

# في بهو الكرنك

## محاكمة رئيس

«في بهو الكرنك..محاكمة رئيس» ليس كتابًا يسجل واقعًا ولكنه رواية تستعين بالتاريخ ورموزه التي لا تموت، للخروج من أزمة الحاضر الذي لم يدرك عمق وقيمة التراث المصري وكفاحه ليترك لنا نحن - أبناءه وأحفاده - أمجادًا لا زلنا نحيا عليها ونلجأ إليها كلما ضاقت بنا الحال لنستظل بها و نقتبس من قيمتها نورًا يجلي لنا ظلام الواقع المعيش. ولذا لا تتعجب وأنت ترى وتسمع محاكمة رئيس الدولة على أخطائه أمام قمم مصر منذ عهد مينا إلى تاريخنا الحديث. فتسمع السنهوري باشا يتحدث عن قيمة الدستور وقداسة القانون، والشيخ الشعراوي يوضح حقيقة التدين والدين والفارق بينهما وبين من يتاجر بهما، ومكرم باشا عبيد يعلمنا حب الوطن وكيف أنه يسكننا ولسنا نحن من نسكن فيه، «والست» أم كلثوم تتحدث عن كيفية وقوف الخلق ينظرون كيف تبني مصر مجدها بمفردها، و
العباسي أول من رفع علم مصر على تراب سيناء في
١٩٧٣، يحكي عن سيناء وما بُذل فيها من روح ودم لا
الوطن، أما مينا موحد القطرين فيعلمنا قيمة الوح
منذ آلاف السنين...وهكذا حتى يفيق الرئيس من غ
رواية تستحق القراءة في ظل ما نعيشه من أحداث...






للطلب والاستفسار اتصل على

16766

www.nahdetmisr.com

our page/nahdet misr group









